الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها

الأصوات الحنجرية في القراءات السبع القرآنية

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللسانيات

إشراف

أ. الدكتور: سيدي محمد غيثري

إعداد الطالب

محمد بلعيدوني

لجنة المناقشة:

د. عبد الجليل مصطفاوي	أستاذا محاضرا جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د سيدي محمد غيثري	أستاذ التعليم العالي جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
د. مكي درار	أستاذا محاضرا جامعة وهران	عضوا مناقشا
د. خير الدين سيب	أستاذا محاضرا جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د. خيرة قصري	أستاذة محاضرة جامعة بجاية	عضوا مناقشا
د. عبد الجليل منقور	أستاذا محاضرا جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 1428-1429هـ / 2007 - 2008 م

مقدمة :

إن مادة الصوت الإنساني في اللغة العربية متصلة بالقراءات القرآنية، لأن كل أمة تعتمد منهجا محددا، مميزا في وضوح كلماتها من الأصوات التي ينتجها الجهاز النطقي الإنساني، فالإنسان بصوته يبين ما في كنه خَلَدِه، فالله منحه إياه ليكون مميزا فركَّبَه في أحسن تقويم، ومجهزا إياه بآلة النطق المعقدة فيها يخاطب دون عناء.

وإن صوغ الكلمات وكل ما تعبر به الأمة يسير وفق عبقريتها، حسب خصائصها وسُننها، ويدور ذلك بين المتكلِّم والسامع فإن المستويات الصوتية تحدد ذلك، وإن علماءنا الأسلاف تفطنوا إلى ذلك، فكانت دراساتهم تتضمن المستويات الصوتية، فتطورت إلى أن جُعِلَت كُتبٌ متخصصة في كل المستويات.

تعتبر الدراسة الصوتية من العلوم الأصلية عند العرب لأنها تتصل اتصالا مباشرا بتلاوة القرآن الكريم، وفهم كلماته وعباراته، وإعجازه الصوتي واللغوي، والأسلوبي، وكما يتضمن في أحكام القراءات القرآنية التي جاءت متباينة.

والواضح أن العرب درسوا لغتهم دراسة صوتية وصفية أدهشت علماء الغرب والشرق.

والذي نتوجه إليه في الدراسة الصوتية في القراءات القرآنية انطلاقا من القرآن الكريم الموجه الأول للرسول ﷺ حيث يقول عزّ من قائل: "فلعلك باخع نفسك"[1] وقال أيضا: (وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا)[2] وجاء في تفسير هذه الآية، أي خففت[3]، وهناك بيانات عديدة ولا يمكن ذكرها ههنا، وما جاء في

1- سورة الكهف الآية [06].

2- سورة طه الآية [108].

3- تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي، إعداد محمد حسن الحمصي، ط مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان.

أحاديث كثيرة تظهر التصويت الصوتي فيما حكاه ابن جني حيث قال: حين أخطأ رجل بحضرة الرسول ﷺ : "أرشدوا أخاكم إنه قد ضلّ"[1] ولم يتوقف المسار في علم الأصوات بل التزمه أمناء على عاتقهم فطبقوه على القرآن الكريم ألا وهو علم القراءات فكان في نظر كثير من العلماء أن صُنْعَ أبي الأسود الدؤلي المتوفى في 69 هجرية، حيث وصف القرآن الكريم وصفا صوتيا فيما أخذه عن الإمام علي كرم الله وجهه.

ثم جاء بعض العلماء الذين جعلوا على عاتقهم حفظ هذه العلوم العربية التي تعد أصوات بها يؤدي القرآن العظيم من فقهاء ولغويين بعد أبي الأسود الدؤلي إلى أن جاء الخليل ابن أحمد الفراهيدي سنة (ت175 هـ) فدرس في مقدمة معجمه العين، الصوت منعزلا، ومجردا عن ساقه.

مما سمح له بترتيب معجمه مستندا إلى الصوت المعزول المجرد، مبتدئا بالحلق منتهيا إلى الشفتين، هذا الذي جعله يدرس أعضاء النطق ويصنف الأصوات إلى صحيحه وصائتة، ثم درس تصنيف الصوائت، أو الحروف الصحاح كما سماها حسب مخرج الصوت، وصفات النطق، والجهر والهمس، وقرّر أن الصوائت أصوات هوائية حرفية كما درس وظيفة الصوت اللغوي عندما سبقه صوت آخر أو يتبعه صوت ما، وكيف يتأثر هذا الصوت ويفقد بعض صفاته، أو خصائصه التي كان يملكها، أو يتصف بها لحظة كان مفردا معزولا مجردا، ثم كيف يغير الصوت معنى الكلمة.

وعقبت الخليل كوكبة من العلماء مثل سيبويه والمبرد والزجاجي والزمخشري، وابن دريد، وعلماء القراءات القرآنية نذكر منهم نافع، وعاصم، وابن

1- الخصائص لابن جني، ط دار الكتاب العربي، ج1، ص 8.

عامر، وابن كثير، وأبو عمرو، واكسائي، وحمزة وقد جمع هذه العلوم القرآنية العالم الفذ بن الجزري، كما نذكر علماء النقد كالجاحظ، فقد ساهموا في دراسة الصوت، ووافقوا الخليل، أو عارضوه معارضة جزئية ثم جاء ابن فارس، ثم ابن جني في القرن الرابع الهجري، وبعد ذلك جاء الرئيس ابن سينا المتوفي سنة (ت428 هـ)، الذي سدّ ثغرة كبيرة في الدرس الصوتي عند العرب، وقدّم وصفا دقيقا لأسباب حدوث الحروف، ومخارجها ولعل أنه أول من شرّح الحنجرة وعرف دورها، الذي منه تخرج رنّة الصوت، وعرف دور الوترين الصوتين، والذي جاء به علماء الأصوات المعاصرون، لم يكونوا في منأى عن أسلوب الدارسين العرب، فجعلوا دراساتهم في فرعين أساسيين، وهما: الفونيتيك (Phonetic) أو علم الأصوات اللغوية، والفونولوجيا (Phonologie) أو علم وظائف الأصوات.

ومن مسايرة العلم في عهدنا الحديث استطاع العلماء أن يعيدوا تركيب الصوت الإنساني مادة، ودراسة هذه المادة تكون عملية بحتة، وتبدأ من سدّ تشكيل الصوت في الجهاز النطقي بدءً من ضغط الحجاب الحاجز (diaphragme) على الرئتين اللتين تدفعان الهواء في القصبة الهوائية مرورا بالحنجرة والفم وصولا إلى أذن السامع أو المتلقي بل وإلى الدماغ وتحليلها ورد الفعل الذي تحدثه، والذي يفرض على عالم الأصوات دراسة الجهاز النطقي كله؛ ومخارج الأصوات، وصفاتها، وخصائصها وتأثرها ببعضها بعض، لأن مادة الصوت الأولي لا يحتفظ بصفاتها أثناء التكلم، نتيجة تأثير الصوت السابق في الصوت اللاحق كما يؤثر الصوت اللاحق بالصوت السابق.

والأمر الذي لا يختلف فيه اثنان أن أبناء اللغة الواحدة للصوت الواحد في الكلمة الواحدة والعادة الواحدة قد تختلف من إنسان إلى إنسان آخر، وقد تختلف عند

إنسان واحد، نتيجة عوامل عدة منها ما يتعلق بجهاز النطق، والصفات الوراثية، والمناخ، والعادات، ومنها ما يجيء عضويا.

وفي هذه الأطروحة فقد كان بحثي يدور حول الأصوات الحنجرية في القراءات القرآنية متوخيا في ذلك بالدراسات السابقة، إلا أنني وجدت صعوبة جد عويصة لعدم إيجاد الآلات التي تدرس الطيف الصوتي من حيث وضعه، والطيف الفيزيائي فكان لي أن أجول بعض الجامعات المجاورة لأفتنيَ بعض المصادر والمراجع التي تدرس الصوت، كما سافرت إلى بعض البلدان على حسابي الخاص مثل المغرب، وسوريا، ومن ذا وذاك قد كان لي الأستاذ المشرف غيثري سيدي محمد السند الذي كنت دائما ألجأ إليه فله الفضل في تصويبي وتوجيهي لهذا العلم، كما يقول الله تعالى: (وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ).

وحين اتضحت لي المعالم خُضت في البحث لأتوصل إلى المعرفة العلمية فاعتمدت على علم الأصوات، وما آلت إليه القراءات القرآنية مستأنسا بكتب علم القراءات القرآنية دارسا إياها في كتب الدارسين لعلم الأصوات قديما وحديثا. وبدأت بتبيين معالم الحنجرة التي تعدّ الآلة النطقيّة مع الوترين الصوتيين .

إن فوق تفاحة آدم هناك ثلاث حجيرات، الحجيرة الحلقية، والفموية والأنفية، حيث نجد جويّة الفم، والجوبة الأنفيّة، فحين تتنفس تنفسا عاديا، فالهواء يمر من الرئتين عن طريق الحجاب الحاجز من الطبق المفتوح عن طريق الأنف في جويّة الفم فنجد اللسان الذي يتألف من أسلة اللسان (Apex) وظهره (Dos) فالأسنان العليا والسفلى واللثة وراء الأسنان العليا، والطبق الصلب وراء اللثة والطبق العلوي وراء الطبق الصلب يحيط بالفم نجده في الفك الأسفل.

حيث أقحمت علم الأصوات اللغوي أو الفونيتيكا أو (Phonotic)، وعلم وظائف الأصوات اللغوية أو بما يسمى Phonology.

وكان تصميم بحثي كالآتي:

مبتدئا بمقدمة و تمهيد.

وقسمته إلى ثلاثة أبواب:

فالباب الأول التعريف بالأصوات الحنجرية وضمنته ثلاثة فصول،

فالفصل الأول خصصته للأصوات الحنجرية:

أ- تعريفها، صفاتها، كيفية إحداثها.

ب- الصوت اللغوي ودور الحنجرة في إحداثه وعلاقة الصوت الحنجري بالقراءات القرآنية،

أما الفصل الثاني فقد خصصته إلى الآتي:

- تعريف القراءات وأقسامها.
- التنوعات الصوتية.

أما الفصل الثالث:

- البحوث الصوتية العربية القرآنية.
- القضايا الصوتية التي توخاه علماء القراءات.
- منهج علم الأصوات في علم القراءات

أما الفصل الرابع فضمنته:

أ- الإيقاع الصوتي في القراءات القرآنية.

ب- التنغيم.

ت- الدلالة الصوتية.

والباب الثاني ففيه فصلان هما كالآتي::

- فالفصل الأول

- الأصوات الحنجرية وقوة نبرها.

- كيفية أدائها نحو القراءات.

والفصل الثاني للحركات:

كما بنيت اهتزاز الوترين الصوتيين بالرسم الطيفي.

أما الباب الثالث فتوقفت فيه على تأثير الأصوات في المفهوم القرآني كما بنيت الصوت الإنساني مع جعل أطيافه الصوتية في المفهوم الفيزيائي وكانت كالآتي:

الفصل الأول: ذكر الصوت في القرآن الكريم.

الدراسة الصوتية في مجال القرآن الكريم.

الفصل الثاني: الأصوات الحنجرية والنسج العربية المختلفة مع ذكر أطيافها.

الفصل الثالث:التبدلات الصوتية.

الوقف والابتداء.

إن المصادر والمراجع التي توخيتها واعتمدت عليها تتمثل في كتب القراءات القرآنية مثل كتاب النشر في القراءات العشر القرآنية لابن الجزري إذ فيه الفائدة

الجمة، والرجوع إلى الموروث من الخزانة العربية الإسلامية شيء يثلج الصدر ويشفي الغليل من فهم هذا للعلم، كما استفدت من بعض الرسائل المتنوعة الجامعية في علم الأصوات الحديث. وكتب أخرى في علم اللغة والأدب مثل كتاب القراءات السبع لابن خالويه، وكتب أخرى من مثل كتاب الأمالي.

ككتاب الأمالي لأبي علي القالي الذي بين لي الطريق في الأخذ المادة بلطف من باب تعاقب الحروف. وكتاب ابن جني في خصائص العربية التي جعلتها أنيسا كما أخذت كل ما وجدته للبحث صالحا من مجالات ودراسات أساتذتي الذين أكِنُّ لهم الاحترام والتقدير. أما المصدر الذي وجدت فيه متسعا من البحث كتاب السيوطي (الاتقان في علوم القرآن) الذي بسط فيه الموضوع في شتى المجالات من القراءات القرآنية وما يتعلق بالأصوات كما لا يفوتي ذكر الجاحظ قبله في كتابه الحيوان الذي أفرد فيه جزءً كبيرا يتحدث فيه عن الأصوات المختلفة المتعلقة بالجهاز الصوتي لدى الإنسان وتأثر مخارج الأصوات بعاهة تصيب الإنسان أو اختلال آخر كنزع ضرس أو ثنية، ولقد وجدت صعوبات عدة من بينها عدم وجود مصادر تجمع بين العلمين أما الدراسات الحديثة فلم تفرد له أي اهتمام خاص.

ومن ذا وذاك وفقت بين الدراسات الحديثة في الأصوات والنسج علاقة بين علمي القراءات والأصوات.

تمهيد

تمهيد:

إن البحث في مجال الأصوات الحنجرية يستدعي تعريف علم الأصوات في إطاره المحدد، وهو الدراسة العلمية للأصوات اللغوية لدى الإنسان، إن علم الأصوات ينقسم إلى ثلاثة مجالات:

1- علم أصوات النطق الإنساني والتي تتمثل في نشاط الحبال الصوتية، إذ تمكن الفرد من الكلام، مثلا بنطق صوت "ب" لابد أن نُطبق الشفتين معا، مع اندفاع هواء من الرئتين، ثم تفتح الشفتين.

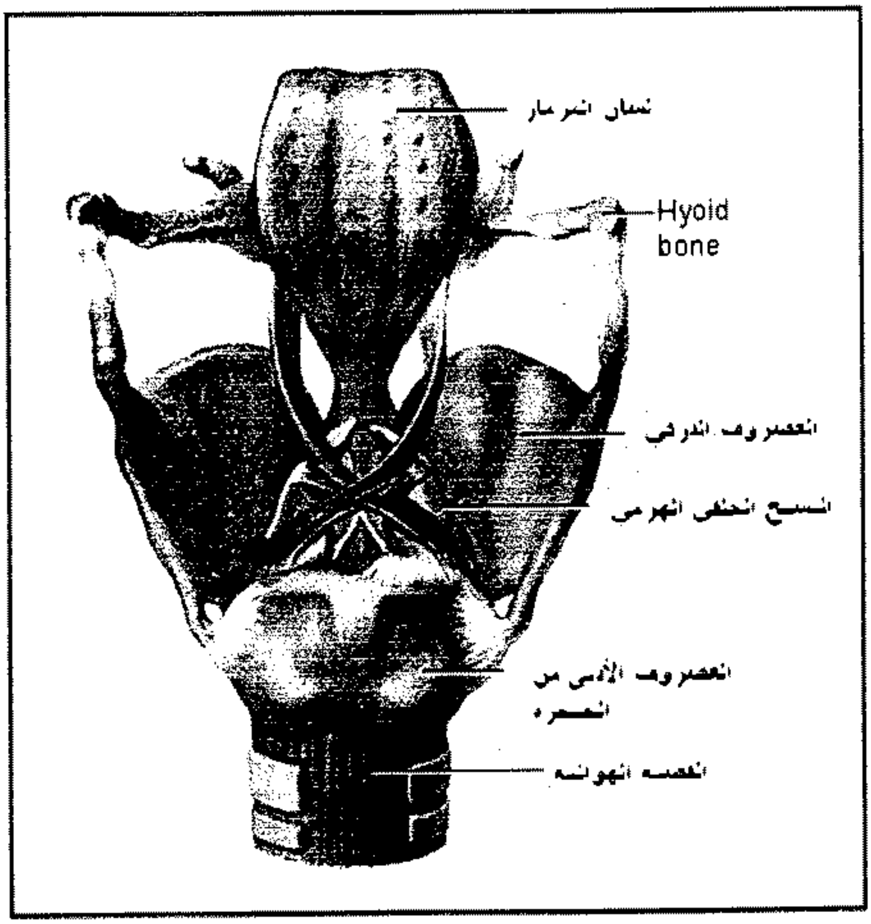
2- علم الأصوات الفيزيائي الخاص الذي يفحص الصفات الجرسية للأصوات في اللغة مثلا، إننا نعرف بأن الصوت ينتج من "س" بذبذبة عالية من صوت آخر محصل من صوت آخر مثل "ش" لنقارن بين "سو" "شو".

3- علم الأصوات السمعي: إنه تفحص الظواهر الخاصة باستقبال الأصوات اللغوية من قبل البشر مثلا، ما الذي يسمح لنا أن نأخذ مقطعا لينا أهو الزمان أم القوة أو التردداد (الذبذبة) أو العلاقة هي بين الثلاثة[1]، في نفس الوقت، يوجد متقاربان مختلفان لوضع علم الأصوات؛ إذ أن الوسائل التكنولوجية الحديثة تصلح لتحليل الصوت، بينما المتقاربة الطبعية تصلح للقرائن الخاصة للتحليل، حيث لا ننسى بأن النتائج لعلم الأصوات الطبيعي يجب دائما أن يكون مؤكدا بتحليل آلي.

وأخيرا يمكن أن نجعل علم الأصوات المقارن، وذلك بعرض لغتين لنأخذ الاختلافات والمتشابهات بين الاثنين.

---

[1]- محاضرات من جامعة Queen's At Qungoton, Canada، مستوى الدراسات العليا، ط(د.ت)، 2001.


لسان المزمار
Hyoid bone
الغضروف الدرقي
النسيج الحلقي الهرمي
الغضروف الأدنى من
الحنجرة
القصبة الهوائية

وإن أول ما يجب دراسته قبل البحث في الصوت الحنجري لدى الإنسان هو ذلك الجهاز الصوتي المركب من أجزاء معقدة كل له دوره في إحداث الصوت بمعرفته يتسنى لأي باحث أن يدرك هذه الأصوات ويدقّق في ذلك لإصدار الأحكام المختلفة بجميع تدرجاتها[1].

وهذه بعض الأشكال التشريحية الوظيفية للحنجرة بنظرة علمية حسب ما توصل إليه علماء التشريح، أنظر شكل رقم [01] فالحنجرة عضو غضروفي أحادي منصف، في الجهة المتوسطة الرابطة المطاطية للعنق، والتي تشغل حيزا علويا للحنجرة، مكونا من هيكل مطاطي ممدد من العظم الحنجري، مختلف النسج المطاطية مجتمعه متحدة بأنسجة وأغشية وروابط عضلية[2]، كما هو مبين في الشكل (1).

---

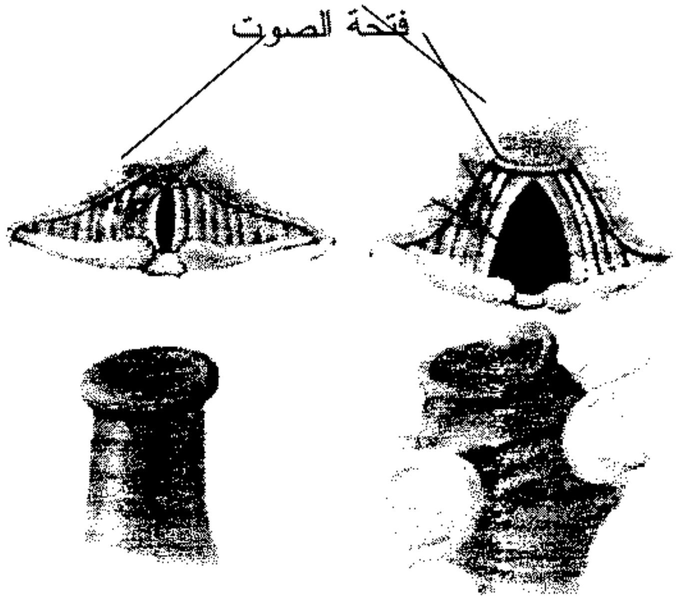
[1] - Le Roux Robert, J. Traitement de certaines causes pharyngées, 1987, n°7.

- المصحف المعلم للتجويد، طبعة الأزهر الشريف.

[2] - ينظر للتشريح الوصفي للحنجرة "الموسوعة الطبية، الطبعة العلمية أسيفييه، ص 13، SAS، باريس، Laryngologie, oto-rhyno.

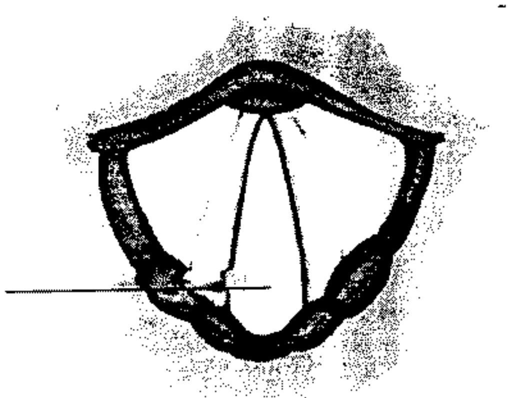
الأحبال الصوتية وفيسيولوجية الصوت

الأحبال الصوتية vocal cords

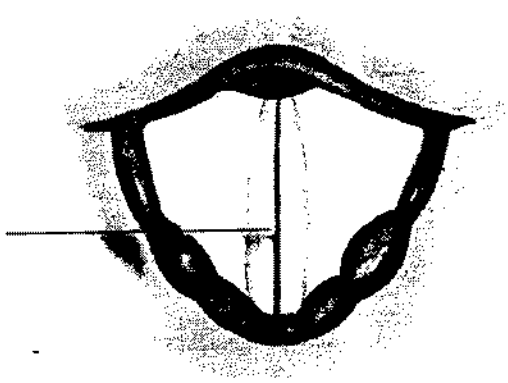


عندما تمل الحنجرة وعضلاتها تشد الأحبال الصوتية مثل البالون فيندفع الهواء ويهرب بشدة محدثا صوت

عندما تتحدث يندفع الهواء من داخل الرئة خلال الفتحة بين الأحبال الصوتية محدثا صوتا.



الأحبال الصوتية مفتوحة أثناء الصياح



الأحبال الصوتية مضمومة أثناء الكلام

نتائج علم الأصوات:

حين ندرس علم الأصوات يجب أن ندع حالات الرسم للغة، فليس الشكل اللغوي الذي يبين حالات الصوت في النطق، ولكنها عكس ذلك بمعنى، يجب أن نضع رسم الحروف للغة جانبا وكأننا لا نعرف علم الكتابة حين ندرس علم الأصوات، ولكن يجب أن نضع حوافز ورموز تمثل هذه الأصوات، فالأبجدية العادية تمثل هذه المهمة؛ لأن الحرف وحده قد يكون على عدة أصوات، فمثاله في القراءة في الترقيق والتفخيم عند نطق صوت "اللام" في لفظ الجلالة، فينطق مفخما في الابتداء به "الله" مثل قوله تعالى: (اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)[1] وبعد الفتحة مثل قوله تعالى:(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا)[2]، وبعد الضمة مثل قوله تعالى: (وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[3]، وقال تعالى:(يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[4] وترفق اللام في لفظ الجلالة بعد كسرة مثل قوله تعالى: (إِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ)[5] نرى الحرف سَيَرَّى في صوته اختلاف نطقي حسب ضوابط يقتضيها المقام، وهذا الجانب يستدعي منا الوقوف على إعطاء الصوت حقه؛ إذ لا يبلغ منتهى التأثير في السامع إلا إذا كان مستوفيا جميع الشروط المنوطة به: والصوت في القرآن الكريم الخاص بالقراءات يجب أن يخضع للوحي؛ إذ هي منزلة على سيدنا محمد ﷺ بالتواتر وإن كان فيها قراءات شاذة.

وحين نجعل رسم الحرف الذي يمثل الصوت اللغوي في القرآن الكريم نجد الدارسين الأوائل قد وضعوا إشارات دالة يمكن للقارئ من معرفة الصوت الصحيح،

1- سور آل عمران آية رقم [02].

2- سورة المجادلة آية رقم [01].

3- سورة البقرة آية رقم [182].

4- سورة المجادلة آية رقم [06].

5- سورة المجادلة آية رقم [08].

وأدائه على أكمل وجه، وهذا هو الذي سار عليه السّلف ومن دونوا أهم القراءات، ومثال ذلك ما نجده في المصاحف على روايات مختلفة من قرّاء علماء ثقة كالقراء السبعة الذين تتبعوا حقائق علم الأصوات في مجال القراءات، إلا أنهم لم يكونوا على معرفة به كما جاءنا حديثا بل اكتفوا بالحركات القصيرة والطويلة[1]، ومثال ذلك ما نراه في سورة الضُّحى في رَسْم المصحف العثماني على رواية ورش الذي وضع بعض العلامات الدالة على أصوات كالإمالة الممثلة بنقطة، والمد الذي يلي الهمز علامة الخ ... وهذه السورة تمثل الإمالة أحسن من غيرها يقول تبارك وتعالى: (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)[2].

ومن ذا وذاك، نستخلص أن الأصوات التي اعتمد عليها الخلف ما دوِّن في رسم المصحف مع التواتر وإن تداخلت القراءات عند بعض الأقوام الذين كانت اتصالهم باللغة العربية بعيدا، كالأمم التي أسلمت وهرعت إلى التعلم.

وقبل أن نتحدث عن الدراسة في الأصوات الحنجرية لابد من أن نقوم بخلاصة وجيزة عن الحنجرة التي تدخل في إحداث الصوت، وهذا العمل يفرض علينا أن نقدم دراسة جادة تتمثل في تشريح الحنجرة وجرد معطياتها التشريحية الأساسية التي يحتاج إلى تفسير وشرح الصور المحصلة عن طريق التصوير الإشعاعي الحديث المسمى (IRM-TDM) والملاحظ في المشيع الحنجري غير مباشر ومباشر.

1- الخصائص، لابن جني، ص 169.

2- سورة الضحى آية [01-10].

ومن الواضح لنكون أقرب إلى الدراسة الجادة لابد أن تكون بداخل العيادة عن مختلف المراحل للحنجرة والفتحة اللعابية التي تمد الحنجرة بهذه المادة؛ إذ أن بعض العناصر التشريحية القديمة لم تظهر كل ما يفي الدراسات التي يطمح إليها العلماء لمعرفة حقائق جدّ مبيّنة لما للحنجرة من أهمية في إحداث الصوت[1].

ومن المؤكد أن دراسة مقاطع الأنواع يظهر لنا دور الحنجرة في عملية التصويت بدقة علمية وتحديد الصوت كما ينبعث دون تردد، وكذا نرى أن علم الأصوات قد استطاع أن يحدد الأصوات، إلا أن الأصوات باتت تدرس على الطريقة القديمة دون تطوير واتباع العلم الحديث الذي يتصل به، كما هو معروف أن الجهاز الحديث الذي يحدث الصوت وضع قيد الدراسة التشريحية، ولذا لابد من معرفتها ولو تعذر يمكننا دراسة هذه الأصوات الحنجرية، والدارس المتتبع لهذه التحقيقات العلمية يرى ذلك في تطور الدراسة الصوتية بجانب على تشريح الحنجرة بواسطة التصوير الحي وسمح للدراسة الوظيفية للمادة اللعابية التي بواسطتها يستطيع الجهاز أن يقوم بعملية التصويت، وتمكن هذه الأخيرة في وجود مادة سائلة مزودة بسائل يمكنها من أن تبعث صوتا مسموعا، ولو فقدت أَحْجَمَ الإنسان عن الكلام والدليل على ذلك من جف جهازه الصوتي سبب عطش حاد في صحراء ينقص الصوت حتى يفقد.

إنّ علماء القراءات هم أيضا اعتنوابمعرفة هذا العضو ونظروا إلى ما وضعه علماء التشريح قديما، وحديثا، كما نجد ذلك عند ابن سينا في كتابه في سبب حدوث الحروف يقول: "أما الحنجرة فإنها مركبة من غضاريف ثلاثة:

---

[1]– محاضرة برنار بقراي أستاذ للأمراض الحنجرية، مستشفى سان شارل، من مجلة موسوعة طبية وتشريحية، د.ت.

أحدها موضوع إلى قدّام يناله المسُّ في المهازيل جدا عند أعلى العنق تحت الذقن، وشكله شكل القصعقة حدبته إلى خارج وإلى حَدْبَتِه، وتصغيره إلى خلف، ويسمى الغضروف

ثانيها خلفه، مقابل سطحه لسطحِه، متصل بالرباطات يُمْنة ويسرة، ومنفصل عنه إلى فوق، ويسمى عديم الاسم".

وثالثها قصعقة مكبوبه عليهما، وهو منفصل عن الدرقى مربوط بالذي لا اسم له من خلف مفصل، مضاعف يحدث من الزائدتين الذي لا اسم له وتستقر في نقطتين له، ويسمى المكبر، والطرجهالي"[1].

إن الاهتمام بدراسة الأصوات في القراءات القرآنية اهتمام قديم، وقد واصل العلماء الأجلاء تلك الدراسات جاهدين في ذلك، فتقدموا بخطوات واسعة في الاتجاه العلمي الحديث نظرا إلى أن الأصوات شيء محسوس، بينما الجوانب الأخرى من اللغة معظمها جوانب تجريدية، وبما أن الأصوات هي المادة التي تتألف منها اللغة، فهي أول ما يقدم العلماء على تناولها بالفحص والتحليل، وللأصوات جوانب على الأقل تستحق الدراسة والتحقيق، وخصوصا القراءات القرآنية، لأنها تعتمد على الأصوات البشرية، ومنها جوانب ثلاثة على الأقل[2].

<u>أولها:</u> جانب النطق تلك الأصوات ويشمل هذا الجانب الناحية الفيسيولوجية ووظائف أعضاء النطق المختلفة وطريقة تحركها بحيث تصدر الأصوات المتنوعة، والصفات الخاصة بكل من تلك الأصوات والتي تميّز صوتا عن آخر رغم ما يكون من تشابه كبير فيما بينها، إلى غير ذلك من الأمور.

---

[1]- ينظر رسالة أبي علي بن سينا، تحقيق محمد حسان الطيان، ويحي مير علم، ط، مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ص 66-65،

[2]- ينظر كتاب علم اللغة العلم، الأصوات، د.ط، دار المعارف، 1973.

ثانيها: جانب انتقال تلك الأصوات، ويشمل هذه الطبيعة الفيزيائية للأمواج الصوتية، والصفات المميزة لكل نوع من تلك الأمواج وقياسها والإفادة منها[1].

ثالثها: الجانب المتعلق باستقبال الصوت أو الجانب السمعي ويمتد هذا الجانب من اللحظة التي تستقبل فيها طبلة الأذن تلك الأصوات والذبذبات التي تحدثها في أجزاء الأذن المختلفة إلى أن تنتقل عن طريق الأعصاب إلى الدماغ. ويشمل هذا الجانب ناحيتين: الناحية العضوية أو الفيسيولجية والناحية النفسية. أما الأولى فتتعلق بدراسة طبيعة الجهاز السمعي ووظائف كل جزء منه والطريقة التي يجري فيها انتقال الصوت من الأذن الخارجية إلى الدماغ، وهذا مجاله علم ووظائف الأعضاء بشكل رئيسي. وأما الناحية النفسية فقد أشرنا إليها سابقا وهي ما يتعلق بطريقة فك الدماغ لرموز الرسالة التي تحملها الأعصاب إليه، وقد رأينا أن علماء علم النفس اللغوي يتعاونون فيما بينهم في محاولة للتوصل إلى تحليل كنه تلك العلمية العقلية البالغة التعقيد[2].

إن علم الأصوات الذي يبحث في علم القراءات القرآنية المدون بأحكام ملزمة، لأن القراءات كلها وحي، بل ما من اجتهاد بعد رسول الله في علم القراءات عموما كان يعبر عن تأسيس هذا العلم مشافهة بالتواتر عن رسول الله ﷺ إن الدليل على أن القراءات التي أقرها العلماء منزلة يجوز القراءة بها والتعبد بها، إن العلماء الأوائل حافظوا على نمط القراءات التي أكدها الرسول ﷺ مثل ما جاء في صحيح مسلم أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه"[3]،

---

[1]- ينظر كتاب الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، المكتبة الأنجلو المصرية، 1975.

[2]- ينظر كتاب: Introduction to theoretical linguistics، طبعة 1968 Combridje unive، Lyons، 1968.

[3]- صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافر، بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ج2، (561-562)، ط (د.ت).

وكان رسول الله ﷺ يدعو ربّه أن يخفف على أمته في قراءة القرآن لاختلاف لهجاتها، فأخبره جبريل الأمين قال: "فمرهم أن يقرأوا القرآن على سبعة أحرف"[1].

إن العلماء من بعد التابعين قد اخلتفوا في القراءات من حيث الأصوات أي النبرات التي يمكن أن تؤدي بطريقة مميزة لأن القرآن الكريم نزل على المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي بين ذلك للصحابة رضوان الله عليهم اختلاف تنوع حسب ما جاءت به القراءات من رب العزة وَحْيًا، على رسوله الصادق الأمين[2]، ومن المؤكد أن الله جل جلاله قد وضع سبلا تبيِّن للعلماء كيفية ضبط هذه القراءات القرآنية ففصل الآيات البينة بدلائل محكمة، ولذا نجد مواضع كثيرة في القرآن الكريم، فصلها تفصيلا تناقل العلماء بينهم شارحين إياها بطرق شتى كل حسب ما أوتي من علم وسماع على شيوخه الأجلاء، وقد ساعدهم في هذا المجال حرصهم الشديد على علوم العربية المتعلقة في: النحو، الصرف، والبيان. وما أوتوا من حكم بليغة مع حسن التلقي من فم الرسول ﷺ وحين جاء عصر التدوين زاد توثيق المعلومات بدقة، فكان أجدى وأنفع، وأكثر فائدة لما له من حفظ للمعلومات وأكثر نفعا.

من المؤكد أن القراءات التي أثبتها الرسول ﷺ لأن العرب في ذاك الزمان كان لهم لهجات مختلفة، حتى أنهم جعلوا أسواقا فيها يعرضون مختلف شؤونهم الحياتية بجميع أشكالها المستساغة لديهم، من شعر، ومبارزة بين أعيان القوم، وكان يضرب للنابغة الذبياني قبة خضراء فيحتكم إليه الشعراء سامعا إياهم ما جادت به قرائحهم مستحسنا صوتا من بين أصواتهم وأحيانا مصوبا أو شاحذا ومبينا ما يلزم

[1]- سنن الترمذي، باب في فاتحة الكتاب، وتفسير الطبري، ج1، طبعة دار المعارف، ص 35.

[2]- ينظر لمناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، ج1، ط عيسى (د.ت)، ص 145.

وما لا يلزم، وفي هذا الشأن قال الرسول ﷺ :" نزل هذا القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه. وكان له عليه الصلاة والسلام معرفة حسنة بقومه.

وإن الأصوات الحنجرية التي سندرسها هي التي وظفها القراء المشاهير، وتداولها الرواة من بعدهم جيلا بعد جيل بالتواتر عن السلف المشهود لهم بالثقة والورع؛ لأن هذا العلم جليل ولا يمكن لكل من أراد أن يبدي فيه رأيه بل هو وحي منزل من عند رب العزة حبا بِهِ نبيه تخفيفا على أمته التي لا تقرأ أو لا تكتب، ومن هذا القبيل نجد الأحرف السبعة التي ذكرت في الحديث الشريف تبيانا للصحابة آنذاك فقال عليه الصلاة والسلام حين جاءه أعرابي يسأله قائلا: أفم بر صيام فمفسر قال: "ليس فمبرر صيام فمصفر"[1]، وهذا يبين أن محمد ﷺ كان عارفا بلهجات القوم من أعراب وعرب مختلفة أنها من القراءات التي أثبتها الرسول ﷺ لأن العرب في ذاك الزمان كان لهم لهجات مختلفة، حتى أنهم جعلوا أسواقا فيها يعرضون مختلف شؤونهم الحياتية بجميع أشكالها المستساغة لديهم، من شعر، ومبارزة بين أعيان القوم، وكان يضرب للنابغة الذبياني قبة خضراء فيحتكم إليه الشعراء سامعا إياهم، ومبينا لهم ما أمكن من الكلام منظوما كان أو منثورا والمستساغ المرجح لدى القبائل العربية التي كانت ذات سمعة وتداولها الناس أو لصوابها؛ فالناس قبلوها لجودتها وجعلوها مرجعا لهم، حين يقرأون كما أن القراءات كلها وحي من عند الله جل جلاله حيث يقول: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[2] فإن الذي لا مراء فيه في هذه القراءات هو أن العرب كانوا يعرفون ضزابط النطق والفرق بين الصوت والآخر من غير مشقة، فهذا عمر بن الخطاب مر بأقوام يتعلمون الرمي، فقال أحدهم لصاحبه أسبت بالسين

---

[1]- الأمالي لأبي علي القالي، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة.

[2]- سورة القيامة الآية [18].

فقال ما لكم فقالوا: أنا متعلمين فقال: "والله إن خطأكم في لسانكم أشنع من رميكم"[1]، ومن هذا القبيل نجد الكثير في الآثار، ومن ذلك أيضا قول الرسول الكريم ﷺ :"أرشدوا أخاكم إنه قد ضلّ"[2] فجعل الخطأ في اللغة ضلالا، شدد عليه في مواطن كثيرة.

فالدراسة الصوتية في مجال القرآن الكريم، قد تناولها علماء اللغة والقراءات والأداء، كل منهم صنف فيها المتون والشروح المطولة منهم القدامى والمحدثون.

عند القدامى:

أهل اللغة، نجد أبا الفتح عثمان بن جني، حيث أنه تتبع حقائق بعض القراءات السبع في تخريج بعض الاحكام مثل ما جاء عنده في الإدغام الأصغر، فقال: "نحو عالم وكتاب، وسعى، وقضى" فيقول ألا تَرَاكَ قد قربت فتحه العين إلى كسرة اللام...[3]

وهكذا في مواضع الإمالة، وقد جعل ابن جني هذه الدراسات الصوتية منثورة في كتابه الخصائص فيقول في موضع آخر قد ثبت أن الإدغام المألوف هو المعتاد دائما هو تقريب صوت من صوت وهو في الكلام على ضربين:

أحدهما أن يتلقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام فيدغم الأول في الآخر والأول من الحرفين في ذلك على ضربين: ساكن ومتحرك، فالمدغم الساكن كطاء قَطَعَ وكاف سكن الأولين والمتحرك نحو دال شد ولام معتلّ.

---

[1]- الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط المكتبة العصرية، بيروت، 1978، ص 244.

[2]- الخصائص لابن جني، ج1، الحديث مروي في كتاب الفضائل، للبخاري، ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 8.

[3]- ينظر كتاب الخصائص لابن جني، ص 142.

ثانيهما: أن يتلقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معهما الإدغام، فتقلب أحدهما على لفظ صاحبه فتدغمه فيه وذلك مثل ودّ في اللغة التميمِّة.

ومن ذلك أن تقع فاء (افتعل) زايا أو دالا فتقلب تاؤه لها دالا، كقولهم ازدان وادعى، و "اذكر وادّكر"[1]، فيما حكاه أبو عمرو[2]. ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق، نحو شعير وبعير، ورغيف[3]، كما جاء في أمالي الشجري في صوت الأسد زئير الأسد يريد زئير، لأسد[4] وكان لابن جني باع طويل في الدراسات الصوتية في كتابه الخصائص وقد قرنها باللغة؛ كأنه جعل اللغة أصل في معرفة القرآن الكرييم وبيانه وقرن القراءات القرآنية في كتابه اخصائص في أبواب كثيرة مثلما جاء في قوله تعالى: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)[5] فليس من باب المجاز في الكلام بل هو حقيقة قال أبو الحسن[6] خلق الله لموسى كلاما في الشجرة أو فمّا أو غيرهم فهو شيء آخر، لكن الكلام واقع، ألا ترى أن المتكلم منا إنما يستحق هذه الصفة بكونه متكلما لا غير، لا لأنه أحدثه في آلةِ نطقه، وإن كان لا يكون متكلما حتى يحرك آلات نطقه، فإن قلت: أرأيت لو أن أحدنا عمل وحركها واحتذى بأصواتها أصوات الحروف المقطعة المسموعة في كلامنا أكنت تسميه متكلما وتسمى تلك الأصوات كلاما؟

1- ينظر كتاب التبيين، ص 258.

2- أحد القراء السبعة المشهورين.

3- الخصائص، أبى الفتح بن جني، تحقيق محمد علي النجار،ج2، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ص 450.

4- ابن الشجري، طبعة حيدر أباد، ط الأولى سنة 1349هـ، ص 158.

5- سورة النساء الآية [164].

6- هذا على قول المعتزلة الذين ينكرون الكلام النفسي على الله سبحانه ويذكر المؤلف أن هذا الكلام حقيقة لا مجاز.

ولنضرب مثلا بما جاء به ابن جني في عصرنا هذا جهاز المسجلة والمذياع والقرص المرن وأنواعه التي تحدث أصواتا مختلفة، إذ أن هذه الأصوات تفتقر للنفس الذي يحدث أثناء عملية التصويت.

مع الرئة والقصبة الهوائية، والفم والأنف والجيوب الموجودة، التي تساعد في عملية الصوت الذي يصدر نتيجة ذبذبة الوترين.

وبتحليل بسيط لخواص الصوت، يستنتج وجود خاصيتين أساسيتين له هما:

1- درجة الصوت وتنتج عن تقسيم الوترين الصوتيين التيار الهوائي إلى نفخات، وهذا التقسيم يؤدي إلى ظهور طبقة الصوت.

2- حجم الصوت: ينتج حجم الصوت أو "شدته" عن طريق الحنجرة، نتيجة لضغط الهواء داخل الرئتين، والناتج عن انقباض عضلات الصدر والبطن، ويستلزم الحصول على صوت طبيعي، سلامة الحنجرة والوترين الصوتيين إضافة إلى التحكم العصبي، وسلامة عضلات الصدر والبطن، وتخضع عملية الصوت إلى تنسيق وتكامل بين الأجهزة الآتية:

1. الجهاز المتحكم في حركة التيار الهوائي المتمثل في الجهاز التنفسي.
2. مولد الصوت وهو الحنجرة والوترين الصوتيين.
3. مكبر ومضخم صدى الصوت، ويشمل بتجويف الفم والبلعوم والجيوب الانفية.
4. جهاز التحكم الوظيفي والمنسق الصوتي، وهو الجهاز العصبي المركزي، والأعصاب الطرفية[1].

---

[1]- ينظر الموسوعة الطبية، لروجي دينكر، 1750..

ويصدر الصوت من الحنجرة نتيجة لاهتزاز الوترين الصوتيين بصورة منتظمة ومحكمة، بل يعد ذلك هو الأساس لإنتاج الصوت، وإخراج الكلمات.

ومعنى ذلك أن الصوت يصدر من الحنجرة، من خلال تحرك الوترين الصوتيين انقباضا وانبساطا، فعندما يأخذ الإنسان شهيقا عنيفا، فإن الوتريرن الصوتيين يلتقيان ويلتمسان، ثم تنقبض عضلات الصدر والبطن، فيخرج الهواء من بين الوترين الصوتيين محدثا الذبذبة التي تنتج عنها الصوت، وبتغيير درجة انقباض الوترين الصوتيين وما يتبعه من التغيير المناسب في أطوالها تحت الاختلافات في نبرات الصوت حسب الأشكال الآتية التي تبين ذلك.

ولِقُوَّةِ الصوت لابد من توافر الطاقة فهي كمية الهواء المخزون بالرئتين ومع استقرار الكلام، ونفاذ ذلك يخفت الصوت، هذا الخفوت وللاستمرار في الكلام على نحو متصل، فإن ولاستعادة القدرة على الكلام، لابد من الكف عنه لكي يمكن حد الشهيق.

والواضح أن سلامة الصوت ونقائه يستلزم تلامس الوترين الصوتيين بنعومة شديدة وسلامة الغشاء المخاطي المبطن لهما، فإن أي خلل في الغشاء يؤدي إلى التغيير في النبر كما هو مبين في الصفحات الآتية 7، 8، 9.

وإن أهم ما فيها الوتران الصوتيان، لأنهما الأساس في إحداث الصوت، وذلك بالاهتزاز.

1. الوتران: وهما عضلتيان تتصفان بالمرونة والرهافة مثل الشفتين يوجدان داخل الحنجرة أفقيا من الخلف إلى الأمام فتلتقيان عند تفاحة آدم.

2. المزمار وهو الفراغ الذي بين الوترين.

3. لسان المزمار هو تلك اللحمة الواقعة فوق المزمار، حيث تعتبر ضماما يقي طريق التنفس أثناء البلع، إذ تتراجع هذه اللحمة إلى الخلف فسد فتحة المزمار حين مرور الطعام إلى المريء إلا أنها تدخل في عملية التصويت ولا سيما في أصوات الحلق كالعين.

4. الحلق: وهو الجزء بين الحنجرة والفم.

5. اللسان: هو الجهاز الصوتي كله، إن فبأوضاعه المختلفة التي يقوم بها حين النطق تتباين الأصوات اللغوية وتتمايز، ولذلك قسمه العلماء إلى ثلاثة اقسام:

أولها أول اللسان بما في ذلك طرفه والثاني وسطه والثالث أقصاه.

6. الحنك الأعلى ويسمى بسقف الفم وينسقم إلى قسمين:

الأول أما من صلب يدعي الغار والثاني خلفي رخو يدعي الطبق.

7. للهاه: هي لحمة زائدة تنتهي إلى الجزء الخلفي الرخو من الحنك الأعلى.

8. الأسنان وهي قسمان علوية وسفلية.

9. أصول الأسنان وتسمى اللثة.

10. الفراغ الأنفي الذي يندفع خلاله النفس حين ينغلق الفم.

11. الشفتان وهما عضلتان مستديرتان ينتهي بها الفم[1].

---

[1]- ينظر كتاب المحيط لمحمد الأنطاكي في أصوات العربية ونحوها وصرفها، الجزء الأول، طبعة دار الشرق العربي، بيروت ، لبنان، ط2، د.ت، ص 12-13.

فيسيلوجية الصوت ودور الوترين الصوتيين.

وظائف الحنجرة:

1- وظيفة تنفسية: الحنجرة هي طريق الهواء إلى الرئتين، وإذا حدث انسداد لهذا الطريق يتعرض الإنسان للموت اختناقا لذلك تحدث له نوبة سعال حاد لطرد أي جسم غريب.

2- المساعدة على ضغط الهواء في منطقة البطن، عند إغلاق الحنجرة، كما يحدث في حالات الشهق كما يسمى عندنا أو ما يشبه حاله التبرز لدى الإنسان.

3- البلع: تساعد الحنجرة في عملية البلع، كما أنها تغلق أثناء ابتلاع الطعام يمنع سقوطه في مجرى الهواء، حتى لا يحدث منع الكلام واختناق بعده سعال في الخيشوم.

4- الكحة وطرد البلغم من الرئتين والشعب الهوائية: لذا فهي إحدى العمليات الحيوية المهمة بالجسم.

كذلك للتخلص من الإفرازات، والمخاط المتجمع يحدث انقباض في عضلات الصدر والبطن؛ ما يؤدي إلى ارتفاع في ضغط الهواء داخل تجويف الصدر، ومع ابتعاد الوترين الصوتيين عن بعضهما، يندفع حاملا معه المخاط إلى خارج الجسم.

5- وظيفة صوتية: وهذه الأخيرة هي المجال الذي نسهب الكلام فيه بقسط وافر؛ إذ هي الأساس الذي يشارك مشاركة قوية في عملية التصويت المتمثلة في الوترين الصوتيين[1].

---

[1]- ينظر

Otolaryngology, Basic Sciences, Part 1, suxth, Edition WS. p : 1997.

وكتاب أمراض الأذن والحنجرة، لمحمد عثمان، ط الأهرام للترجمة والنشر، طبعة 1، القاهرة، 1999.

الباب الأول

مظاهر الدلالة الصوتية في القراءات القرآنية

الفصل الأول

عناية القرءان العظيم بالأصوات

1- القرآن والصوت اللغوي

2- البيانات الصوتية

3- التنغيم وعلماء القراءات

4- التنغيم لدى النحاة

5- إدراك النحاة لمفهوم التنغيم

6- ذكر الصوت في القرآن الكريم

انصبت عناية القرآن العظيم بالاهتمام في إذكاء حرارة الكلمة عند العرب، وتوهج العبارة في منظار حياتهم، وحدب البيان القرآني على تحقيق موسيقي اللفظ في جمله، وتناغم الحروف في تركيبه، وتعادل الوحدات الصوتية في مقاطعه[1]، فكانت مخارج الكلمات متوازنة النبرات، وتراكيب البيان متلائمة الأصوات، فاختار لكل حالة مرادة ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها، فجاء لفظ متناسبا مع صورته الذهنية من وجه، ومع دلالته السمعية من وجه آخر، فالذي يستلذه السمع، وتستسيغه النفس، وتقبل عليه العاطفة هو المتحقق في العذوبة والرقة، والذي يشرأب له العنق، وتتوجس منه النفس هو المتحقق في الزجر والشدة، وهنا ينبه القرآن المشاعر الداخلية عند الإنسان في إثارة الانفعال المترتب على مناخ الألفاظ المختارة في مواقعها فيما تشيعه من تأثير نفسي معين سلبا وإيجابا.

وبيان القرآن المجيد تلمح فيه الفروق بين مجموعة وهذه الأصوات في إيقاعها، والتي كونت كلمة معين في النص، وبين تلك الأصوات التي كونت كلمة أخرى؛ وتتعرف فيه على ما يوحيه كل لفظ من صورة سمعية صارخة تختلف عن سواها قوة أو ضعفا، رقة أو خشونة، حتى تدرك بين هذا وذاك المعنى المحدد المراد به إثارة الفطرة، أو إذكاء الحفيظة، أو مواكبة الطبيعة بدقة متناهية، ويستعان على هذا الفهم لا بموسيقى اللفظ منفردا، أو بتناغم الكلمة وحدها، بل بدلالة الجملة أو العبارة منضمة إليه[2].

إن إيقاع اللفظ المفرد، وتناغم الكلمة الواحدة، عبارة عن جرس موسيقى للصوت فيما يجلبه من وقع في الأذن، أو أثر عند المتلقي، يساعد على تنبيه

[1]– مناهل العرفان للزرقاني في علوم القرآن ص 145.

[2]– المرجع نفسه، ص 250.

الأحاسيس في النفس الإنسانية، لهذا كان ما أورد القرآن الكريم في هذا السياق متجاوبا مع معطيات الدلالة الصوتية: "التي تستمد من طبيعة الأصوات نغمتها وجرسها". فتوحي بأثر موسيقي خاص، يستنبط من ضم الحروف بعضها ببعض، ويستقرأ من خلال تشابك النص الأدبي في عبارته، فيعطي مدلولاً متميزا في مجالات عدة: الألم، البهجة، اليأس، الرجاء، الرغبة، الرهبة، الوعد، الوعيد، الإنذار، التوقع، الترصد، التلبث، ... الخ.

ولا شك أن استقلالية أية كلمة بحروف معينة، يكسبها صوتيا ذائقة سمعية منفردة، تختلف –دون شك– عما سواها من الكلمات التي تؤدي المعنى نفسه، مما يجعل كلمة ما دون كلمة، وإن اتحدا بالمعنى، لها استقلاليتها الصوتية، إمّا في الصدى المؤثر، وإما في البعد الصوتي الخاص، وإما بتكثيف المعنى بزيادة المبنى، وإما بإقبال العاطفة، فهي حينا تصك السمع، وحينا تهيء النفس، وحينا تضفي صيغة التأثر، فزعا من شيء، أو توجها لشيء، أو طمعا في شيء، وهكذا.

هذا الدرس الحافل تضفيه الدلالة الصوتية للألفاظ، وهي تشكّل في القرآن الوضع الخاص المتجلي بكلمات مختارة، تكونت من حروف مختارة، فشكلت أصواتا مختارة، هذه السّمات في القرآن بارزة الصيغ في مئات التراكيب الصوتية في مظاهر شتى، ومجالات عديدة، تستوعبها جمهرة هائلة من ألفاظه في ظلال مكثفة في الجرس والنغم والصدى والإيقاع[1].

قال أبو الخطاب (ت: 388 هجري) إن الكلام إنما يقوم بأشياء ثلاثة: "لفظ حاصل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه

[1]- الشامل في القراءات القرآنية تأليف الدكتور محمد الحبش دار الكلم الطيب دمشق بيروت ص31 وما بعدها.

في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح، ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظه"[1].

بجميع الأبعاد، يضاف إليه الوقع السمعي للفظ، والتأثير النفسي للكلمة، والمدلول الإنفاعلي بالحدث، وتلك مظاهر متأنقة قد يتعذر حصرها، وقد يطول الوقوف عند استقصائها دلالة الفزع الهائل:

استعمل القرآن طائفة من الألفاظ، ثم اختيار أصواتها بما يتناسب مع أصدائها، واستوحى دلالتها من جنس صياغتها، فكانت دالة على ذاتها، فالفزع مثلا، والشدة، والهدة، والاشتباك، والخصام، والعنف، دلائل هادرة بالفزع الهائل والمناخ القاتل.

قف عند مادة صرخ في القرآن، والصرخة الصيحة الشديدة عند الفزع، والصراخ الشديد، لتلمس عن كثب، بعفوية بالغة، الاستغاثة بلا مغيث، في قوله تعالى: (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا)[2]، مما يوحي بأن الصراخ قد بلغ ذروته، والاضطراب قد تجاوز مداه، والصوت العالي الفظيع يصطدم بعضه ببعض، فلا أذن صاغية، ولا نجدة متوقعة، فقد وصل اليأس أقصاه، والقنوط منتهاه، فالصراخ في شدة إطباقه، وتراصف إيقاعه، من توالي الصاد والطاء، وتقاطر الراء والخاء، والترنم بالواو والنون يمثل لك رنة هذا الاصطراخ المدوي "والاصطراخ الصياح والنداء والاستغاثة: افتعال من الصراخ قلبت التاء طاء لأجل الصاد الساكنة قبلها، وإنما نفعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الاستعلاء والإطباق، ويوافق التاء في المخرج"[3].

---

[1]- ينظر كتاب الخصائص لابن جني تحقيق محمد علي النجار، أستاذ بكلية اللغة العربية، مصر، ج1، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ص65.

[2]- سورة فاطر، الآية رقم [37].

[3]- المصدر السابق، ص 71.

والاصطراخ هو الإغاثة، وتلبية الصّارخ، وقوله تعالى: (مَا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ)[1]، تعني البراءة المتناهية والإحباط التام، والصوت المجلجل في الدفع، فلا يعني بعضهم عن بعض شيئا، ولا يجني أحدهم الآخر من عذا الله، ولا يغيثه مما نزل به، فلا إنقاذ ولا خلاص ولا صريخ من هذه الهوة، وتلك النازلة، فلا الشيطان بمغيثهم، ولا هم بمغيثيه.

والصريخ في اللغة يعني المغيث والمستغيث، فهو من الأضداد، وفي المثل: عَبْدٌ صريخه أمة، أي ناصرة أذل منه، وقد قال تعالى: (فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ)[2]. فيا له من موقف خاسر، وجهد بائر، فلا سماع حتى لصوت الاستغاثة ولا إجارة مما وقعوا فيه.

والاستصراخ الإغاثة، واستصرخ الإنسان إذا أتاه الصارخ، وهو الصوت يعلمه بأمر حادث ليستعين به.

قال تعالى: (فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ)[3]. طلب للنجدة في فزع، ومحاولة للإنقاذ في رهب، والاستعانة على العدو بما يردعه عن الإيقاع به، وما ذلك إلا نتيجة خوف نازل، وفزع متواصل وتشبث بالخلاص.

وما يستوحي من شدة اللفظ في مادة "صرخ" يستوحي بإيقاع مقارب من قوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ). لتبرز "متشاكسون" وهي تعبر لغة عن المخاصمة والعناد والجدل في أخذ ورد لا يستقران، وقد تعطي معناها الكلمة: متخاصمون ولكن المثل القرآني لم يستعملها حفاظا على الدلالة الصوتية التي أعطت

1- سورة إبراهيم، الآية [22].

2- سورة يس، الآية [33].

3- سورة القصص، الآية [18].

معنى النزاع المستمر، والجدل القائم، وقد جمعت في هذه الكلمة حروف التفشي والصغير في الشين والسين تعاقبا، تتخللها الكاف من وسط الحلق، والواو والنون للمد، والتأثر بالحالة، فأعطت هذه الحروف مجتمعة نغما موسيقيا خاصا حمّلها أكثر من معنى الخصومة والجدل والنقاش ما أكسبها أزيزا في الأذن، يبلغ به السامع أن الخصام ذو خصوصية بلغت درجة الفورة، والعنف والفزع من جهة، كما أحيط السمع بجرس مهموس معين ذي نبرات تؤثر في الحس والوجدان من جهة أخرى.

وتأمل مادة "كب" في القرآن، وهي تعني إسقاط الشيء على وجهه كما في قوله تعالى: (فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ)[1] فلا إنقاذ ولا خلاص ولا إخراج، والوجه أشرف مواضع الجسد، وهو يهوي بشدة فكيف بباقي البدن.

والأكباب جعل وجهه مكبوبا على العمل، قال تعالى: (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى)[2].

والكبكبة تدهور الشيء في هوة، قال تعالى: (فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ)[3]، وهذه الصيغة قد حملت اللفظ في تكرار صوتها، زيادة معنى التدهور لما أفاده الزمخشري (ت: 538 هجري) بقوله: "إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى".

وقال العلامة الطيبي (ت: 743 هجري): "كرر الكب دلالة على الشدة"، ومن هنا نفيد أن دلالة الفزع فيما تقدم من ألفاظ أريدت بحد ذاتها لتهويل الأمر، وتفخيم الدلالة، وهذا أمر مطرد في القرآن، وقد يمثله قوله تعالى: (فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا

---

[1]- سورة النمل، الآية [90]

[2]- سورة الملك، الآية [22].

[3]- سورة الشعراء، الآية [94].

غَشِيَهُمْ)[1]، والمادة نفسها قد توحي بشدة الإتيان والتوقع عند النوائب، دلالة النغم الصارم:

أصوات الصفير في وضوحها، وأصداؤها في أزيزها، جعل لها وقعا متميزا ما بين الأصوات الصوامت، وكان ذلك -فيما يبدو لي- نتيجة التصاقها في مخرج الصوت، واصطكاكها في جهاز السمع، ووقعها الحاصل ما بين هذا الالتصاق وذلك الاصطكاك، هذه الأصوات ذات الجرس الصارخ هي: الزاي، السين، الصاد، يلحظ لدى استعراضها أنها تؤدي مهمة الإعلان الصريح عن المراد في تأكيد الحقيقة، وهي بذلك تعبر عن الشدة حينا، وعن العناية بالأمر حينا آخر، مما يشكل نغما صارما في الصوت، وأزيزا مشددا لدى السمع، يخلصان إلى دلالة اللفظ في إرادته الاستعمالية، ومؤداه عند إطلاقه في مظان المعنى[2].

وسأقف عند ثلاثة صيغ قرآنية ختمت بحروف الصفير، لرصد أبعادها الصوتية، هي: "رجز" و"حصحص".

الرجز: في مثل قوله تعالى: (أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ)[3]، وقوله تعالى: (لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ)، ويظهر في أصل الرجز الاضطراب لغة، فتلمس فيه الزلزلة في ارتجاجها، والهدة عند حدوثها، والنازلة في وقوعها، ولما كان القرآن العظيم يفسر بعضه بعضا، فإننا نأنس على هذه المعاني في كل من قوله تعالى: (أَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء)[4] وقوله تعالى:(إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء

---

[1]- سورة طه، الآية [78].

[2]- ينظر الأصول دراسة ايستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، نحو، فقه لغة ،بلاغة للدكتور تمّام حسّان.

[3]- سورة سبا، الآية [05].

[4]- سورة البقرة، الآية [59].

بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[1] ونستظهر في الرجز الإرسال والإنزال من السماء بضرس قاطع وأمر كائن بتعتباره آخر العلاج بعد تحذير والإنذار.

وحينما تقارن لفظ "الرجز" بمثيله معنى ومبنى "رجس" وهي مكونة كتكوينها في الراء والجيم، والسين، كالزاي، من حروف الصغير شديدة الاحتكاك في مخرج الصوت، ولها ذات الإيقاع على الأذن؛ حينما نقارن صوتيا ودلاليا بين الصوتين نجد المقاطع واحدة عند الانطلاق من أجهزة الصوت، ونجد المعاني متقاربة في الإفادة، فقد قيل للصوت الشديد؛ رجس ورجز، وبعير رجاس شديد الهدير، وغمام راجس ورجاس شديد الرعد.

قال تعالى: (قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ)[2]، وقال تعالى: (وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ)[3]، كل هذه الاستعمالات متواكبة دلاليا في ترصد العذاب وصبه وإنزاله، وهذا لا يمانع من أن تضاف للرجس جملة من المعاني الأخرى لإرادة الدنس والقذارة ومرض القلوب، وحالات النفس المتقلبة، نرصد ذلك فغي كل من قوله: (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[4]، وقال تعالى: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ)[5]، وقال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[6]، فالصوت في المعاني كلها الصوت نفسه، والصدى ذات الصدى ومن هنا أورد الراغب (ت: 502 هجري): أن الرجس على أربعة أوجه: إما من حيث الطبع، وإما من جهة العقل، وإما عن جهة الشرع، وإما

---

[1]- سورة العنكبوت، الآية [34].

[2]- سورة الأعراف، الآية [20].

[3]- سورة الأنعام، الآية [125].

[4]- سورة المائدة، الآية [93].

[5]- سورة الحج، الآية [30].

[6]- سورة الأحزاب، الآية [33].

من كل ذلك. والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر، وقيل: إن ذلك رجس من جهة العقل، وجعل الله تعالى الكافرين رجسا من حيث أن الشرك بالعقل أقبح الأشياء.

وحينما نقف عند الصاد في مثل قوله تعالى: (قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ)[1]، فإننا نستمع إلى الصوت المدوي، إذ كانت الصاد واضحة الصدور من المخرج الصوتي. فكانت "حصحص" واضحة الظهور بانكشاف الأمر فيما يقهره على الأذعان، وهنا قد يمتلك العجب لدى اختيار هذا اللفظ في أزيزه، ووضوح أمره مع القهر، فلا ترد دلائلهم ولا تخبو براهينه.

فإذا شددت الصاد كانت دلالتها الصوتية، وإرادتها المعنوية أوضح لزما، وأشد استظهارا، وأكثر إمعانا كما في قوله تعالى: (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ)[2]، فالتحصيل إخراج اللب من القشور، كإخراج الذهب من حجر المعدن، والبر من السنابل، فهو إظهار لما فيها كإظهار اللب من القشر، أو كإظهار الحاصل من الحساب.

والصوت في صيغة الإرعاب، وفي سياق الوعيد، قد تلمس فيه نزع ما في القلوب من أسرار، واستخراج ما فيها من خفايا، دون طواعية من أصحابها.

وقد يعطي ذوي العبارة، وهيكل البيان، صيغة الإنذار، وأنت تصطدم بالوقوف عند السين من حروف الصفير في قوله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)[3].

---

[1]- سورة يوسف، الآية [54].

[2]-سورة العاديات، الآية [09].

[3]- سورة التكوير، الآية [18].

1- القرآن والصوت اللغوي:

اتخذت المباحث الصوتية عند علمائنا العرب القرآن أساسا، وجعلته منطلقا، ومنه استلهموا النتائج وذلك حين نمزج الأصوات اللغوية بالفكر؛ فنرصد الأبعاد لتكون خدمة للقرآن الكريم، فالقرآن كتاب هداية وتشريع لاشك في ذلك، ومن جانب لغوي فهو الحارس الذي خلدت به، إذ يقوم لسانها ويقوم أود بيانها، فهي محفوظة به وهو محفوظ بالله تعالى. وفي هذا الشأن يقول عزّ من قائل: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1] ولذا بقيت العربية في دروتها.

والواضح أن رصد الظواهر الصوتية في العربية يدلّ على العناية باللغة ذاتها وتُتَوجها بدعائم من الأصل لأن الأصواتَ بانضمامها إلى بعضها تشكل مفردات تلك اللغة، والمفردات وحدها تمثل معجمها، وبها يتمثل الكلام في تلك اللغة، والقدرة على تناسق هذا الكلام البليغ من مهمة الأصوات في تناسقها وتآلفها وتنافر الكلمات، وتهافتها قد يعود على الأصوات في مخارجها، أو في طبيعة تركيبها أو من تداخل مقاطعها أوانضامها، ذلك أن اللغة أصوات، ومصدر الصوت الإنساني في معظم الأحيان هو الحنجرة، أو بعبارة أدق الوتران الصوتيان فيها، فاهتزاز الوترين، هي التي تنطلق من الفم أو من الأنف، ثم تشغل خلال الهواء الخارجي ولغتنا العربية كباقي اللغات هي أصوات إلا أنها متميزة عنها بصوت الضاد التي سميت به "لغة الضاد"[2] ومن عجائب القرآن الآدائية في قوله تعالى: (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ)[3].

---

[1]- سورة الحجر، الآية [09]

[2]- ينظر كتاب الخصائص لابن جني من باب ذكر علل العربية، ص 41، ص 86، ص 96.

[3]- من سورة السجدة الآية [49]

فالبحث في القراءات صوتيا، يكفي إيراد بعض النماذج الآتية:

1- الاستفتاح بالثناء على الله في قوله تعالى من سورة الفاتحة (الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

2- الاستفتاح بالنداء كما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ).

3- الاستفتاح بالقسم كما في قوله تعالى أول سورة الفجر (وَالْفَجْرِ).

4- الاستفتاح بالكلمة الخبرية من سورة (الْمُؤْمِنُونَ) وذلك فيي قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ).

5- الاستفتاح بصيغة الأمر كما في أول سورة العلق وذلك في قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ).

6- الاستفتاح بصيغة الشرط كما في أول سورة النصر في قوله تعالى: (إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ).

7- الاستفتاح بصيغة الاستفهام كما في أول سورة النبأ في قوله تعالى: (عَمَّ يَتَسَاءلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ)[1].

8- الاستفتاح بالدعاء كما في أول سورة المطفيفين في قوله تعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ).

9- الاستفتاح بالتعليل وقد ورد مرة واحدة في القرآن في سورة لإيلاف وذلك في قوله تعالى: (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ)[2]. الاستفتاح بحروف التهجي وهي موضوع خاص فيه باحثون كثر، إذ تأخذ

---

[1]- سورة النبأ، الآية [01].

[2]- سورة قريش، الآية [01]

جانبا من الدراسة إلا وهو الصوت اللغوي، إذ تم استفتاح تسع وعشرين سورة في المصحف الشريف بحروف هجائية مقطعة يمكن حصرها بالضبط في النحو الآتي:

أ. ثلاثة حروف موحدة هي: ص، ق، ن.

ب. عشرة حروف مثناة هي: طه، طس، يس وعم استعملت في افتتاح سبع سور فهي عشرة.

ت. اثنتاعشرة مثلثة الحروف هي: ألم، ألر، طسم وقد تكرر الأولان، ألر خمسة مرات، وألم أربعة مرات، دون طسم.

ث. اثنان حروفهما 4: ألمر، ألمص.

ج. اثنان حروفها خمسة: كهيعص، حمعسق، وقد اهتم علماء الإعجاز بالتصنيف الصوتي لهذه الحروف في فواتح هذه السور، وبيان أسرارها التركيبية، ودلالتها الصوتية ولقد كان الباقلاني (403 هـ) في طليعة هؤلاء الأعلام فقال:

"إن الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجز تصف الجملة وهو أربعة عشر حرفا ليدل بالمذكور على غيره والذي ينقسم إليه هذه الحروف أقساما فمن ذلك قسموها إلى حروف مهموسة وأخرى مجهورة فالمهموسة منها عشرة وهي: الحاء، الهاء، والخاء، والكاف، والشين، والثاء، والفاء، والتائ، والصاد، والسين وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة".

وقد أيد أهل اللغة المذهب الأول للباقلاني بما أورده الشيخ الطوسي (ت 460هـ) عنهم فقال بعضهم هي حروف المعجم..."[1].

2. البيانات الصوتية

أما ما جاء في التراث عن بيان التنعيم ووظيفته فنجد العلماء لا يحصرونه في اختلاف درجات الصوت التي ينشأ عنها ارتفاع النغمة أو هبوطها، وقد رأينا للتنعيم وظيفتين أساسيتين هما كالآتي:

1- وظيفة آدائية: بما يتم نطق اللغة حسب النظام المتعارف عليه عند أهلها، من حيث الإلتزام بطرق أدائها، لأنه لو لم يلتزم بها يصبح نطقه وكلامه غير واضح.

2- وظيفة دلالية، وهو أن التنعيم له تأثير على بيان وتوضيح الدلالة المختلفة ومقاصد الكلام.

ومن الواضح أن الدراسات العربية في هذا المجال قد ألفتت العلماء إلى الحاجة الماسة إليها ودراسة طرق الأداء المختلفة عند القراء في أبواب مختلفة، كالوقف، والوصل، ومد حيث أنها تحمل عند النطق بها تنغيمات، كما أن النحاة لم يفعلوا عن هذه الظاهرة عند استنباطهم لقواعد اللغة، فلم يهملوا دلالة التنعيم، وتتبعوا ذلك لتقنين قاعدة التنغيم بمشافهة الفصحاء، والسماع منهم، والتذوق لنطقهم ومن خلال هذا الآنف قد وضعوا قواعد، وكان نطقهم يحمل تنغيما معينا كما جاء في كم الخبرية والاستفهامية، وفي الاستفهام والتعجب والإغراء والتحذير[2].

والحق أن الأداء الصحيح للغة، ونطقها له أسس ومعايير، دونها العلماء، ينبغي أن تلقن وتعرف، والعلم الحديث الذي أكد على ذلك هو "علم الأصوات" فأداء

---

[1]- الطوسي، التبيان في تفسير القرءان، ج1، ص 48.

[2]- ينظر كتاب النحو والصرف لابن هشام وكتاب شرح ابن عقيل.

النطق عند أصحاب اللغة يؤدي إلى اختلاف المعاني وتباين المقاصد، وناهيك عن عدم وضوح المعنى، فمعرفة النطق الصحيح فلا يقل في أهميته عن معرفة علم النحو. واللسانيات قدم راسخة في دراسة الأداء في اللغات والنطق الصحيح، كان من ثمارها مجال علم الأصوات كالمماثلة والنير والتنغيم إلى غير ذلك، والأصل في اللغة أن تكون منطوقة[1].

فمن المؤكد أن علماء القراءات كان لهم السبق في الإدلاء برأيهم الثاقب، وقد وضحوا لنا كثيرا من معطيات اللسانيات، ويبدو ذلك في قراءة التراث المبثوث عبر الأزمنة الذي خلفه العلماء، والتي تظهر براعتهم في التحليل والتعليل والتفسير والاستنباط فعلينا أن ننبذ المقولة التي تبعدنا عن اللسانيات بدعوى أنها الا تمتّ بصلة لتراثنا، فلقد كان لعلماء الساميات أثر في تقديم قواعد اللغة العربية لأممهم، وكان للمستشرقين توجهات أعطت نصيبا من التفكير العربي في مختلف الميادين، هذا (Noham Shomsky) يعتبر حمزة قيلان بأنه قد استفاد من التراث اللغوي العربي كما أن فيرث قد استفاد من اطلاعه على اللغات الشرقية وهو من المدرسة اللغوية الإنجليزية حيث إن تحليله اهتم فيه بالأصوات (Prosodies)2 (أي مجموعة قواعد تنغيمية) كما استفاد من الهنود عندما كان في جامعة البانجاب لذا يتوجب علينا أن نقدم تراثنا ونوصله بما يوافق العصر، بما يفيد لغتنا في حاضرها ومستقبلها دون إخلال، أو إتلاف، ولو تتبعنا المصادر والمراجع لوجدنا لغتنا كانت ينبوع وإشعاع للدراسات اللغوية المحدثة في علم اللسانيات.

---

[1]- ينظر كتاب الخصائص لابن جني بتحقيق محمد علي النجار، د.ت، ط بيروت، لبنان.

[2]- ينظر كارتر تعريب، محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، ص 179.

وبعد عرض الخلاصة عن التنغيم في تراثنا، لابد أن نعرف معنى التنغيم: فأول من أدخل مصطلح التنغيم في الدراسات اللغوية العربية هو إبراهيم أنيس وسماه "موسيقى الكلام" ذكر أن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد، يختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها: ويمكن أن تسمى نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية[1].

فالتنغيم مصطلح لساني يقابل لفظ "Intonation" يقول روبتر معرفا التنغيم "تتابعات مطَّردَة من الدرجات الصوتية المختلفة" ويقول دانيال جونز: "التنغيمر ربما يعرف بالتغيرات التي تحدث في درجة نغمة الصوت في الكلام والحديث المتواصل، هذا الاختلاف في النغمة يحدث نتيجة لذبذبات الوتيرين الصوتيين.

لذا يجب أن كل جملة أو كلمة ينطق بها لابد أن تشتمل على درجات مختلفة من درجات الصوت ما بين عالية ومنخفضة ومستوية ومتجردة تتناسق وتتناغم لتكون الكلمة والجملة، فاختلاف درجة الصوت في الكلمة وتباينها من مقطع إلى مقطع آخر قاعدة عامة تخضع له جميع اللغات؛ إذ أنه من المستحيل أن نجد لغة تستعمل نغمة واحدة في الكلمة أو الجملة وتجعلها سائدة في كل الجملة وأجزائها، فلابد أن تكون هناك عدة نغمات متآلفة ومتناسبة في الكلمة.

فلنعد إلى الوظائف التي يقوم بها التنغيم،

1- الوظيفة التنغيمية التي يتم بها نطق الجملة، في اللغة حسب نظم الأدءات فيها وحسب ما يقتضيه العرف عند أهل اللغة.

---

[1]- ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، ص 176.

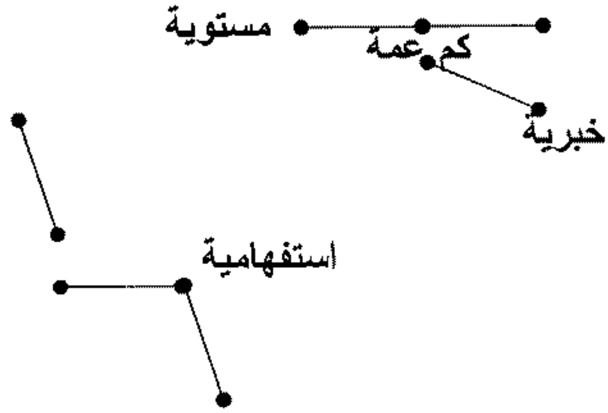
2- وظيفة دلالية بها يتم معرفة المعاني المختلفة رغم أن هاتين وظيفتان مختلفتان إلا أنه لا يمكن أن نفصل الوظيفة الآدائية عن الوظيفة فهما متلازمان متكافئان، فالتنغيم، وأهمية ما يسمى بدرجة الصوت فالتنغيم هو مجموعة من الأداء الصوتي بما يحمل من نبرات، وفواصل صوتية وتتابع مطرد للسكنات والحركات بما حدث الكلام وتمييز دلالته.

وكما أسلفنا تظهر دلالة التنغيم في النطق مثل ما جاء في قول الشاعر:(الفرزدق)

[من البسيط]

كَمْ عمةٍ لك يَا جَرِير وخَالة ❁ فَدعاء حَلبت عليّ عشاري

فإن دلالة الاستفهام والخبر تتضح في النغمة المرتفعة في الاستفهام، والمستوية في الخبرية



والذي لا مراء فيه أن التنغيم يزيل اللّبس في الجملة وبه يدرك المعنى كما جاء في الإخبار أن ابنة أبي الأسود الدؤلي قالت لأبيها ما أحسنُ نجوم السماء.

ما أحسنَ نجوم السماء !

فالتعجب ظاهر لغوية تلزم صاحبها الوقوف عندها ليفرق بين التعجب والاستفهام.

3ـ التنغيم وعلماء القراءات:

ولعلماء القراءات استفهامات متميزة في هذا المجال، فالنغمات التي نسمعها من القراء الموجودين لقراءات القرآن الكريم هي التنغيم فالإشباع من الآيات الكريمة الآتية مثلا: قوله جل وعلا: (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا)[1] وقوله تعالى: (أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا)[2] وقوله: (فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا)[3].

فإن الآيات الكريمة تبين وتوضح لنا تأصل الكفر، وما تبين بنا في هاء السكت في ما ورد قي القرآن الكريم في الكلمات الآتية، كتابية، حسابية، سلطانية هي نوع الذي يشير إلى استراحة النفس وذلك بالوقف هاء السكت ومن ثم يدل عن الإعراب وبيانه، كأنه يرجع إلى منبع الصوت الذي ينتج منه ألا وهو الحنجرة، كما أن القسم له نغمة مثل قوله تعالى: (المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ)[4]يدل على التأكيد وقد يساق الموصول مساق التعظيم بسبب ما يحتمله التنغيم.

ومما لا شكّ فيه إن أداء القراءات للقرآن الكريم توقفنا على كمّ كبير من المصطلحات التي تحمل في جنباتها آليات التنغيم ودرجاته فقراءة التحقيق وهو "إعطاءُ كل حرف حقه من إشباع المدّ وتحقيق الهمز، وإتمام الحركات، واعتماد

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية [10].
[2]- سورة الأحزاب، الآية [66].
[3]- سورة الأحزاب، الآية [67].
[4]- سورة الرعد، الآية [01].

الإظهار والتشديدات وتوفيه الغنات وتفكيك الحروف وهنا يدل على بيانها، والترسل والتفخيم والتؤدة[1].

وفي العصر الحديث سار منحى أهل التوحيد يأتون بالقراءة المحودة ذات صبغة مزينة للألفاظ طامعين في ذلك الوصول إلى تحقيق النغمة وإدراك وبلوغ النهاية في التحسين[2]، فنجدهم قد اهتموا بالوقف وبيان ما حسن منه وما يقبح، وقد سموه كما أسلفنا إلى أقسام.

والتنغيم عندهم مركز على النطق الصحيح والأداء الحسن المعتمدان على التفسير والوقف عندهم هو استراحة يلجأ إليها القارئ، إما للاستئناف هو عبارة عن نغمات وتسلسل صوتي يدركها السامع، فالوقف قطع الصوت على الكلمة يتنفس فيه القارئ، وهذا ما ينشأ عنه النغمة المنحدرة.

أما التنغيم وعلماء النحو فله مصارف تدل على تنبههم من توضح وبيان الإعراب، ويدخل ذلك في وظائف الصوت اللغوي وذلك ما جاء في كتاب الخصائص بقوله ".. وذلك أنك تحسن في كلام القائل لذلك من التوضيح والتطريح والتنغيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل ونحو ذلك"[3].

إن هذا يدل على أن القراء أولوا اهتماما بالغا بالنحو، ومن ثمة نجدهم يبحثون في مجال يخص القراءات ألا وهو التنغيم، وقرنوه يدرس النحو، إذ أن ذلك الدرس منه يستلهمون قراءتهم، فكان همهم أن يخوضوا في علم النحو الذي أنشئ من أجل الحفاظ على علوم القراءات، فكان كل قارئ نحوي، ليصون نفسه من الهنات والزلات في مجال اللغة التي تضم ما يحتاجه.

---

[1]- الخصائص، ج2، ص 370-371.

[2]- ينظر كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ج1، ص 337.

[3]- المصدر السابق.

ومن الواضح أن القراء قد وضعوا أبوابا خاصة للتنغيم وإن كان المصطلح والمفهوم يختلف من زمن لآخر، فلو قرأنا كتب القراءات مثل كتاب المقنع، وكتاب النشر، والتسيير لوجدنا دلائل مقترنة بعلوم اللغة؛ إذ هي الوعاء الذي يصب فيه كل المباحث.

ومما استخلصته من هذا المجال (التنغيم) أن العلماء حين جاء عصر الطباعة دأبوا إلى وضع علامات ورموز عند الكتابة يسترشدون بها إلى النطق الصحيح، وذلك لتأدية القراءة الصحيحة المجودة لأن تلك الرموز تبين مظاهر التنغيم.

أما هذا التنغيم لا تخلو منه قراءة من القراءات السبع ويأتي بيانها كالآتي:

4. التنغيم لدى النحاة:

قد أدرك ابن الجني مفهوم التنغيم بمعناه المعاصر، على الرغم من أنه لم يذكر كلمة النبر، وهذا ما نفهمه من قوله لدى كلامه على حذف الصفة: "وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها". وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل. وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة بما دل من الحال على موضعها. وذلك أنك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك، وأنت تحسّ هذا من نفسك إذ تأملته. وذلك أنّ تكون في مدح إنسان و الثناء عليه ، كان و الله كان رجلا في قوة اللفظ بـــ (الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها أي رحيما أوقويّا أو كريما أو نحو ذلك.

وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا إذ تمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك. وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانا!

وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانا لئيما أو لحزن أو لبخل أو نحو ذلك، نلاحظ من خلال تحليل قول ابن جني أنه استخدم مصطلحات صوتية تدل على معنى التنغيم: فالتطويح -كما ورد في اللسان- من طوح به ذهب هنا وهناك، وأما التطريح فهو من طرح الشيء إذا طوله ورفعه وأعلاه والتفخيم إعطاء الصوت قيمة صوتية مفخمة. فهذه المصطلحات لها تعلق بالصوت و تدرّجاته أثناء النطق به[1].

وكذلك استخدم ابن جني عبارات، تدل على النبر، في قوله: "تزيد في قوة اللفظ" وقوله "تتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها" فهذه العبارات دالة على معنى النبر.

5ـ إدراك النحاة لمفهوم التنغيم:

يمكن أن نلاحظ من خلال المقبوس السابق مؤشرات عدة تصبّ في إطار الفهم الصوتي للتنغيم؛ من هذه المؤشرات.

بما أن الصوت هو القوة الدالة على الحياة فيها يتواصل الناس، كما ذكر ابن جني في كتابه الخصائص عند تعريفه اللغة، هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم الشخصية، أما الأصوات عبّر بها كل قوم عن نوردها تلك المتعلقة

---

[1]- مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 91، شهر جويليا، سنة 2003.

بالقراءات القرآنية المشهورة في الأداء. وما جاء فيها من أحكام، وقد ذكرت في فن التجويد مثل الإدغام، والوقف والابتداء[1] وبيان مخارج الحروف الخ.

ومن الواضح أن الذي يجب التنويه به، هو الصوت وقوته التي تنبثق من الكلم المختلف في آيِ الذكر الحكيم بوضع مقارنة تبين مدى اختلاف القراء السبعة في جدول والاكتفاء بنموذج.

وخير دليل على تمثيل ذلك؛ في القراءات السبع المشهورة المتواترة والتي جاءت بفن الأداء الذي تبناه الرواة وبينوه في أراجيز ومتون مثل ما جاء في متن الجزرية في شرح الطبية، وسليمان الجمزوري وغير ذلك من المتون التي تتطرق إلى شرح فن التجويد وكل ذلك تتبع أداء القراءة إلى القارئ نسبة إليه مع اختلاف القراء والرواة كما حدث في اختلافات ورش عن نافع، في وضع قواعد تختص بالأصوات الحنجرية (ء، هـ) الفاتحة نموذجا:

(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ (3) مَـلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ (7))[2]

فمن الملاحظ أن هذه الرموز التي أثبتها الرواة عن رواية ورش، تدل على أصوات الأداء؛ أما المضمون والترتيب فلا مخالفة فيه، فهو مأخوذ من قراءة نافع التي أوردت في السابق، فالنقطة فوق الألف تدل على وجود فتحة قبلها، والكسرة

---

[1] - ينظر إلى النشر في القراءات العشر، ج2، وإتحاف فضلاء البشر، ص 221، ص 415.
[2] - سورة الفاتحة برواية ورش.

والنقطة فوق الألف دالة على وجود كسرة قبلها، والنقطة دالة على الوصل في الكلمة[1]. وكل ذلك بيان على أن هؤلاء العلماء كان لهم حدس قوى.

6- ذكر الصوت في القرآن الكريم:

إن الله جلّ جلاله ذكر كلمة الصوت صراحة في مواطن تدل على التقبيح والتوبيخ، حين تكون مقترنة بالجمع مثل قوله تعالى: (إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)[2] كما تدل على التوبيخ في قوله تعالة: (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ)[3] فهاهنا يظهر الله تعالى أن الصوت في غير محله بالجهر له تأثير سلبي لا يليق بمقام النبي ﷺ وبينما ذكرها في صيغة الجمع تدل على المدح والطمأنينة والسكينة والخشوع، مثل قوله تعالى: (وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ)[4].

وأما ما ذكر في الدراسات المتنوعة في الصوت الحنجري في القراءات القرآنية لدليل على تثبيت الكلمة وتوكيدها في مسامع مع الناس، فنرى كل كلمة من كلتام الله تتضمن إما حرفا حنجريا أو حركة من الحركات الثانية عن الحروف الحنجرية.

وكما هو مؤكد أن القرآن قد نزل بلغة العرب لما فيها من خاصية أقضت اختيارها من الله، ودوّن بها كلامه العزيز، فكان لزاما على قارئ الفرقان أن يتقن اللغة العربية إذ هي شرط من شروط القراءات الصحيحة، كما ورد في الأثر أن عمر بن الخطاب قد مر بأقوام.

1- ينظر رواية ورش.
2- سورة لقمان، الآية [18].
3- سورة الحجرات، الآية [03].
4- سورة طه، الآية [18].

الفصل الثاني

القراءات القرآنية

1- أقسام القراءات

2- مشاهير القراء

3- عناية السلف بالقراءات

4- التخصص وعصر أئمة القراءة

5- أشهر المؤلفات في علم القراءات

6- فوائد من علم القراءات

7- القرآن والصوت اللغوي

8- المقطع الصوتي اللغوي في القرآن

1- أقسام القراءات:

فإن القراءات القرآنية قد قسمها أهل العلم إلى قسمين هما القراءة الصحيحة، والقراءة الشاذة والقراءة الصحيحة وضع لها العلماء أركان تضبطها وهي كالآتي:

- أن توافق وجها صحيحا من وجوه اللغة العربية.
- أن توافق القراءة رسم مصحف عثمان رضي الله عليه.
- أن تنقل إلينا نقلا متواترا، أو بسند صحيح مشهور.

فكل قراءة استوفت الأركان الثلاثة الآنفة الذكر، كانت قراءة قرآنية، تصحّ القراءة بها للصلاة ويتعبد بتلاوتها، وهذا قول عامة أهل العلم[1].

أما القراءة الشاذة فهي كل قراءة اختل فيها ركن من الأركان الثلاثة المتقدمة.

كما أن هناك قسم من القراءات، وهو القراءة التي صح سندها، ووافقت العربية إلا أنها خالفت الرَّسم العثماني ويدخل تحت هذا القسم ما يسمى بالقراءات التفسيرية، وهي القراءة التي جاء بها أصحابها للتفسير كقراءة سعد بن أبي وقاص في قوله تعالى: (وَلَهُ أُخْتٌ)[2] فقد قرأها (وله أخت من أم وقراءة ابن عباس قوله تعالى: **(وكَانَ ورَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ)**[3] حيث قرأها **(وكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وأمَّا الغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا)**[4].

---

[1]- ينظر كتاب البرهان في علوم القرآن في باب القراءات.

[2]- سورة النساء، الآية [176].

[3]- سورة الكهف، الآية [79-80].

[4]- الوافي في شرح الشاطبية وينظر الزركشي البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، ص 318، وأثر القراءات في تطور الدرس النحوي.

فمن المؤكد أن هذه القراءات الشاذة هي تفسير للقراءة المشهورة وتبين معانيها، كقراءة عائشة وحفصة قوله تعالى: **(حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى)**[1] قرأتا **(وَ الصَّلاَةِ الوُسْطَى صَلاَةِ العَصْرِ)**، وقراءة ابن مسعود قوله تعالى : **(فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا)**[2] وقراءة جابر قوله تعالى : **(فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)**[3]فهذه القراءات الشاذة صارت مفسرة للقرآن الكريم، وهذه الآنفة الذكر لا يصح التعبد بها بل يجوز تعلمها وتدوينها لبيان وجهها من جهة اللغة والإعراب[4].

والذي اتفق عليه علماء القراءات هو ما وصل إلينا متواترا، وهو عشر قراءات نقلها إلينا مجموعة من القراء امتازاوا بدقة الرواية وسلامة الضبط وجودة الإتقان، ومنهم سبعة قد رجحهم الجمهور، فكل نسب إلى إمام من هؤلاء القراء السبعة سمي قراءة وكل ما نسب إلى الراوي يسمى راوية، فمثلا يقال قراءة نافع برواية ورش، وهكذا[5].

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أن هذه القراءات وروايتها بقيت متداولة إلى أن دونت وصارت علما قائما؛ فشاع بين الناس جيلا بعد جيل، كما ذكر العلماء الذين اختص به مثل مجاهد ومنصور بن أبي عامر بالأندلس[6].

لقد اشتهرت القراءات السبعة في الأمصار وعهدها الرواة من كل جهة، وهي أهم ما حرصه أهل العلم، وثبتوها، وهي كالآتي:

---

[1]– سورة البقرة، الآية [238].

[2]– سورة المائدة، الآية [38].

[3]– سورة النور، الآية [33]

[4]– كتاب فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر.

[5]– ينظر سيبويه والقراءات تأليف أحمد مكي الأنصاري، ط القاهرة، سنة 1972، ص 17.

[6]– ينظر كتاب تاريخ العلامة ابن خلدون في المقدمة، ط المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1980، ص 530.

قراءة نافع التي صارت مرجعا لأهل المدينة وقد روى عنه كل من ورش وقالون، ومما جعل قراءة نافع مشهورة وذات قيمةٍ قد أخذ عنه إمام دار الهجرة مالك بن أنس صاحب المذهب والموطأ[1] وقراءة نافع يصل سندها إلى رسول الله ﷺ ومن جهة ضبط نجد القراءة برواية لها خصوصيات تضبط حسن القراءة ويتمثل ذلك في الرموز الصوتية التي لم تعهد في مصحف كالإمالة والمدّ الطبيعي والمتصل والمنقطع إلى غير ذلك من العلامات وهذه صورة خاصة من سور القرآن على رواية ورش على قراءة نافع مثل سورة الضحى.

ومما تقدم ذكره في نشأة القراءات القرآنية نجد اتجاهين رئيسيين في شأن نشوء القراءات القرآنية ومصادرها:

<u>الأول</u>: إنّ المصحف العثماني قد كتب مجردا عن الشكل والنقط والإعجام، فبدأ محتمل النطق بأحد الحروف المتشابهة في وجوه مختلفة، فينجر عن ذلك كيفيات الأداء متعددة للوصول إلى حقيقة التلفظ بتلك الألفاظ المكتوبة، ضبط قراءة القرآن الكريم على وجه الصحة وكما نزل بأصوات تلائم النبر القرآني وكما نزل على رسول الله ﷺ وعلى هذا المنوال تكون القراءات اجتهادية فيما احتمل موافقة الصحة من جهة الرسم القرآني أو العربية، وقد تكون روايته في إيصال النص القرآني مشافهة عن طريق الإسناد، فيصبح الرسم القرآني في ضوء الإسناد الروائي.

<u>الثـــاني</u>: إن منشأ ذلك هو التوصل بالرواية المسندة القطعية المرفوعة إلى رسول الله ﷺ في كيفية القراءة القرآنية إلى النطق بآيات القرآن الكريم كما نطقها، وكما نزلت عليه وحيا من الله تعالى بغض النظر عن كتابة المحصف الشريف، وفي

[1]- ينظر سير أعلام النبلاء، ج8، ص 48.

هذا الشكل فهي الطرق المؤدية بإسنادها المختلفة حتى تصل إلى النبي ﷺ وإذا تحقق أن الأسانيد كلها صحيحة ثابتة فالقراءة ثابتة متواترة وليس للاجتهاد مجال فيها[1].

والذي أدى بالمستشرق المجري إلى القول بأن القراءات قد نشأت بسبب تجرد الخط من علامات الحركات وخلوه من نقاط الإعجام، وتبعه على هذا المنوال المستشرق الألماني كارل بروكلمان[2] فقال: "حقا لبعض الاختلاف في القراءة لا سيما إذا كانت غير كاملة النقط، ولا مستلمة على رسوم الحركات فاشتغل القراء على هذا الأساس بتصحيح القراءات واختلافاتها"[3].

لقد أكد بروكلمان هذا المعنى فيما بعد وقال: "جمع عثمان المسلمين على نص قرآني مُوَحّد، وهذا النص الذي لم يكن كاملا في شكله ونقطه كان سببا في إيجاد اختلافات كثيرة، ولذلك ظهرت عدة مدارس في بعض مدن الدولة الإسلامية وبخاصة في مكة والمدينة، والبصرة، والكوفة، استمرت كل منها في رواية طريقة القراءة والنطق، معتمدة في ذلك على أحد الشيوخ ... ولقد تبين على مر الزمن أن الدقة في الرواية الشفوية التي كانت مرئية في بادئ الأمر لا يمكن اتباعها دائما بسبب عدد من الأشياء الصغيرة التي وجب المحافظة عليها"[4].

والواضح أن هذا الرأي الذي قدمه بروكلمان لقد لقي نقدا جادا وتجريحا من قبل بعض الدارسين العرب[5] إلا أنه لقد لقي في الوقت نفسه تأييدا من قبل آخرين أمثال الدكتور جواد علي والدكتور طه صلاح الدين منجد[6] لما عمله في طياته من بعض

---

[1]- ينظر كتاب المستشرق فوستاف لوبون (1921/1850) مذاهب التفسير الإسلامي ترجمة عبد الحليم النجار مطبعة الخانجي القاهرة، 1955.

[2]- بروكلمان مستشرق ألماني (1868-1956) من أشهر كتبة كتاب تاريخ الادب العربي.

[3]- كتاب تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط القاهرة، سنة 1968.

[4]- المصدر السابق، ص 40.

[5]- ينظر كتاب القراءات واللهجات للدكتور عبد الوهاب حمودة، مطبعة السعادة، القاهرة، 1948، نسخة مصورة.

[6]- ينظر لهجة القرآن مجلة الجمع العلمي العراقي، عدد 220، ط1955.

وجوه الصحة، لقد كان الخلاف في القراءة شائعا، فأراد النص التدويني للمصحف العثماني، قطع ذلك الاختلاف، فكان ذلك سبيلا إلى التوحيد، وهذا ألا يمانع أن ينشأ بعد التوحيد بعض الخلاف الذي جاء اجتهادا في أصول الخط المكتوب، فنشأ عنه قسم من القراءات، إن ما يستند به حول تنفيد موقع الكتابة المصحفية من نشوء بعض القراءات يكاد ينحصر بالاستدلال بالحديث الشريف الذي روي في الصحاح، قال رسول الله ﷺ "**نزل هذا القرآن على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه**"[1] رواه **البخاري.**

حتى يقال أن الاختلاف روائي وليس كتابيا، فالمسلمون ما زالوا مختلفين في هذا الحديث وترجمته، على أنه لا دلالة في هذه الحروف على القراءات السبعة إطلاقا، وإذا كان القرآن نزل على سبعة أحرف فالإنزال أذن توقيفي، وكان ذلك وحيا قد حفظه الله تعالى من التحريف وصيانته حيث يقول الله جلّ ثناؤه (**نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**)[2].

فيتساءل الدارس أين هذه الأحرف السبعة في القرآن الكريم، وهل يدلنا أحد عليها، ولم يتفق المفسرون بل المسلمون على المعنى المراد من هذه الأحرف، ولا يصح الاحتجاج بما لا يفهم معناه، ولا يقطع بمؤداه، إذ هو احتجاج بما لا يعرف، وأخذ بما لا يراد، واعتمادا بما يبين، والالتزام بهذا باطل بلا ريب، وإذا كانت الأحرف السبعة منزلة من قبل الله تعالى بواسطة الوحي الذي أوحاه الروح الأمين جبرائيل –عليه السلام– فمعنى ذلك أنها من القرآن الإلهي، وإلا من التشريع الإلهي، الذي لا تبديل فيه ولا نقص إلا إذا نسخ، وما ادعى أحد بنسخ ذلك.

---

[1]– ينظر صحيح البخاري والجامع الصحيح، مطبعة محمد صبيح، القاهرة، د.ت.

[2]– سورة الحجر، الآية [09].

وقد قيل أيضا أن هذه الأحرف السبعة جاءت للتخفيف عن الشيخ والصبي والعجوز إلى ما في ذلك من بعض الروايات[1].

وإذا كان ذلك مخفف عن الأمة، فكيف يجوز لأحد أن يشدد عليها وإذا كان ذلك للرحمة فكيف صحّ لعثمان –رضي الله عنه– أن يتجاوز هذه الرحمة ويجمع المسلمين على حرف واحد، فإن كان في المسلمين الأوائل من يعجز عن تلاوة القرآن الكريم حق تلاوته، أو أن ينطق به كما نزل فتجوز بالأحرف السبعة تيسيرا، وهم أبلغ العرب فما بال المسلمين في عصر عثمان، وما ذنبنا نحن في هذا العصر الذي انطمست به خصائص العربية حتى شدد علينا في حرف واحد، ولسنا بصدد دفع هذا الحديث الآن، ولكننا بصدد دعوى من لا يرى للخط المصحفي أي أثر في تعدد القراءات واختلافها، إذ لو كان الأمر كذلك لما كانت موافقة خط المصحف أساسا لقراءات عدة، وميزانا للرضى والقبول والاعتبار، وما ذلك إلا لتحكم الخط بالقراءة، ولا نريد أن نتطرق بأن الخط المصحفي هو السبب الأول والأخير في تفرع القراءات ولكن الاختلاف الكثير الذي نشأ في القراءات عن الخط المصحفي القديم باعتباره محتملا للنطق بوجوه متعددة، ولقد ورد هذا في كتاب لطائف الإشارات[2] قول القسطلاني (ت 923) مشيرا إلى ذلك: "ثم لما كثر الاختلاف فيما يحتمله الرسم، وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحل لأحد تلاوته وفاقا لبدعهم ... رأى المسلمون أن يجمعوا على قراءات أئمة ثقات يتجردوا للإعتناء بشأن القرآن العظيم"[3] وتابعهم الدمياطي (ت 1117 هـ) وصرح بالأسباب ذاتها.

---

[1]– كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامه، شهاب الدين، عبد الرحمن بن إسماعيل، (ت 665 هـ) تحقيق طيار طبار آلتي قولاج، ط دار صادر، بيروت، سنة 1975.

[2]– شهاب الدين أحمد بن محمد، كتاب لطائف الإشارات في فنون القراءات، تحقيق السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، ط قاهرة، 1972، ج1، ص 66.

[3]– كتاب أتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، طبع أحمد عبد الحميد حنفي، القاهرة، 1380 هـ، ص 5.

فمن الواضح أن الرسم كان له الأثر البالغ في تطاول أهل البدع والأهواء أن يقرأوا وبما لا يحل تلاوته ولا تصح قراءته وهذا الآنف الذكر أدى بالعلماء النحارير أن ينبروا، ويحتاطوا لأنفسهم بقراءات أئمة ثقات لدفع القراءات المبتدعة.

ومن الواضح أن الاختلاف في القراءات مما شاع في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأن هذه القراءات السبع أو العشر أو الأكثر إنما تبرز من هذه الأخيرة مشافهة بتلك القراءات التي كانت في عهد رسول الله ﷺ ولا ننكر جزاء ضئيلا من هذا.

فالاختلاف في القراءات القرآنية التي أقرّها الرسول ﷺ تعود إلى جمع القرآن في عهده كما ورد في الأحاديث الصحيحية، بروايات مختلفة، إلا أن الحقيقة التي لا مراء فيها أن القرآن قد نزل بلغة العرب وكما نعلم أن اللغة آنذاك كان لها شأن عظيم في نفوس أصحابها باختلاف أنماطها من حيث الصوت والنبر، إذ أن العربي في ذاك الزمان أولى اهتماما بالغا بالقول مشافهة فكان لزاما أن يتلقى هذا القرآن العظيم بما كان لديه من ملكةً قوية صافية، ونحن لو فحصنا كتب تاريخ أيام العرب لوجدنا ما يدل دلالة واضحة على أن القرآن قد نزل على أهله أي الذين يستطعون حمله والله جلّ شأنه علم أين يضع رسالته، فالكتب السماوية، لم تكن نفس الدرجة مع القرآن.فاختلف فيها وحرّفت من حيث المضمون اختلافا بينا[1] وهذا جلِيّ في الإنجيل والتوراة من حيث طباعته إلى يومنا هذا، فأما القرآن العظيم الذي أنزله الله تعالى وحيا عن طريق الروح الأمين إلى سيدنا محمد العربي عليه أفضل الصلاة والتسليم كما ورد في الأثر أن أهل مكة ادعت الافتراء في كلمات سمعتها من رسول الله فأنكرتها وهي (واستهزأ، وكبّر، وقسورة) فما كان من نبي الله إلا أن دعى شيخا

---

[1]- كتاب الإقناع، ص 35.

كبيرا فقال له: "إجلس فجلس ثم قال له "قُمْ" فقام مرّات عديدة فقال الشيخ الكبير أتهزأ بي يا محمد يا ابن قسورة العرب وأنا شيخ كُبَّرًا، فبهذا تجلى لهم صدق الأمين محمد ﷺ وعلموا ما جهلوه.

وفي بعض الرّوايات نجد أن النبي ﷺ أقرأ هذا بقراءة وغيره بقراءة، وحينا سمع صحابي من أصحابه مثله قراءة ما، للسورة ما يختلف عما سمعه هو من رسول الله ﷺ ثم تحاكموا فصحّ بينهما.

فموضوع نشأة القراءات له مجال خطير ذو أهمية، ويلزمه دراسة علمية جادة، ومن الأحاديث التي لابد من ذكرها في هذا المجال ما أورده أبو شامة عن زيد بن أرقم قال: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أقرأني عبد الله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد وأقرأنيها أبي بن كعب، فاختلفت قراءتهم بقراءة أيهم أخذ فسكت رسول الله ﷺ وعلي –رضي الله عنه– إلى جنبه، فقال علي: "ليقرأ كل إنسان كما علم، كل حسن جميل"[1] وقد ذكر ذلك الطبري هذه الرواية وتعقبه أحمد شاكر في تعليقه فقال: "هذا حديث لا أصل له وقد ذكره رجل كذاب هو عيسى بن قرطاس، قال فيه ابن معين ليس بشيء ولا يحل لأحد أن يروي عنه، وقال ابن حبان يروي الموضوعات عن الثقات، لا يحل الاحتجاج به وقد اخترع هذا الكذاب شيخا روي عنه وسماه زيد القصار ولم يجد لهذا الشيخ ترجمة ولا ذكرا في شيء من المراجع[2].

وقد أنكر جعفر الصادق هذه القراءات السبع أو الاحرف السبعة بقوله: "كذبوا أعداء الله ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد[3]، وقد يقال أن مصدر

---

[1]– المرشد الوجيز، ص 85.

[2]– الطبري جامع البيان.

[3]– كتاب أصول الكافي في القراءات لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت 328هـ)، ط دار الكتاب الإسلامية طهران، 13848 هـ، ج2، ص 638.

القراءات هو اللهجات ولا علاقة لها بصحة السند، ومرافقة كتابه المصحف، بل الأساس ارتباطها ببعض العرب في لغاتهم القبلية، وإلى هذا المعنى يشير السيوطي بما أورده أبو شامة عن بعضهم. "أنزل القرآن بلسان قريش ثم أبيح للعرب أن يقرأوه بلغاتهم التي جرت عاداتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب"[1].

كما نجد عند بعض العلماء الذين سبقوا من مثل ابن قتيبة بما تحدث به عن النبي

ﷺ فكان من تيسيره أن أمره الله أن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عاداتهم ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتباده طفلا وناشئا وكهلا لا لاشتدّ ذلك عليه وعظمت المحنة فيه"[2]. وقد خصص ابن قتيبة جزء كبيرا في كتابه تأويل مشكل القرآن للرد على وجوه القراءات على المنكرين لها، وعلى الذين لم يهتدوا إلى حقيقتها[3].

والواقع أن العلماء من السلف قد اجتهدوا منذ القرن الأول للهجرة حتى عهد ابن مجاهد في هذا الذي يعد موحد القراءات القرآنية أو مشبعها إن صح التعبير، في دراسة ظواهر القراءات القرآنية متوارثها ومشهورها وشذاذها فأرجعوا جزء من الاختلاف في القراءة إلى مظاهر اللهجات العربية المختلفة وعادوا بجملة من الألفاظ إلى استعمال جملة من القبائل، ذلك ما يؤكد وجهة النظر في عامل اللهجات، والاستئناس به عاملا مساعدا في تعدد القراءات، وللسبب ذاته تلاشي اللهجات وتوحيدها بلهجة قريش قد ساعد أيضا على تلاشي واضمحلال كثير من جزئيات هذه

1- الإتقان في علوم القرآن جلال الدين عبد الرحمن، بن أبي بكر (ت 911هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، 1967، ج1، ص 47.

2- تأويل مشكل القرآن تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق وشرح السيد أحمد صقر، ط المكتبة العلمية، القاهرة، 1973، ص 39.

3- المرجع نفسه، ص من 31-39.

القراءات وعدم إشاعتها في عهد مبكر بل أن توحيد القرآن لغة العرب على لغة قريش وقصرهم عليها أساسا في إذابه ما عداها من لغات مما أزاح تراكما لغويا يسعد عن الفصحى ابتعادا كليا، فلهذا أندثر عنعنة تميم، وعجرمية قيس وكشكشبه أسد وثلثه نهرا وكشكشة ربيعة، وإمالة أسد وقيس، إلى غير ذلك من الاختلافات في لغات العرب[1].

وللوقوف على الأدلة المقنعة، لاشك أن اختلاف مصاحف الأمصار في الرسم، وما نشأ عنه من اختلاف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام في القراءة إنما كان مصدره الشكل المصحفي الذي استنسخ عن المصحف الإمام وهي اختلافات ثابتة تاريخيا، وقد أحصاه أبو داود إحصاء في كتاب المصاحف بدقة[2] وقد أيد هذا الرأي محمد بن جرير الطري وكان مصدر ذلك الاختلاف كما ذكر بعض الدارسين هو الشكل ولا تقطع بمصدرها الكتابي بل هو راجح بالنقل والسماع المتواتر، وكان لكل ناحية من نواحي الأمصار التي وجهت إليها المصاحف معلمون من الصحابة...

وقد أخذوا عنهم أوجه مستقاه من هؤلاء الصفوة ما لم يكن في المصحف الذي بعث إليهم مما يستدلون به عن انتقالهم عنه"[3].

ومن الأجدر أن نثبت هذه الروايات الكثيرة التي انتشرت عن رسول الله ﷺ ونعلم أن الصحابة الكرام افترقوا في البلدان وعلموا الناس بكل أمر يخصعهم من دينهم وكان أول ما يعني به هو القرآن الكريم، ومما يؤكد كلامنا قول النبي ﷺ

1- المرشد الوجيز، ص 85.

2- كتاب المصاحف لابن أبي دادو أبو بكر عبد الله بن أبي سليمان (ت 316 هـ)، تحقيق الجعفري المطبعة الأزهرية، ط القاهرة، 1936، ص39، ص 49.

3- ينظر إلى المرشد الوجيرز، ص 149، وما بعدها.

"أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"[1] وجاء الخلف، وقرأ كثير من غير العرب، وحدث خلاف ما بين أهل الشام والعراق ما ذكر حذيفة...فقرأت كل طائفة بما رُوي لها"[2].

وقد أورد أبو شامة عن ابن جرير الطبري ما يؤيد أن الاختلاف: "فإن قيل: فما تقولون في هذه القراءات السبع التي ألفت بالكتب؟ فقلنا: إنما أرسل أمير المؤمنين المصاحف إلى الأمصار الخمسة[3] بعد أن كتبت بلغة قريش، فإن القرآن إنما أنزل بلغتها، ثم أذن رحمة من الله تعالى لكل طائفة من العرب أن تقرأ بلغتها على قدر استطاعتها فما صارت المصاحف في الآفاق غير مضبوطة ولا معجمة قرأها الناس ما نفدوه منها فنفذ، وما احتمل وجهين طلبوا منه السماع حتى وجدوه"[4].

والطريق في ما استدل به الطبري وهو مفسر من القدامى، أن يجمع العوامل الثلاثة المتمثلة في اختلاف اللهجات، ومشكلة لشَكْل المصحف وإعجامه، وتأكيده على السَّماع في الروايات التي توصلوا فيها إلى نطق القرآن.

فإن عامل اللهجات يلزمه التمحص والترصيد فهو عامل جدير بالاستقراء في إثرائه جانب القراءات مع مواليته لمسيرتها اللغوية، وما من شك أن القرآن قد نزل بلغة قريش، وهي أفصح لغات العرب، وحينما اختار الله تعالى لكتابه اللغة العربية، فلا ريب أن يقع الاختيار على الأفصح، والأفصح لغة قريش وهو الموروث اللغوي المقروء في القرآن الكريم، وهذا ما يؤيد وصية عثمان للرهط القرشيين لدى استنساخ المصحف، "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه

---

[1]- رواه البخاري ومسلم.

[2]- عبد الحق بن أبي بكر الغرناطي، مقدمة في علوم القرآن، (ت 972 هـ)، ص 271.

[3]- المرشد الوجيز، ص 150.

[4]- السابق150.

بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم"[1]، ولعل ما أوصى به عثمان بن عفان بذلك حفظه القرآن الكريم إذ هم أصحاب الفطرة المصقولة بكلام الله المشحوذة.

ويبدو أن مسألة اللهجات أمر مسلّم به في نشوء القراءات ولكن سرعان ما توحدت هذه اللهجات بلغة القرآن وهذا ما يثبت قوة القرآن على توحيد اللغة، فإن تعدد القراءات أنى كان مصدره ومهما كان مقايِسُه صِحّةً أو شذُوذا أو مردُّه إلى ثلاثة أوجه، فالوجه الأول أن يغلط القارئ فيقرأ على خلاف ما هو عليه المصحف، وذلك ما يجوز أن يعتد به في قراءات القرآن وإنما يرجع لومه على الغالط به.

والوجه الثاني أن يكون القرآن نزل على لغة ثم خرج بعض القراء فيه إلى لغة من لغات العرب مما لا يقع فيه خلاف في المعنى، ترك النكير عله تسييرا وتوسعة، فنقل ذلك وقرأ به بعض القراء...

وأما الوجه الثالث من القراءات هو ما اختلف باختلاف النزول بما كان يعرض رسول الله ﷺ على جبريل –عليه السلام– في كل شهر رمضان، فكان رسول الله –صلى الله عليه وسلّم– يتلقون منه حروف كل عرض، فمنهم من يقرأ على آخر إلى أن لطف الله عزّ وجلّ بهم مجمعهم على آخر العرض أو على ما تأخر من عَرْضَيْنِ أو ثلاثة، حتى لم يقع في ذلك اختلاف إلا في أحرف قليلة وألفاظ متقاربة"[2]. فالوجه الثالث يدل على تدقيقه ومعارضته القرآن تعني توثيقه.

مما لا ريب فيه أن الاختلاف في القراءات كان في الأقل، وأن الاتفاق كان في الأعم الأكثر والنظر في المصاحف الأولى نجد ما يؤيد ما نقوله في الاختلاف الذي نشأ من حيث الأصوات في الإمالة والحركات.

---

[1]– كتاب الجامع الصحيح البخاري أبو عبد الله بن إسماعيل (ت 256 هـ) مطبعة محمد صبيح، القاهرة د.ت.

[2]– مقدمتان في علوم القرآن، ص 170.

وقد جمعت في كتاب المباني " اختلف مصحفا أهل المدينة وأهل العراق في اثنى عشرة حرفا ومصحفا أهل الشام والعراق في نحو أربعين حرفا، ومصحفا أهل الكوفة والبصرة في خمسة حروف"[1].

فإذا كان سبب الاختلاف في القراءات السّبع مصدره اختلاف مصاحف الأمصار، فالاختلافات ضيقة النطاق، وتظل القضية قضية تاريخية فحسب، إذ القرآن المعاصر الذي أجمع عليه العالم الإسلامي فهو ذاته القرآن الذي أنزل على سيدنا محمد ﷺ مرقوم برواية حفص لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي، باستثناء المغرب العربي الذي اعتمد قراءة نافع المدني برواية ورش، وهي أيضا من القراءات التي لها سند من الصحاح كما ذكر.

والمسألة أثرية العطاء، فالخلافات لا طائل من ورائها، ولكن النظرة العلمية الفاحصة تخفف من حدتها، فالأفق العلمي هو الذي يجب أن نقف عنده، ألا هو النزاع القائم بين مدرسَتَيِ الكوفة والبصرة في ما اختلفا فيه وما اتفق عليه. ومزيج من هذا وذاك، وُجِدَ جيل آخر يصوب الكوفيين تارة ويؤكد البصرين تارة أخرى، وعلى جملة من التراث والقراءات جزء من التراث الثمين، فنشأ كثير من الصراع العشوائي يوثق به الضعفاء، وبضعف به الثقات في كثير من المظاهر، وقد لا يكون لكل ذلك أصل ولطالما حمل البصريون أو ما شايعهم على الكوفيين وبالعكس ولطالما تعصب لمذهب من القراءة جيل من الناس، وجانب قراءة جيل آخر، دون العودة إلى قاعدة متأصلة، وهذا الذي أدى إلى التمحص بغية الوصول إلى مقياس علمي أصيل تزان في صوته حقائق القراءات ، وكما اختلف في مصادر القراءات اختلف في القراء وعددهم، وتضاربت الآراء في منزلتهم وشهرتهم، فكان منهم

---

[1]- السابق، ص 117.

السبعة، والعشرة، والأربعة عشر، وكان اعتبارهم يتردد بين الأقاليم تارة، وبين الشهرة تارة أخرى، وبينهما في أغلب الأحيان، وقد تحل المنزلة العلمية مكان الشهرة حينا، وقد يكون العكس هو المطرد، وقد تتحقق الشهرة عند باحث وتنتفي عند باحث غيره وهكذا.

2. مشاهير القراء:

وقد كان مشاهير القراء قبل أبي مجاهد على النحو التالي:

- عبد الله اليحصبي المعروف بابن عامر (شامي) (ت 118هـ).
- عاصم بن أبي النجود (كوفي) (ت 127 هـ).
- عبد بن كثير الداري (مكي) (ت 129 هـ).
- أبو عمرو بن العلاء (بصري) (ت 154).
- نافع عبد الرحمن بن أبي نعيم (مدني) (ت 169 هـ).
- حمزة بن حبيب الزيات (كوفي) (ت 188 هـ).
- يعقوب بن ابي إسحاق الحضري (بصري) (ت 205 هـ).

وقد حذف ابن مجاهد يعقوب من السبعة وأثبت مكانة علي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت 189ذ هـ) وواعتبره من القراء السبعة.

وأما من عدا القراء عشرة فأضاف لهم زيادة على تسبيع ابن مجاهد وتعيينه لهم، يزيد بن القعقاع (ت 130 هـ) ويعقوب الخضري (ت 205 هـ) وخلف بن هشام (ت 229 هـ) ويبدو أن الكسائي (ت 189 هـ) لم يكن معدودا من السبعة وإنما ألحقه ابن مجاهد يدل يعقوب الخضري فصار السابع"[1].

[1]- المرشد الوجيز، ص 153.

كان رسول الله ﷺ يراعي لهجات القبائل العربية في النطق واللفظ، وذلك من فضل الله على الأمة ومن توسعته لها، حيث أنزل الله سبحانه القرآن الكريم على سبعة أحرف.

3- عناية السلف بالقراءات:

وقد احتفى المسلمون بقراءة القرآن وضبطه في كل العصور، واشتهر في كل زمن من الأزمنة وجيل من الناس وبلد من البلدان عرفوا باسم القراء.

كان أشهرهم في عهد الصحابة: الخلفاء الأربعة -رضي الله عنهم-، الذين كان لأبي بكر منهم شرف جمع القرآن في مصحف واحد لأول مرة؛ بعد أن كان متفرقا في العظام والألواح والرقاع، كما كان لعثمان شرف الجمع الثاني الذي أخرج فيه من القرآن كل ما هو ليس منه من شرح أو منسوخ أو تعليق، وضبط على لغة قريش، وعمم مصحفه على سائر الأمصار...

وإضافة إلى الخلفاء فقد اشتهر من الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- أجمعين بالقراءة أُبَيْ بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وابن عباس وأبو موسى الأشعري وغيرهم. وقد أشار النبي ﷺ إلى سبق هؤلاء غيرهم في القراءة بمثل قوله: "أقركم أُبَي" (رواه الترميذي والدارقطني) وقوله لأبي موسى بعد أن استمع إليه "لقد أوتيت مِزْمَارًا من مَزَامِيرِ آل داود". وقوله لابن مسعود: "أقرأ علي القرآن". (رواه البخاري وغيره).

وفي عهد التابعين اشتهر كثير من الفضلاء ووجوه المسلمين بالقراءة، وكانوا منتشرين في المدن والامصار. ففي المدينة ظهر سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وابن شهاب وعمر بن عبد العزيز، وفي مكة مجاهد وعطاء وطاووس، وفي الكوفة علقمة والأسود بن يزيد وأبو عبد الرحمن السلمي وسعيد بن جبير وفي البصرة الحسن البصري وابن سيرين وقتادة، وفي الشام المغيرة بن أبي شهاب وخليفة بن سعد.

4. التخصص وعصر أئمة القراءة:

ولكن عصر ما بعد التابعين شهد توسعا في كل العلوم الإسلامية إلى الحد الذي دعا إلى تخصص كل عالم بعلم أو عدد محصور من العلوم ليجمع شتاتة ويضع له قواعده ويتحمل أمانته. وهذا ما كان بخصوص علم القراءة، فقد ظهر في هذا الجيل –ما بعد التابعين– الأئمة القراء الذي تنسب إليهم القراءات السبع الشهيرة المتواترة، التي أجمعت الأمة على صحة قراءة القرآن الكريم بأي منها شريطة التلقي والإتقان.

وقبل أن تسرد أسماء الأئمة السبعة ننوه إلى أن أئمة القراءة في عهد ما بعد التابعين كانوا كثيرا لكن الناس اجتمعوا على هؤلاء السبعة ودونت قراءاتهم كما اجتمع الناس على الأئمة الأربعة في الفقه دون سواهم.

<u>أسماء أئمة القراءة وأسماء أشهر تلاميذهم:</u>

1- نافع بن عبد الرحمن المتوفى سنة (169) هـ، واشتهر تلاميذه قالنون ورش.

2- عبد الله بن كثير المكي المتوفى سنة (120 هـ) وأشهر تلاميذه قنبل محمد بن عبد الرحمن، وأحمد بن محمد البزي.

3- أبو عمرو زبان بن العلاء البصري المتوفى سنة (154 هـ)، وأشهر رواة قراءته حفص بن عمر والدوري وصالح بن زياد السوسي.

4- عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي المتوفى سنة (118 هـ)، وأشهر رواته هشام بن عمار الدمشقي وعبد الله بن أحمد.

5- عاصم بن أبي النجود الكوفي المتوفى سنة (127 هـ)، وأشهر رواته حفص بن سليمان وشعبة بن عياش.

6- حمزة بن حبيب الكوفي المتوفى سنة (156 هـ)، وأشهر رواته خلاد بن خالد وخلف بن هشام.

7- علي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة (169 هـ) ، وأشهر رواته حفص بن عمرو والليث بن خالد.

وقد قام الإمام ابن مجاهد أحمد بن موسى بتدوين القراءات السبع لهؤلاء القراء في كتابه (القراءات السبع).

وهناك ثلاث قراءات للقرآن الكريم غير تلك المشهورة لكنها دونها في الأهمية والتواتر[1].

ومن البديهي أن نعلم أن قراءة هؤلاء الأئمة ترجع في أصولها وضبطها إلى قراءة الصحابة الكرام.

يقول الزركشي: فائدة: قيل: قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو راجعة إلى أبي، وقراءة ابن عامر إلى عثمان بن عفان وقراءة عاصم وحمزة والكسائي إلى عثمان وابن مسعود.

هذا ومن المفيد أن نعلم كذلك أن علم التجويد نشأ أول ما نشأ بالتلقين الشفوي عن رسول الله ﷺ إلى الصحابة ومنهم إلى من بعدهم، ولكن الناس من بعد احتاجوا إلى تدوين هذا العلم وتقعيد قواعده، يقول الشيخ القارئ عبد الفتاح المرصفي: أما الواضع له من الناحية العلمية فهو سيدنا رسول الله ﷺ... وأما الواضع له من ناحية قواعده وقضاياه العلمية ففيه خلاف، فقيل: أبو الأسود الدؤلي، وقيل: أبو القاسم عبيد بن سلام، وقيل: الخليل بن أحمد وقيل: غير هؤلاء من أئمة القراءة واللغة.

---

[1]- ينظر النشر في القراءات العشر للإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت 833 هـ)، شرح شيخ المقارئ المصرية خرج آياته زكرياء عمرات، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج الأول، ص 14.

ومسائل علم التجويد عديدة وأبحاثه كثيرة وهو يحتاج إلى ممارسة وصبر وتلق من أفواه القراء.

ولكننا نذكر من قواعده على سبيل المثال: أحكام النون الساكنة التنوين، وأحكام تفخيم الراء وترقيقها، وأحكام المدود وأنواعها، وأحكام الوقف وأنواعه، ومخارج الحروف، ومراتب القراءة.

5ـ أشهر المؤلفات في علم القراءات:

وقد نشط كثير من أئمة القراءة في التأليف في هذا الفن حرصا على كتاب الله وخدمة له.

ومن أشهر كتب القراءات: التسيير لأبي عمرو الداني المعروف بابن الصيرفي، وله أيضا كتاب جامع البيان في القراءات السبع.

ومنها: كتاب القصيدة اللامية في القرآن للشاطبي، كما نظم الشاطبي كتاب المقنع في رسم المصحف للداني في قصيدة أسماها القصيدة الرائية.

ومنها: النشر في القراءات العشر لابن الجزري، وله أيضا كتب أخرى في نفس العلم مثل تخيير التيسير وطبقات القراء.

ومنها: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله لأبي بكر ابن القاسم الأنباري.

ومنها: هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري للشيخ عبد الفتاح المرصفي المعاصر.

ومنها: بهجة النفوس في تجويد كلام القدوس للدكتور مأمون كاتبي الحلبي.

6ـ فوائد من علم القراءات:

ولعل من المناسب أن نختم حديثنا عن علم القراءات –الذي يقال له أيضا علم – التجويد– بما قاله ابن الجزري في المقدمة الجزرية:

والأخذ بالتجويد حتم لازم ❁ من لم يجود القران آثم

لأنـه بـه الإلـه أنـزلا ❁ وهكذا منه إلينا وصـلا

و هو كذلك حلية التلاوة ❁ و زينة الأداء والقراءة[1]

أخرج الحافظ السيوطي في الدر المنثور عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرئ رجلا. فقرأ الرجل: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ) مرسلة أي بدون مد كلمة (الفقراء) فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها النبي ﷺ. فقال: وكيف أقرأها، قال: أقرأنيها (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآء وَالْمَسَاكِينِ) فمدها (أخرجه سعيد بن منصور في سننه).

فالقراءات على مر الحقب الزمنية كانت متواترة إلا أن أعداء الإسلام والمسلمين لم يكفوا عن محاربة القرآن من خلال قراءته لأنهم علموا بعجرههم تجاهه .إذ تحادهم أن يأتوا بمثله، في مواطن كثيرة، ففي الحقب المتتالية جاء أقوام من الدارسين من أمم مختلفة، ونقبوا في تاريخ القرآن، ودرسوا قراءته وتحروا في كل دراسة إلا أنهم استعملوا منطقهم المبني على القياس، ولاجتهاد، والبيان.

دون أن يتحروا الدقة التي يذعن لها العقل هي القوة الإلهية، فأرادوا أن يدكروا معالمه في زمن محدد ويحصروه في فكر، كيف لبشر أن يحصره في

[1]– متن الجزرية في التجويد، باب التجويد، لشمس الدين محمد بن الجزري، (ت 833هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص 6.

دراسه، وهو الذي قال فيه العزيز الحكيم (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[1].

فشن بعض الحاقدين حربا وجاؤوا بشبهات تطعن في القراءات السبعة والعشرة حتى يصلوا إلى عدم حجيتها، إلا أن العلماء الأبرار ردوا عليهم.

7- القرآن والصوت اللغوي:

اتخذت المباحث الصوتية عند العرب القرآن أساسا لتطلعاتها، ومنه استلهمت النتائج، وعند مزجها الأصوات باللغة، واللغة والفكر، فترجع كل ذلك إلى رصد كل الأبعاد لخدمة الدراسات القرآنية؛ لأن الكتاب هو هداية وتشريع، ولا شك في هذا، ومن جانب اللغة هو كتاب العربية الخالد، ويحرس لسانها وأود بيانها، فيه حفظت العربية، ما دامت آياته تتلى وفي هذا الشأن يقول جل من قائل (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[2] فكم من لغة تعرضت لعوامل التفكك والاندثار، وكبلتها قيود رطانة الدخول المتحكم من اللغة الأخرى، فذابت وخمد شعاعها الهادي؛ إلا العربية فلها مدّ من القرآن الكريم، ومنهل من بحره اللجي المتدفق بالحياة، وكل من يستخدم هذه العربية، فإنه يحس وكأنه يلمس جوهرها بنوره البراق، فهو لا يجحده عالم ولا عارف، ولا متسمك به، ولا مؤمن به كل من جعله سنده جال وصال في لغة القرآن العربي الذي زود اللغة العربية وشحذها، وصار اللسان العربي متمرسا عن الإبداع، والتزود سبيلا للثقافات الفياضة، لا يحتاج إلى لغة ما بل تحتاجه كل لغة[3].

1- سورة فصلت، الآية [41].

2- سورة يوسف، الآية [63].

3- ينظر كتاب الخصائص، باب ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقيه، ص 46، 86.

والمؤكد أن أي ظاهرة لغوية لها مميزات صوتية بانضمام بعضها إلى بعض فتشكل مفردات تلك اللغة، والمفردات وحدها تمثل معجمها وبتاليفها تمثل الكلام في تلك اللغة، والقدرة على الكلام وتناسقه وحسن تأليفه وتآلفه، هي من مهمة الأصوات، وتنافر الكلمات وتهافت الكلمات يعود على الأصوات في قرب مخارجها أو تباعدها، أو في طبيعة تركيبها، أو من تداخل مقاطعها وتضامها، لأن اللغة أصوات، ومصدر الصوت الإنساني في معظم الأحيان الحنجرة، أو بعبارة أدق؛ الوتران الصوتيان فيها، فاهتزازات هذين الوترين تنطلق من الفم أو الأنف ثم تنتقل خلال الهواء الخارجي[1].

واللغة العربية هي أصوات كما عرفها ابن الجني، وهذه الأصوات تنطلق من الوتر بين الصوتين لتأخذ طريقها إلى الخارج. بيد أن العربية لها أصوات متميزة ومن هذه الأصوات لها صوت قد عرفت به هو المعلم لها وبه تعرف ألا وهو "الضاد" وفي هذا خاض علماء اللغة بحوثا وبه وجدووا أسرارا من حيث النطق، ومن عجائب القرآن الآدائية، وضعه هذين الصوتين في سياق واحد، والذي يعرض عرضا مختلفا في مواضع عديدة من القرآن الكريم، ذلك من أجل الدربة الدقيقة على التلفظ بهما، والمران على استعمالهما منفصلين، بتفخيم الضاد، وترقيق الظاء قال تعالى: (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ)[2] فالظاء في غليظ والضاد في (عريض) وهذا الذي تواضع عليه الأوائل في قراءاتهم بكل دقة وتمحيص وميزوا ذلك بفطرتهم فيما بين الصوتين، والحاء في العربية تنطق هاء في

[1]- المصدر السابق، ص 96.

[2]- سورة السجدة، الآية [41].

بعض اللغات السامية مثل العربية الحاء "هيت" وكذلك صوتها في اللغات الأوروبية فيهما من مخرج واحد. ولعمق التوجه الصوتي في القرآن الكريم لدى التمييز بين المقاربات نجده يضعهما في سياق واحد في كثير من الآيات من أجل السليقة العربية الخالصة قال تعالى: (فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ)[1].

فالحاء من "سيحوا" والهاء من أشهر في الآية إلى جنب الهاء من الله ورسوله، والحاء من الحج جاءت جميعها في سياق قياس متناسق للتمييز بين الصوتين حينا للحفاظ على خصائص الأصوات العربية حينا آخر، وهذا يخلتلط عند غير العربي المحض. وهذا جانب فنّي يظهر في القرآن الكريم في أداء القراءة الصحيحة كما أنزل القرآن، ولذا نرى أن القرآن هو القاعدة الصلبة للنطق العربي الصحيح لجملة أصوات اللغة ولا سيما، الضاد، والظاء أو الحاء والهاء في التمرس عليها والتفريق بينهما.

والحق أن الإشارة إلى الاعتماد على الصوت اللغوي في القرآن الكريم ضمن الدراسات العربية قد جاء في مجموعتين دراسيتين هما الدراسات القرآنية والدراسات البلاغية، كما جاءت عند بعض الموسوعيين مثل ابن سينا (ت 438 هـ)[2]، الذي وضع رسالة جد دقيقة في علم الأصوات أسماها (أسباب حدوث الحروف) وقد كان شارحا فيها للإشارات الصوتية وتمييزها في الأسماع، وتحدث عن مخارج الأصوات وغضاريف الحنجرة، وعرض الفم واللسان، تشريحيا وطبيا وعني عناية خاصة بترتيب مخارج الأصوات العربية مقارنا إياها باللغات الأخرى بحسب تركيب أجهزة

---

[1]- سورة التوبة، الآية [09].

[2]- ينظر رسالة ابن سينا، أسباب حدوث الحروف ذكرت إشارة منها في القانون، طبعة دار المعرفة، سنة 1975، بيروت، لبنان، طبعة مصورة، وقد طبعت لتحقيق أحمد الطيان، نفس الطبعة سنة 1986.

الصوت الإنساني، وبحث مميزات الحرف العربي صوتيا، وحكم جهازه السمعي في معرفته الأصوات وأثر تذبذبها.

وأما الدراسات القرآنية قد ضمنها في موضوعات دقيقة متخصصة، جعلها في نوعين أولها النوع الذي يتحدث في الإعجاز وكتب في القراءات، أما كتب الإعجاز فكانت المجلى في ما بحث من أصوات لغوية كما نجد الرمّاني (ت 386 هـ) من الذين ذاع صيتهم في درس اللغة من حيث أصواتها إلا أنه مزج بين المعاني والأصوات مطبقا تجاربه في باب تلاؤم الحروف تارة وتارة أخرى في فواصل الآيات بلاغيا.

أما التلاؤم الصوتي عند الرمّاني فهو نقيض التنافر والتلاؤم وهو تعديل في الحروف؛ لأن تأليف الكلام على ثلاثة أوجه متنافر، ومتلائم في طبقة الوسطى ومتلائم في الطبقة العليا.

ويقصد الرمّاني بالتلاؤم إلى تجانس الأصوات، ولما كانت أصوات القرآن متجانسة تماما، فإن القرآن كله متلائم في الطبقة العليا، وبين ذلك لمن تأمله، والفرق بين القرآن وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف، وبعض الناس أشد إحساسا وفطنة من بعض[1].

وأما في القراءات فقد انتهى كثير من الباحثين بإعطاء مصطلحات صوتية اقترنت بالنحو تارة وباللغة تارة أخرى، وتمخضت منهما دراسات صوتية في القرآن الكريم، مثل ما جاء في دراساتهم من إدغام، وإعلال وإبدال وإخفاء وإظهار وإشمام ورَوم، وإمالة وإشباع وتفخيم وترقيق مما قام به علماء الأداء الصوتي للقرآن الكريم.

---

[1] - ينظر التبيين للشيخ فايز درمان، ط دار المعرفة، بيروت، لبنان، سنة 1999.

ومن ذا وذاك نستشف أن اللغة العربية خلصت في تعادل الأصوات وتوازنها مما جعل لغة القرآن في الذروة من طلاوة الكلمة والرقة في تجانس الأصوات، ولذا نرى أن العرب استبعدوا جملة من الألفاظ لا تنسجم صوتيا في تداخل حروفها وتنافر مخارجها مثل الصاد والجيم والحاء والعين ...إلى آخره من الحروف.

8. المقطع الصوتي اللغوي في القرآن:

إن اللغة العربية تمتاز عن غيرها من اللغات بالنبر في مقاطعها، وكل حسب قوّته، ومعانيه التي يؤدي إليها، فالمقطع الصوتي هو ذلك الأثر الذي يحرك مسامع الناس مع ترك إحساس داخل الجهاز السمعي، إذ لا يمكن أن يكون مقطع صوتي دون أن يؤثر بما يحيط به، وبما أننا في مجال الصوت اللغوي الإنساني لابد أن نتطرق إلى المعاني المستفادة من ذلك، لقد حاول الدكتور إبراهيم أنيس بعملية إحصائية على سور قرآنية محاولا الكشف عن نسبة شيوع كل صوت حبيس من الأصوات فكانت نتيجة عمله كالآتي:

ل– 127 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

م– 127 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

ن– 112 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

همزة –72 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

هـ– 56 مرة مبثوثة في القرآن الكريم..

و– 52 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

ت– 50 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

ي- 45 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

ت- 43 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

كـ- 41 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

ر- 38 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

ف- 38 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

ع- 37 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

ق- 23 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

س- 20 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

د- 20 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

ذ- 18 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

ج- 16 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

ح- 15 مرة مبثوثة في القرآن الكريم.

خ- 10 مرات مبثوثة في القرآن الكريم.

ص- 8 مرات مبثوثة في القرآن الكريم.

ش- 7 مرات مبثوثة في القرآن الكريم.

ض- 6 مرات مبثوثة في القرآن الكريم.

غ- 5 مرات مبثوثة في القرآن الكريم.

ث- 5 مرات مبثوثة في القرآن الكريم.

ز- 4 مرات مبثوثة في القرآن الكريم.

ط- 4 مرات مبثوثة في القرآن الكريم.

ظ-3 مرات مبثوثة في القرآن الكريم.

ومن هذا الآنف ذكره نجد أن الأصوات اللغوية ترتكز على الحبيسات التي تتألف منها، فالله -جلّ وعلا- قد أودع الإنسان آلة النطق وميزه بها، فكانت تلك الحبيسات التي تنشئ الصوت اللغوي، وبه يحدث أصواتا متميزة عن غيره من المخلوقات وبالإضافة إلى تلك الحبيسات آلة التمييز أي العقل الذي يبين فيلقي ما أراد من بيان، والله -جل ثناؤه-يستفتح القرآن العظيم بمقاطع مثل قوله: (ألم) فالألف مقطع، واللام مقطع والميم مقطع كما قال سيد الخلق أجمعين: بكل حرف عشر حسنات لا أقول الم حرف بل ألف حرف واللام حرف والميم حرف[1]، هذا من جهة ومن جهة أخرى أي أنه كيان في الكلمة هكذا "ألف، لام، ميم" ويحسن السكُوت عليها.

فالمقطع الصوتي في العربية يسري شيوعه حسب المناطق الجغرافية والبيئية إلى عوامل تؤثر في نطق الإنسان كالنُّسُج التي تأباها العربية، والتي تكون لها تأثير في مباني الكلمات وتدخل في قوة النبر وخفته، والنُّسُج الصوتي هو ذلك التركيب الحرفيّ للكلمة، والنُّسُج الصوتية لم تدرس دراسة معمقة، إلى الآن، غير أن النحاة اللغويين قد أشاروا إلى ذلك في طيات كتبهم ومصنفاتهم[2]. لكنها كانت ملاحظات لا تفي فهم الباحث في هذا العصر، والمتطلع إلى الجديد الذي يخرجهم من دائرة الحلقة التي تدور حول ما كان دون أن نتقدم إلى ما هو أجدى وأرقى، فالسنن الحياتية

1- من كتاب إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية، 1987، ص 127.

2- ينظر كتاب الحروف للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق عبد السلام هارون، ط دار الكتاب العربي، د.ت، وينظر كتاب مقاييس اللغة لابن فارس، وكتاب الأمالي لأبي علي القالي، ص 1988، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

تتطلب ذلك، فكل خلق جديد يتطور ويضيف ما هو أرقى، وعلى أساس ما قدمه القدامى نبني دراستنا، إذ كل دراسة تبنى على توطئة ولا تبنى على عدم، بل نوضح ونبين ما أمكن إبانته بنظرة علمية تتماشى والتطورات العلمية الخالية بأحدث الأجهزة.

وفي هذا المجال يحصر ابن جني مخارج الحروف في ستة عشرة مخرجا، ناظرا إلى موقعها في أجهزة النطق، ومنطلقا من صورها الصوتية، فيقول: "واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر مخرجا، ناظرا إلى موقعها ... ثلاثة منها في الحلق:

1- فأولها في أسفله وأقصاه تخرج الهمزة والألف والهاء.
2- ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء.
3- ومما فوق ذلك من أول الفم: مخرج الغين والخاء.
4- ومما فوق ذلك من أقصى اللسان، مخرج القاف.
5- ومن أسفل ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف.
6- ومن وسط اللسان، بينه وبين الحنك الأعلى: مخرج الجيم والشين والياء.
7- ومن أول حافة اللسان وما يليها تخرج الضاد.
8- من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام.
9- ومن طرف اللسان سنة وبين ما فوق الثنايا: مخرج النون.
10- ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام فخرج الراء.

11- ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، مخرج الطاء، والدال والتاء.

12- ومما بين الثنايا وطرق اللسان، مخرج الصاد والزاي والسين.

13- مما بين اللسان وأطراف الثنايا، مخرج الظاء والذال والثاء.

14- ومن أطراف الشفة السفلى، وأطراف الثنايا العليا، مخرج الفاء.

15- وما بين الشفتين مخرج الياء والميم والواو.

16- ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة ويقال الخفيفة النون الساكنة فذلك ستة عشر مخرجا"[1].

إن ابن جني قد عرض لنا ظواهر عدة تمثل لنا المنهج الصوتي عنده بصورة أولية، ولو تتبع الدارس لعلم الأصوات لوجد أن هذا الأخير قد سار في منهج قد يشاكل ما أسماه الغربيون "Phonologie" أي تشكيل الأصوات أو هو النظام الصوتي كما سماه دي سوسور "DESAUSSURE" في كتابه دروس اللسانيات العامة: "Cours de linguistique générale"، قال عنها بأنها حالات صوتية[2].

ومن الواضح هذه الدراسات المتناثرة تشدنا إلى أن الفكر الصوتي الإنساني فيما حقق من نظام صوتي حديث لا يختلف عما أبداه ابن جني في الظواهر الآتية:

مصدر الصوت مصطلح المقطع عند ابن جني طريقة متميزة استطاع فيها أن يستلهم كيفية حدوث وطريق خروج المقطع وعوامل تقاطعه، واختلاف جرسه بحسب اختلاف مقاطعه، وهذا أدى إلى تمييز الأصوات من بعضها بعض والحروف فيقول: "اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والشفتين مقاطع تثنيه عند امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له الحرف، وتختلف

[1]- ينظر سر صناعة الإعراب تأليف ابن جني قدم له الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي حققه و علق عليه أحمد فريد أحمد ، ج1، ص 52، 53.

[2]- **DESAUSSURE, Cours de linguistique générale, Edition Talantikit Béjaia, Année 200.**

الأجراس في أصوات اللغة العربية بحسب مقاطعها..."[1]، وهذا المصطلح حديث عند الأوروبيون.

والحق أن المقطع الذي تحدث عنه ابن جني هو مجموع وحدات صوتية متكونا مع إيقاع النفس الطبيعي ومع نظام اللغة في صوغ مفرداتها.

ومن الواضح أن اللغة العربية تبدأ كلماتها بمتحرك واحد، وتختمها إما بحركة هو المقطع المفتوح، وإما بصامت فهو المقطع المقفل ويستحيل أن تكون اللغة العربية مبدوءة بمجموع من الصوامت أو أن يتخلل الكلمة العربية أكثر من صامتين مجاورين أو أن أختم الكلمة بمجموعة من الأصوات الصامتة[2].

ومن الملاحظ أن المقطع يتألف من حركة زائد صامت، وذلك هو المقطع القصير، أما الطويل فهو مكون من حركتين وصامت، والعربية عادة تتكون في غالبيتها العظمى في كلماتها من ثلاثة مقاطع في المادة ذو اشتقاقاها، ففي الثلاثي مثلا كلمة "ذهب" في ثلاثة مقاطع "ذَ" "هـَ" "بَ" وكل مقطع هنا من الحرف الذي يمثل صوتا زائد حركة.

قال ابن جني "مستفيدا بما قدمه الخليل" إن الأصول الثلاثة، ثلاثي، ورباعي، وخماسي، وأكثرها استعمالا، وأعدلها تركيبا الثلاثي، وذلك لأنه؛ حرف يبدأ به وحرف يحشى به وحرف يوقف عليه، وليس اعتدال الثلاثي بقلة حروفه حسب، لو كان كذلك لكان الثنائي أكثر منه لأنه أقل منه حروفا ... فيمكن الثلاثي إنما هو لقلة حروفه لعمري، ولشيء آخر هو حجز الحشو الذي هو عليه بين فائه ولامه وذلك لتعادي حاليهما، ألا ترى أن المبتدأ لا يكون إلا متحركا وأن الموقوف عليه لا يكون إلا ساكنا، لما تنافرت حالهما وسطوا العين حاجزا بينهما لئلا يفجأوا[3].

---

[1]– سر صناعة الإعراب، لابن جني، ج1، ص 6.

[2]– ينظر أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، لعبد الصبور شاهين، ط مصورة، د.ت، القاهرة، ص 409.

[3]– كتاب الخصائص لابن جني بتحقيق علي النجار، طبعه مصورة عن الأصل، دار الكتاب اعربي، بيروت، لبنان، 1952.

ومما هو ظاهر عند علماء العربية أنهم نهجوا في عملية التقطيع الصوتي على سمت الخليل في تقطيع الوزن العروضي للشعر العربي، ولقد أفاد كل بما تقتضيه المادة المدروسة في علوم العربية وما شاكلها.

ومما يثير الانتباه أن ابن جني يتحدث عن الصوت المتنقل، أو مجموعة الأجهزة الصوتية في الحلق والفم، وسماعنا تلك الأصوات المختلفة، وتذوقه للحرف العربي، ووجدانه الإختلاف في أجراسه، والتباين في أصدائه فشبه الحلق بالمزمار، ووصف مخارج الحروف، ومدارجها بفتحات هذا المزمار وتتوجه عناية بمجرى الهواء في الفم عند إحداث الصوت[1]، ويشبهه بمرواحة الزامر أنامله على خروق الناي لسماع الأصوات المتنوعة والمتشعبة بحسب تغييره لوضع أنامله لدى فتحات المزمار، وكذلك الحال بالنسبة للوترين الصوتيين عند الإنسان، ومن هذا الآنف ذكره نستيطع أن نقول دون تردد يكاد أن يكون ما قدمه ابن جني في تشبيه الصوت بتذبذب في إخراج الأصوات بالمزمار الذي أصبح اليوم نقطة انطلاق للأصوات باعتباره فراغا يحاط بالوترين الصوتيين؛ إذ لم يكن هناك وسيلة ملموسة لابن جني للاستدلال من خلالها على قضية يصعب الاستدلال عليها في عصره دون النظر إلى ذلك الجهاز، أما التشبيه الذي عاد اليوم مظنة بمساحة نطقية قرب الحنجرة، فإنه قد لون بصبغة خاضعة لعلم التشريح، وليس عصر ابن جني عصر تشريح، ولا هو تخصص فيه مع فرص وجود أوليات الموضوع، ولذلك كانت ترجمته معبرة عن رأيه بطريقة تمثيلية، ونستشف من ذا وذاك أن ابن جني استنتج ما وصل إليه بحسه الفطني، إذ كان مسايرا لحركة التفكير، كما أنه تحدث عن المسموعات وأثرها في تكوين الأصوات، فيستلم بعض الحقائق الصوتية، كما يتحدث عن صدى الصوت، وهذا لا يمنع أن تقول بأن الله تعالى هو ملهم الأصوات، ومنشيء اللغات ومعلم الكائنات وهذا هو الاعتقاد الصحيح.

---

[1]– ينظر كتاب الدين الخليل، بن أحمد الفراهيدي، (ت 170 هـ)، ط دار المعرفة، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، لبنان، سنة 1968.

فالواضح أن أهم خصائص العربية ثبات أصوات الحروف فيها، لأن جوهر الصوت العربي بقي واضحا، وهو ما يتمثل في قراءة القرآن الكريم وإخراج الحروف الصامتة يكاد أن يكون واحدا. لأن اللغة العربية تستمد أصولها من القرآن الكريم، ولا غرابة أن العربية أن تقول بأن استقراء ملامح الظاهرة الصوتية في التراث العربي الإسلامي إلى أن القرآن الكريم هو المنطلق الأساسي فيها[1]، والحق أن الذي نود دراسته من الآنف هو ما جاءنا من قراءات قرآنية وبالأخص القراءات السبع، وفيها تتضح المسالك التي خاضها العلماء، في تبيان الأصوات المختلفة.

الأصوات الحنجرية هي التي تحدث اهتزازا في الوترين الصوتيين، ولا نقصد هاهنا محابس الحروف التي وضعها العلماء بالترتيب حسب المخارج أو بما يسمي بالمحابس الصوتية حين النطق، ويدخل في فلك هذه الأصوات أنواع منها: أحكام الترتيل، والقراءات الصحيحة، المتواترة: التنغيم، الإمالة في الأصوات الحنجرية، النبر.

ومن الآنف ذكره سنتناول أولا أحكام الترتيل في القراءات القرآنية من حيث الصوت الحنجري فكل القراء السبعة قد وضعوا أحكاما خاصة للقراءات وكيفية تأديتها بالصوت المنوط، وذلك حسب ما جاء في الكتاب والسنة، وقد سار عليه السلف فدونوه في كتب حتى يتعلمه الناس فتسهل قراءته وليلحق بالركب من لم تتواتر لديه القراءة شفويا، ولذا كانت الكتابة قيد. إن أحكام الترتيل في القرآن مستوحاة من الوحي عن طريق النبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين بدليل من القرآن الكريم حيث يقول جل ثناؤه (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) [2] وقال رسول الله ﷺ "أنزل

[1]- ينظر بحوث لغوية لأحمد مطلوب بمجلة المجمع العلمي السوري، ج27، 1976.

[2]- سورة المزمل، الآية [07].

هذا القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه"[1] وفي رواية "نزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شاف كاف فاقرأوا كيف شئتم"[2].

وبما أن الترتيل مطلوب في القراءات القرآنية فأحكامه ضرورية لصحة أداء الأصوات كلها، فالمعيار الذي يمكن للقارئ من معرفة حسن ترتيلها على الوجه المنوط بها، ولقد جعل العلماء أحكاما للترتيل تتمثل فيما وضعه الرسول الأكرم وصحابته الكرام، منها:

<u>أولا:</u> الأصوات التي لا تصح القراءة إلا بها؛ فالقرآن العظيم لغته من مزاياها الصوت الرنان الذي يتغلغل إلى الأعماق ولذا كان لزاما أن يكون الصوت موافقا لما أوحي لرسول الله –عليه الصلاة والسلام– فصورة الحرف ورسمه يعطيان أصواتا تتجاوب والقراءة التي قرأها رسول الله ﷺ لأن القرآن مدوّن في فترة عثمان –رضي الله عنه– كان الحجاج وَكَّلَ عَاصِمًا، وناجية بن رمح وعلي ابن أصمع[3] بتتبع المصاحف، وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف وجدوه مخالفا لمصحف عثمان، ويعطوا صاحبه ستين درهما[4]، قال: ابن قتيبة أخبرني بذلك "أبو حَاتم عن الأصمعي"[5].

فالترتيل يستلزم أن يضبط القارئ الصوت في القراءات، وذلك يعود إلى الحنجرة التي منحها الله للإنسان، ويكتسب ذلك بالتمرين والتعود على القراءة بأصوات محكمة، وهذه الأحكام هي المضمنة في تحسين الصوت عند قراءة القرآن الكريم، وإن استعمال كلمة ترتيل في القرآن فهي الترسيل في القراءة بغير بغي، والتبيين؛ وهو مأخوذ من الرتل

---

[1]– حديث شريف رواه البخاري في فضائل القرآن، ص 27.

[2]– رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، ص 94، من حديث عمر والطبري في مقدمة التفسير، ج1، ص 21.

[3]– هو علي بن الأصمعي بن عم أبي الأصمعي من كتاب تأويل شكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط المكتبة العلمية، سنة 1973، ص 52.

[4]– نفس المصدر، ص 51.

[5]– الأصمعي هو عبد الملك بن قريب بن أصمع الباهلي المعروف (بالأصمعي) (أبو سعيد) أديب، لغوي، نحوي، إخباري، محدث، فقيه، أصولي، من أهل البصرة ولد سنة 122 هـ، وتوفي بالبصرة سنة 216 هـ.

محركة وهو حسن تناسق الشيء والحسن من الكلام، والطيب من كل شيء، يقال رتل الكلام ترتيلا، أحسن تأليفه[1].

والواضح الترتيل في اصطلاح القراءة بتأنّ واطمئنان، وإخراج كل حرف من مخرجه مع تدبر المعاني، ومراعاة الوقوف[2] وقال الجرجاني: وقيل هو خفض الصوت والتحزين بالقراءة، فالترتيل هو أفضل مراتب القراءة؛ إذ هو صفة قراءة النبي ﷺ كما نعتت أمُّ سلمة قراءته بأنها مفسرة، وقالت عائشة –رضي الله عنها–: "يقرأ بالسورة فيُرَتِّلُهَا حتى تكون أطول من أطول منها"[3].

وهكذا كان معظم السلف على تفضيل القراءة بالترتيل؛ لأنه يساعد على التدبر، فالمقصود من القرآن فهمه، والثقة فيه، والعمل به، ولأن القراءة بالترتيل أقرب إلى التوفير، والاحترام، وأشد أثرا في نفس القارئ والسامع معا –قال الغزالي: "عالم أن الترتيل مستحبٌ، لا لمجرد التدبر، فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة الترتيل والتؤدة، لأن ذلك أمتع للنفس وأقرب إلى الخشوع الذي يهدف إلى التوفير، والاحترام، وأشد تأثيرا في القلب من الهدرمة والاستعجال[4].

ومن الواضح أن الصوت الحنجري الذي يؤدي بأتم الضوابط التي جاء بها السلف متواترة حسب القراءات القرآنية السبع[5]، فإن القراءة المسموعة بالنبر مرجعها إلى الحنجرة، إذ أن الأصوات التي يمكنها أن تنبثق من جوية الحنجرة بقوة واهتزاز في الوترين الصوتيين لأنهما جزء من الحنجرة أو أنهما يتفاعلان مثل الروح والجسد، متلازمان في إنتاج الصوت، فعملية الإنتاج معقدة جدا وتبدو بسيطة، فالصوت يعبر عن

---

[1]– القاموس المحيط تحقيق/ دار / الجيل/ للفيروز أبادي، بيروت، لبنان، د.ت، ص 1297 في مادة [رتل].

[2]– ينظر التمهيد في علم التجويد لابن الجزري، دار المعارف، لبنان، بيروت، ط سنة 1987، ص 48، 49.

[3]– كتاب التعريفات للشريف الجرجاني (ت 826 هـ)،طبعة دار الفكر بيروت لبنان سنة 2005 ص 82، 83.

[4]– النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ج1، ص 209.

[5]– دونها الإمام ابن مجاهد أحمد بن موسى.

الروح الحية التي تؤثر في النفس وتختلف الأصوات من حنجرة لأخرى حسب المناطق والأقاليم المختلفة كما جاء في القراءات السبع.

وهذه الأصوات الحنجرية تتمثل في كل حرف يُقْرَأ تتفاعل أثناء نطقه الحركات كلها وهي: الكسرة، والضمة، والفتحة، وفروعها الياء، الواو، الألف.

<u>أولا:</u> الكسرة: هي صوت طليق يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين مع تكتل مقدم اللسان وارتفاعه إلى أقصى درجة ممكنة نحو مقدم الفم أي في الغار، ولكن من غير أن يحدث هذا الإرتفاع انسدادا للنفس أو تعويقا له، فإذا زاد الإرتفاع حتى حدث التعويق نتج صوت الياء شبه الطليق الذي يسمع معه حفيف كما في كلمة يوجد" فإذا زاد الإرتفاع نتج حرف "الجيم"[1].

والكسرة من الحركات الأصلية وحين إحداثها إن الشفتين متراجعتان معها إلى الخلف في وضع يشبه التبسم، وفيها الهواء يتخذ مجراه في الفم وحده، وإما مجرى الأنف معها يكون منسدا تمام الإنسداد، وهذا يحدث في الكسرة العربية القصيرة: أنها أمامي، حيث إنها مصحوبة بتكتل اللسان في المنطقة الأمامية من الفم، منكسر، إذ أن اللسان متراجع إلى الخلف، وحاد لأن الفرجة معها أضيق ما تكون، وارتفاع مقدم اللسان أكبر ما يكون قصير لأنه يبلغ نصف طول الكسرة الطويلة التي تتميل في ياء المد غير أغن يتخذ معها مجرى الفم وحده دون الأنف، وأكثر ما تكون أقصر في حالة الروم، حتى تصير إلى نصفها، وإذا سبقتها أصوات الاستعلاء (ص، ض، ط، ظ، خ، غ، ق) انفجرت قليلا، أي يحدث هبوط اللسان شيئا ما عن المنطقة المعهودة له مع الكسرة الحادة، وأصح ما يكون

---

[1]- كتاب المحيط في أصوات العربية نحوها وصرفها، لمحمد الأنطاكي ج1، ط2، دار الشروق العربي، بيروت، سنة 1971، ص 34.

هذا مع الأصوات المطبقة (ص، ض، ط، ظ) فالكسرة التي في الصاد مثل كلمة "صراط"، أوسع فرجه من الكسرة التي في النون كما في كلمة نعمة،، وكلمة "نساء"[1].

والكسرة الطويلة وتسمى بالياء أيضا وهي مثل الكسرة في جميع صفاتها وأحكامها، إلا في صيغة الطول إذ تبلغ في طولها ضعفين من طول القصيرة، وفي القراءات نبلغ أحيانا ستة مرات حسب ما تقتضيه القراءة، لأن هذه الكسرة أو الياء كما جاء في كتاب الخصائص "إن الأماكن التي يطول فيها صوتها وتتمكن مدتها ثلاثة وهي أن تقع بعدها توابع لما هو مِنْهُنَّ، وهو الحركات من جِنْسِهِنَّ، الهمزة أو الحرف المشدد أو يوقف عليها عند التذكر)[2]. فالهمزة نحو كساء ورداء، ورزيئة ومقروءة ومخبوءة، وإنما تمكن المد فيهن مع الهمز أو الهمزة حرف نأى منشوء، وتراخي مخرجه فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قليلة، ثم تماديت بهن نحوه طلن، وتشعن في الصوت فوفين له وزدن في بيانه (ومكانه). والكسرة الطويلة التي نقصدها هي الطليقة لا الحبيسة[3]

– الضمة القصيرة هي صوت طليق يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين مع تكتل مؤخر اللسان وارتفاعه إلى أقصى الحنك الأعلى دون انسداد النفس أو منعه، وإلاَّ حدث صوت الكاف المجهورة "g" وفي حاله الانسداد الناقص صوت الغين المجهورة، مع استدارة الشفتين وترك فرجة تسمح بمرور الهواء حدث الإحتكاك ونتج عنه صوت الواو الشبيه بالطليق، وما يمكن قوله عن صفة الضمة العربية القصيرة، إنها طليق أي ليس معها انحباس، وتنتج عن ارتفاع أقصى اللسان من الخلف نحو الحنك تنضم أي تنضم عنه الشفتان، أي تكون الفرجة معه أضيق ما تكون وارتفاع مؤخر اللسان ما يكون، فإنه يبلغ صوتها صوت الضمة الطويلة التي

---

[1]– ينظر إلى قواعد الوقف والحركة مع تقصيرها وتطويلها في كتاب الخصائص لابن جني تحقيق محمد علي النجار، ج3، دار الكتاب العربي، ط د.ت، ص 120، 121.

[2]– كتاب الخصائص، لابن جني، ج3، ص 125.

[3]– كتاب المحيط، لمحمد الأنطاكي، ص 36.

هي الواو غير أغنّ الهواء يتخذ مجراه دون انسداد في الفم من غير الأنف وكذلك تصل نصف طولها الطبيعي.

الضمة الطويلة فهي ضعفي القصيرة وهي واو، والفرق بين هذه الواو التي تعد ضمة طويلة والواو، إذ هي من الطليقات والواو التي هي شبيه طليق وتعد في الحبيسات، فالفرجة في الأول أوسع منها في الثانية، هو الذي جعل الثالثة تصير في دائرة الحبيسات، لأن ضيق الفرجة يؤدي إلى احتكاك الهواء بباطن الشفتين فيتضح عن ذلك ضيق الذي يجعل حدا فاصلا بين الطليقات والحبيسات، فيسمى النّحاة الطليقات حروف مدّ والحبيسات منها حروف علة إذا كانت في الفعل، مثل وعد، يفع[1].

وهي مثل الضمة إلا أن طولها يبلغ ضعفين طول القصيرة ويزيد طولها أكثر إذا وليها همزة أو إدغام في مثل "ينوء" و"تمو"[2].

الفتحة القصيرة: إنها صوت طليق يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين مع ارتفاع طفيف في مقدم اللسان، وتراجع طفيف في الشفتين إذا جاءت بعد حبس من الحبيسات المستقلة بَ، تَ، ثَ، جَ، حَ، دَ، زَ، سَ، شَ، عَ، فَ، كَ، لَ، مَ، نَ، هَـ، وَ، يَ) ، أما إذا جاءت بعد حبس من الحبيسات المستعلية، (صَ، ضَ، طَ، ظَ، خَ، غَ، قَ) أو جاءت بعد الراء، فإن اللسان يرفع ارتفاعه الخفيف بمؤخرته لا بمقدمته، والشفتان لا تكونا في وضع متراجع بل وضع الحياد التام، وتسمى الأولى بالفتحة المرققة، وصفتها أنها صوت طليق أمامي متفرج قصير غير أغن مثل كلمة "كتب" وفي الثانية مثل كلمة "قصر".الفتحة الطويلة: وهي تدعى الألف ايضا وهي في جميع أحوالها وصفاتها وأحكامها كالقصيرة إلا

---

[1]- ينظر لكتاب سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط دار الكتاب العربي، (د.ت)، ج 1 ، ص 19.

[2]- ينظر كتاب الخصائص للمؤلف نفسه، ج3، ص 120 في باب كمية الحركات.

في الطول إذ تبلغ ضعفي القصيرة وإذ تلاها الإدغام أو الهمز ففي كلمة "داوّاب" أو كلمة "صحراء" أطول منها في "عصا"[1].

فالأصوات الآنفة توضح أن الذي صيّرها إلى الحنجرة هي الحركات التي تحدث عنها علماء الأجلاء في متون مختلفة وشروح مسهبة مثل ما جاء في كتاب سيبويه في قوله، إذ التَّرنُّم أحرف الإطلاق فقال سيبويه "أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء، لأنهم ارادوا مد الصوت، وإذا استندوا ولم يترنموا، فإن أهل الحجاز يَدَعُون القوافي على حالها في الترنم وناس كثر من بني تميم يبدلون مكان المدة النون[2].

وقد أنكر هذا الصوت الذي يحدث من جراء الغلو كل من الزجاج[3] والسيرفي[4] زعما أن رؤبة كان يزيد في أواخر الأبيات صوت، "أن" فلما ضعف صوته ظن السامع أنه صوت النون.

فالصوت الذي نشأ من اهتزاز الوترين الصوتيين داخل الحنجرة، أو تحريك الغشاء المطاطي من وراء العظم المرتبط بالأنسجة الرابطة للعضلة البارزة في شكل ثلاثي هرمي بما يسمى بتفاحة آدم مع انعدام مادة اللعاب إليها أو بما يسمى علميا" يتيح للناطق أن يحدث صوتا حنجريا.

فالصوت اللغوي هو ما يعبر عنه بالآثار السمعية التي تحدث جراء احتكاك الهواء المنبعث من الرئتين في أي محبس من المحابس للحبيسات العربية لإحداث الصوت، حين يحدث في هذا المحبس انسداد كامل أو ناقص ليمنع الهواء الخارج من الجوف من حرية

---

[1]- كتاب المحيط، لمحمد الأنطاكي، ص 37.

[2]- الكتاب لسيبويه، شرح وتحقيق عبد السلام هارون، ط دار الكتاب العربي، ط11، ج4، ص 206.

[3]- هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق، الزجاج عالم بالنحو واللغة ولد (241هـ) في بغداد كان في شبابه يعمل خراطا للزجاج وصار إلى النحو فعلمه كانت له مناقشات مع أقرانه، من كتبه إعراب القرآن، والاشتقاق، وخلق الإنسان، وكشاف اللغة والأعلام.

[4]- السير للحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرفي النحوي عالم بالأدب أصله من فارس نفقه في العربية ببغداد له الاقناع في النحو، وشرح كتاب سيبويه الخ...

المرور مثل الباء التي هي نتيجة انسداد كامل في الشفتين ومثل السين التي تمثل انسداد ناقص في أطراف الأسنان[1].

ومن المؤكد أن كل صوت لغوي حبيس من الحبيسات والتي تعطي معان مفهومه لدى السامعين مع تأثيرات متفاوتة حسب نبراتها في القوة والضعف، وهنا تقدم أمثلة من القرآن الكريم حسب القراءات السبع المتداولة ففي قوله تعالى (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا) فالآية تبين قوة الصوت العالي يناسب أصداء الألفاظ مع اختيار أصواتها بما يناسبها واستيحاء دلالتها من جنس صياغتها فالناس صنفان صالح وطالح، فالصالح فرح بعمله الذي قدمه، أما الطالح يندم حيث لا ينفع الندم فيطلب ما لا يتحقق، لأن ذلك اليوم لا يخرج منها أحد، كأن الطالب في حيرة من أمره، وقد عرف الحق فهو يريد أن ينجو مما هو فيه بالمد في كلمة ربنا، جاءت بعده همزة وقبله مشدد فالصوت بني بالاستغاثة، فالصوت يؤدي معان مناسبة له من حيث القوة لقد ذكر ابن جني بابا في ذاك سماه قوة اللفظ لقوة معناه وقد أتى بآيات عديدة مستشهدا أو موضحا أن القوانين الصوتية تعبر عن علاقة بين حالتين للغة واحدة في وسط اجتماعي معين، فهي ليست قوانين عامة شبيهة بقوانين علم الطبيعة أو الكمياء، ولهذا نجد تطورا صوتيا في إحدى اللهجات، ولا نجد له اثر في لهجة أخرى[2].

من أبرز القوانين الصوتية اثر في التطور اللغوي، والمتمثل في الأصوات، فإن أصوات اللغة تختلف فيما بينها في الشدة والرخاوة، والجهر والهمس، والتفخيم والترقيق، وما على ذلك، فإذا التقى صوتان من نفس المخرج أو من مخرجين متقاربين، وكان

---

[1]- ينظر كتاب الخصائص لابن الجني، وكتاب دلالة الصوت في القرآن للكاتب حسين صغير، مستخرجة من موقع شبكة العزة الإسلامية، قرآن كريم، من القراءات القرآنية.

[2]- ينظر مجلة مجمع اللغة العربية، ج 33، ط 1974، ص 115.

أحدهما مجهورا والآخر مهموسا مثلا حدث بينهما شد وجذب، فيحدث تماثل معهما في الصفات، وقد جعل العلماء للأصوات اصطلاحات في أنواع التأثر الناتجة عن قانون المماثلة، فإن كان الأول أثر في الثاني فيسمى التأثر (مقبل) وإن حدث العكس، فالتأثر (مدبر) وإن حدث مماثلة تامة بين الصوتين فالتأثر (كلي) وإن كانت المماثلة في بعض الخصائص الخاصة بالصوت، فيسمى التأثر (جزئي) وها هي أمثلة على ذلك:

فمثال التأثر المقبل ففي قوله تعالى: (ادعى) فأصلها (ادتعى) التقت الدال والتاء وهما من مخرج واحد هو مخرج الأسنان واللثة، فأثرت الدال وهي متقدمة على التاء التي بعدها فقلبتها دالا مماثلة[1].

ومثال التأثر المقبل الجزئي في قولنا "اضطجع" فأصلها "اضتجع" فقد اجتمعت الضاد والتاء مخرجهما من الأسنان واللثة لذلك فتأثرت الضاد في التاء، وقلبتها إلى طاء لتكون مماثلة في صفاتها، لأن الطاء مستعلية وكذلك الضاد وكلاهما مفخم[2].

والتأثر المدبر الكلي تأثر النون في "إن" و"أن" و"من" و"عن" بالميم، واللام، التي تليها فتقلب ميما أو لاما مثل "إما" و"أما" و"إلا" و"ألا" و"مما" و"عما" وما إلى ذلك.

ومثال التأثر المدبر الجزئي تأثر النون بالباء التالية لها، إذ تقلب إلى صوت من مخرج الباء وهو صوت من فوق الميم إذ هو شفوي كالباء، وهو ما سماه علماء القراءات بالإقلاب في مثل قوله تعالى: (مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ)[3] وقوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)[4].

فالصوت لا ينقلب إلى صوت آخر إلا إذا كان بينهما تقارب في المخرج، فلا يمكن أن يقلب صوت شفوي إلى صوت حلقي وكذلك العكس.

1- السابق، ص 115.

2- سر صناعة الإعراب لابن جني، ج1، ص 191، طبعة 1978، دار الكتب العلمية، القاهرة، مصر.

3- سورة آل عمران، الآية [105].

4- سورة آل عمران، الآية [119].

هناك قانون آخر يسمى عند علماء الأصوات "قانون الإقلاب فهو عكس المماثلة الذي يكون في الأصوات المتقاربة. فإنه يعمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات، فيعير أحدهما إلى صوت آخر، يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة، أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة المتمثلة في اللام، والميم، والنون، والراء، مثال ذلك: "قيراط" و"دنانير" بدلا من قراط" و"دنار" جمع "قراريط" و"دنانير" وقد تفطن العرب منهم اللغويون القدماء وكانوا يعبرون عنها بكراهية التضعيف، أو كراهية اجتماع الأمثال وما أشبه ذلك[1].

وقد أوضح علماء الأصوات في العصر الحديث أن السبب في المخالفة مؤداه أن ذالك يحتاج إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة ولتسيير هذا المجهود العضلي يقلب أحد الصوتين صوتا آخر من الأصوات التي لا يتطلب جهدا عضليا كاللام والميم والنون والعربية تميل إلى التخلص من توالي الأمثال في أبنيتها[2].

ومن أمثلة الحذف لكراهة توالي الأمثال "إنّ"، وإنّ وكأن ولكن" مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم، أو ضمير المتكلمين المنصوب والحذف مع هذه الأحرف هو الشائع في القراءات القرآنية السبعة ففيه مثلا "إني" 1240 مرة في مقابل "إنني" ستة مرات كما ورد فيه "وإنا" 33 مرة في مقابل إننا، مرة واحدة وغير ذلك فإن كلمة "أشياء" من الصرف لأن صوتها وقع فيه تتوالى الأمثال فحذفت، وقد ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى: (لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)[3].

1- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج1، د.ت، ص 171، ط مصورة.

2- الكامل أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي، مؤسسة المعارف، ط بيروت، د.ت، ص 19.

3- سورة المائدة، الآية [101].

الصوت اللغوي عند المحدثين:

قد تناول الدارسون العرب الصوت اللغوي منذ القديم إلا أن دراستهم لم تتابع بجدية، وأهملت في فترات متعاقبة، وكان همهم في دراسة علم العربية المتمثل في النحو والصرف؛ إذ نرى الدراسات النحوية، قد تطرقت لهذا الدرس غير أنه لم يستوف جوانبه كلية ويقدر كاف، بل جعلوا ذلك تعريفا للغة، مثل ما جاء عند أبي جني في كتابه "الخصائص" قائلا: "اللغة أصوات، يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1]. وجاء في الفية ابن مالك في تعريف الكلام: كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل ثم حرف الكلم ففي كلمة "لفظ" نفهم أن الصوت يلفظ أي بواسطة النفس كنا جاء في قول الشاعر: س [الطويل]

وقُلتُ لَهُ إِنْ تَلفِظِ النفس كارِهًا ❁ أدَعْكَ ولا أدْفَنَكَ حِينَ تَنبّلُ

أما ما جاء في الصوت اللغوي العربي لم يتحدث عنه الدارسون العرب إلا نادرا، ولم يكن إلا في دائرة الدراسات الغربية؛ لأن الصوت له مجالات يخضع لها كاللغة التي يحدث منها، واللغة هي نفسها تحور الصوت إلى مستواها؛ وهذا الذي نسميه في العربية النبر. وقد اقتصرت على الصوت العربي دون غيره؛ لأن ذلك الصوت له متميزات لا نجدها في لغة أخرى، ونسج خاصة به لا يمكن لأي لغة، وسميت لغة الضاد، وفي هذا المجال نوعين الأصوات العربي بكل أشكالها المتنوعة، ويطلق عليها بالحبيسات العربية أو بما يسميه النحاة بالحروف الصحاح، وهي ثمانية وعشرون صوتا وهي كالآتي:

---

[1]– ورد هذا البيت الشعري في كتاب أساس البلاغة لأبي القاسم محمود الزمخشري، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، ط دار المعرفة، د.ت، ص 411.

ب، م، و، ف، ث، ذ، ظ، س، ص، ز، ت، ط، د، ض، ن، ر، ل، ي، ج، ش، ك، غ، خ، ق، ح، ع، ء، هـ.

وقد صنفها العلماء الأوائل[1] بحسب محابسها كالآتي:

1- ثلاثة أصوات شفوية هي ب، م، و.

2- صوت واحد شفوي أسناني، هو ف.

3- ثلاثة أصوات من بين الأسنان، هي: ث، ذ، ظ.

4- سبعة أصوات أسنانية لثوية هي: ت، ط، د، ض، س، ز، ص.

5- ثلاثة أصوات لثوية هي: ل، ر، ن.

6- ثلاثة أصوات غارية: هي ش، ج، ي.

7- ثلاثة أصوات طبيقية هي: ك، غ، خ.

8- صوت لهوي واحد هو: ق.

9- صوتان حلقيان هما: ع، ح.

10- صوتان حنجريان هما: ء هـ.

---

[1]- ينظر مخارج الحروف عند ابن سينا الطبيب، البحث عن الكتاب وكتاب الأصوات اللغوية تأليف د. إبراهيم أنيس، ص 170، ط دار الكتاب العربي، 1980.

الفصل الثالث

دور الحنجرة في النطق:

1- دور الحنجرة

2- حالة الحبال الصوتية أثناء النطق

3- ما ذكره القراء مما جرى في التسهيل على غير قياس سيبويه

4- أصول الهمزة في القراءات السبع

5- صوت الهاء الشبيه بأصوات اللين

6- الرد على النحاة في توجيه القراءات

1– قال تعالى: (الرَّحْمَنُ (1)عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2)خَلَقَ الْإِنسَانَ (3)

عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)[1] إن النطق هبة من اللهه المنان، يقول عالم اللسانيات Steven pimber، والمعروف بأبحاثه المتخصصة في هذا المجال: "إننا لا نفكر بالنطق، ونعتبره أمرا عاديا، وننسى بسهولة أنه معجزة وهدية عجيبة لنا[2].

1ـ دور الحنجرة:

والواضح أن الطفل عندما يتكلم فجأة بدون أن يعرف أي شيء عن الكلام وأسراره ... هذه هي المعجزة، فهو لا يختار اللغة لأنها بسيطة، حتى اللغات البسيطة المعروفة تعتمد على قواعد اللسان المعقدة .. ولأن قواعد اللسانيات ...، وهي علاقات رياضية بحتة فهي تأخذ من الكلمات والجمل العديدة والكثيرة، ولذا تبقى أمثلة عديدة بدون جواب حول اللسان واللغة، كيف يتحدث الطفل وهو في الثالثة من عمره، فهل يتعلم من خلال ما يسمعه، ومن يلقنه قواعد اللغة واللسان، التي عجز العلماء عن وضع أصولها وقواعدها على أكمل وجه حتى الآن؟ وهناك أمثلة عديدة نجدها في القرآن الكريم حيث تتمثل في قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا...)[3].

إن عملية النطق هي عملية معقدة كما يتحدث عالم اللغة المعروف Phily liebermen فيقول: "... مع نتائج الأبحاث الهائلة وتوسعها، تقترب عدد القواعد والأصول التي نحسبها موجودة من عدد الجمل، وتأتينا القواعد اللغوية بشكل

---

[1]– سورة الرحمن، الآيات [01-04].

[2] –Pimbers Words and Rules, Basic Books, 1999, S 1₅.

[3]– سورة البقرة الآية [30].

مفجع وتنتهي بفشل ذريع، ولم يستطع أحد حتى الآن أن يضع قواعد كاملة وشاملة عن لغة من اللغات[1].

إن هؤلاء الباحثين مثل ليبرمان يقول كيف نجعل القواعد اللسانية يخضع لها المتكلم وهي حشد هائل من النظريات فلا يتسنى لابن الثالثة أن يحيط بها مع العلم أنه لم يؤخذ علم النطق من آبائنا ولا من غيرنا، نجد المدرس Steven Pubur يقول:

"كيف يستطيع طفل صغير أن يتكلم ويأخذ اللغة وعلم اللغة والذي هو علم لا ينتهي من الأحاديث القليلة المقننة التي تجري حوله، والطفل حقا لا يأخذها مهارة الكلام من أبويه، وفي الوقت نفسه لا يقوم الأبوان على تصحيح أخطاء الطفل دائما.

ولا يحذرونه حين يخطئ في حديثه، وجمل الأطفال الصغار لا تناسب قواعد اللغة، وإن كان الحال هكذا لوبخ الوالدان طفلهما طيلة النهار وهذا محال[2].

ولهذا السبب، يقيت مهارة النطق لدى الإنسان سرا إلهيا تشبه إلى حد ما يشبه علم الرياضيات والذي تحدث عنه Noam Shomsky فيقول[3]:

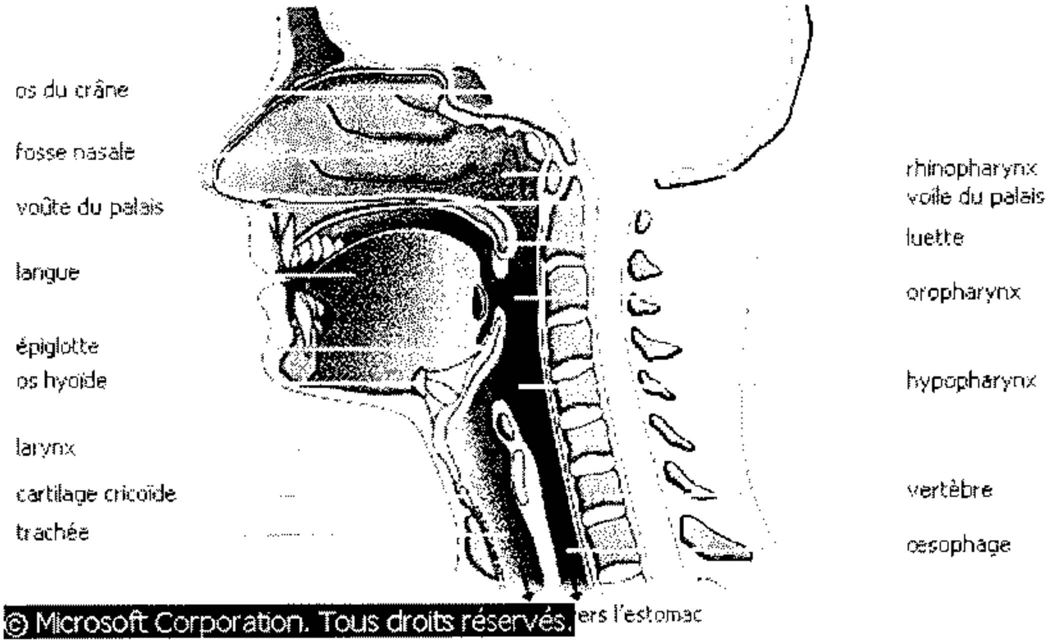
"إني لا أملك إلا معلومات قليلة حول علم الكلام عدا بعض الجوانب الظاهرة من الخارج فالتكلم هو سر كبير بكل المقاييس، عندما يبدأ كل شخص بالتكلم بكل راحة، وحين يستخدم لسانه على أكمل وجه، فحينما يعرف أنه يقوم بعملية جد صعبة إن هؤلاء الدارسين يدركون عملية النطق صعبة وهي منحة من الله الجليل تتمثل في جهاز النطق الآتي:من الموسوعة الفرنسية و قد تركتها على حالها حتّى لا أخلّ بالترجمة فيَتغيّر المستفاد منها .

---

[1] - Eve spobe : **Humeur language and humeur, évolution, p. loberman, www. Norton & company, 1998, S, 126, 128.**

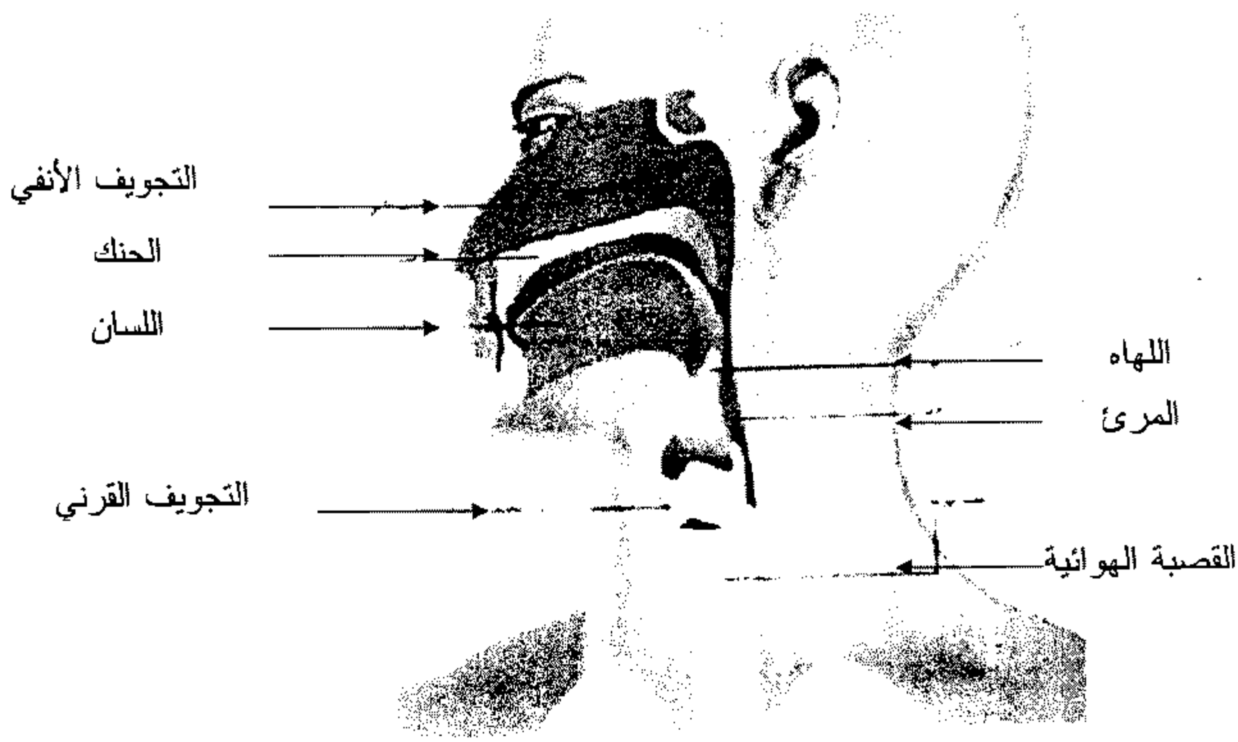
[2]- المرجع السابق.

[3] - **Noam Chonshy, powers and prospects, s.16.**



Structure de la gorge humaine

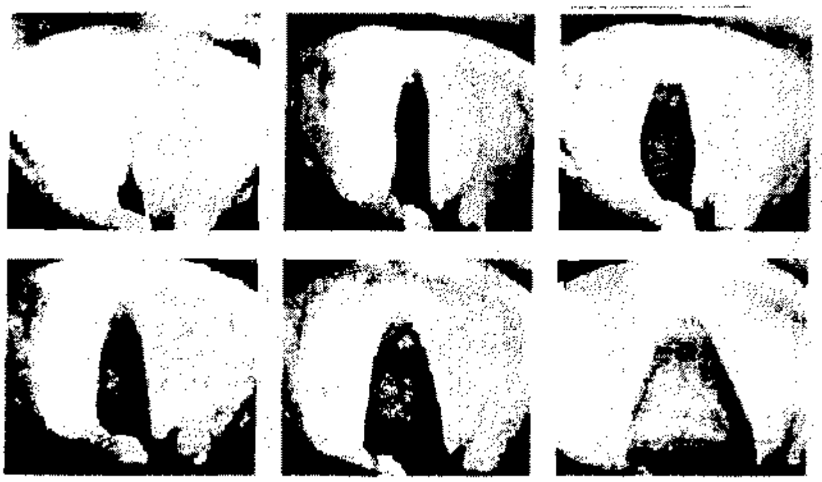
Cette coupe latérale de la gorge humaine montre les principaux organes qui la constituent, dont le pharynx, le larynx et la trachée.



2ـ حالة الحبال الصوتية أثناء النطق:

إن الآية الكبرى التي تظهر للعيان تتجسد في القراءات القرآنية التي جاءت بأصوات متناسقة ذات نبرات متفاوتة حسب جهاز النطق الذي أودعه الله في الإنسان والذي خزّن فيه معلومات لا حصر لها حين ينطق بلغة ما ... تبقى اللغة الأخرى مضغوطة لسبب غير معروف حتى الآن.

ولذا نرى القراءات القرآنية التي حفظت بالتواتر كما دونها العلماء تتلى وتقرأ بلغات السلف الصالح صحيحة بنطق سليم غير مصحف، وكأنها الميزان الذي ارتضاه الله للإنسان المسلم في نظام محكم، وحين ينطق القارئ بآيات سليمة من الخطأ والزلل يحس بسلاسة فتكو الحبال الصوتية على هذا الشكل بتصوير سريع[1]:



حالة الحبال الصوتية أثناء الكلام

[1] ـ عن موسوعة العالمية للتشريح، إعداد روجي دينكر، ص 1500، ط باريس، ط 1978.

الصوت اللغوي ودور الحنجرة في إحداثه:

قد اهتم العلماء منذ القديم بالصوت اللغوي اهتماما بالغا غير أن ذلك الاهتمام لم يكن يف بحاجات الدارسين، فطوره الذين جاؤوا من بعدهم وحظوا به نحو الاتجاه العلمي وضبطوه بقواعد، واهتمامهم هذا بالأصوات مرده إلى أنه شيء محسوس، بينما الجوانب الأخرى من اللغة معظمها شيء مجرد، والأصوات اللغوية هي المادة التي تتألف منها اللغة، وهي أجدر أن يقدم العلماء على تناولها بالفحص والتحليل.

وللأصوات اللغوية جوانب تسترعي اهتمام الدارسين وهي كالآتي:

<u>أولها:</u> جانب النطق بتلك الأصوات، ويشمل هذا الجانب الناحية الفيسيولوجية، ووظائف أعضاء النطق المختلفة، وطريقة تحركها، وبذلك تصدر الأصوات عن انبعاث الهواء من الرئة والحنجرة التي تعتبر بمثابة حجيرة، وأهم ما فيها الوتران الصوتيان، وبها تميز الأصوات رغم ما يكون من تشابه كبير فيما بينها، وللحنجرة دور فعال في إظهار الصوت وتمييزه عن غيره من الأصوات وإعطائه ذبذبات جدّ دقيقة، وتبين ذلك عند الفحص بالاجهزة الحديثة[1].

<u>ثانيها:</u> ويتمثل في انتقال الأصوات في الهواء، ويعبر عنه بالطبيعة الفيزيائية للأمواج الصوتية، ويلزم لذلك آلات قياسية هي التي تحدد المجال وإظهاره.

<u>ثالثها:</u> الجانب المتعلق باستقبال الصوت أو الجانب السمعي ولقد أظهر ذلك الله عزّ وجلّ في محكم تنزيله حيث يقول: (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)[2] ويدأ لأول ولهة لدى الإنسان حين ولادته فيكون جهازه مؤهلا لاستقبال الأصوات والذبذبات الصوتية المختلفة التي تحدث حول الأذن، إلى أن تنتقل عن

[1]- ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، ط مكتبة الأنجلو المصررية، 1975.

[2]- سورة الإسراء، الآية [36].

طريق الأعصاب إلى الدماغ، ويتركب هذا الجانب من ناحيتين: من النحية العضوية (الفيسيولوجية) والناحية النفسية، فالأولى تهتم بدراسة طبيعة الجهاز السمعي ووظائف كل جزء منه، والطريقة التي تجري فيها انتقال الصوت من الأذن الخارجية إلى الدماغ، وهذا مجاله علم وظائف الأعضاء بشكل رئيسي، وفيما يخص الناحية النفسية وهي ما يرتبط بالدماغ حيث يحلل ويفك الرموز التي تحملها أي رسالة عن طريق الأعصاب، فعلماء اللغة[1]وعلماء النفس[2] جنبا إلى جنب في هذا المجال لتوسيته وإدانة إشكاليته، والتوصل لتحليل كنه تلك العملية العقلية البالغة التعقيد[3].

وبالرغم من أن اللغويين قد حصروا بحوثهم تقريبا في جانب واحد من الدراسات الصوتية المتعلق بالنطق، وعند تطرقهم للوصف والتحليل والتصنيف لتلك الأصوات نجدهم يتعدون إلى دراسة الأمر الأساسي الآخر المتعلق بالناحية الفيزيائية والعضوية معا ما دام هدفهم منصبا على دراسة الكلام الإنساني ألا وهو علاقة هذه الأصوات بالكلام البشرى أو الوظيفة التي تؤيدها في حمل المعاني المختلفة إلى السامع وكيفية إحداثها.

ومن باب المقاربة، نجد علماء القراءات يتطرقون إلى هذه الأصوات مبينين كل صوت على حدة حتى يضبطوا ذلك في القراءة بالصوت المنوط بها، أي توافق الصوت مع القراءة الصحيحة التي تتوافر فيها شروط صحتها.

---

[1]– العلماء المحدثون الذين قرنوا الدراسات اللغوية بعلم النفس والعلوم الأخرى، مثل علم النفس اللغوي عند كثير من الدارسين.

[2]– علماء الدراسات النفسية في تحديد اللغة الغنسانية من حيث التأثير.

[3]– مثل ما جاء بها ديسوسير في كتاب اللسانيات العامة.

والواضح أن الأصوات هي ما دة الكلام المتداول بين الناس، إلا أن ما أردنا تضمينه في هذه الدراسة هو الكلام الراقي الملزم بقواعد وشروط. وتتعلق بأعضاء النطق، كما ذكرنا.

والصوت اللغوي الذي سندرسه ما يرتبط بالقراءات السبع وله علاقة بالحنجرة، وسنبدأ بالهمزة، وللهمزة أصوات لها أحكام خاصة قد وضعها القراء السبعة استنبطوها من القراءات القرآنية، سنوردها وأصواتها تخرج من آخر أقصى الحلق، فاستثقلت على أهل التخفيف في إخراجها، مخففوها، ولتخفيفها أحكام، ولقد قسمها صاحب الإقناع في كتابه، وذكر اختلاف القراء فيها، فقال: "الهمزة لا تخلوا من أن تكون متحركة أو ساكنة، والمتحركة لا تخلو من أن تلاقي همزة أخرى أولا تلاقي"[1].

ولقد ذكر القراء السبع أن الهمزتين تجيئان في كلمة أو كلمتين، وكثيرا ما تجيئ في كلمتين إلا في "أئمة".

فمجيئها في كلمة يقسم إلى قسمين:

- أن تكون الهمزة الأولى داخلة على ألف لام، أو تكون داخله على غيرها.

وأما الداخلة على ألف اللام مجملة ما في القرآن من ذلك ستة مواضع[2] وهي:

(قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ)[3]، وقال أيضا عزّ من قائل: (وَمِنَ الإِبلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ وَصَّاكُمُ اللّهُ بِهَـذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ

---

[1] - الإقناع في القراءات السبع تأليف الشيخ أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري تحقيق وتعليق الشيخ أحمد فريد المزيدي قدّم له وقرّظ له الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي، ط الأولى، 1999، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 223.

[2] - السابق، نفس الصفحة.

[3] - سورة الأنعام، الآية [142].

النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ)[1] وقال جلّ ثناؤه: (وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ)[2] وقال جلّ جلاله: (وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)[3] وفي قوله أيضا عز من قائل: (قُلْ اللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ)[4]، (اللَّهُ خَيْرٌ مَا يُشْرِكُونَ)[5].

فإن القراء السبعة[6] أجمعوا على تحقيق الهمزة في الاستفهام فيكون الصوت فيها منبورا، وأما الهمزة الثانية تخفف على قراءة أبي عمر[7].

وقد ذكر سيبويه التخفيف على أنه بدل من الألف، وقال أنها تخفف بين بين، كما يخفف غيرها من الهمزات المتحركة إلا ما ستثني من المفتوحة التي قبلها ضمة أو كسرة إنما تخفف بالبدل الهمزة الساكنة، وجاء هذا عند سيبويه في قوله (إنما ثبت تشبيها بهمزة أحمر كما شبهوها بها في قولهم أَلَحْمَرُ في لغة من خفف الهمزة)[8] وقوله في باب همزة الوصل (ولم تحذف في الوصل)[9]، وبين أنها تخالف همزات الوصل لأن غيرها يحذف نحو قوله تعالى (أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ)[10] وقد ثبتت لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر.

1- سورة الأنعام، الآية [144].

2- سورة يونس، الآية [51].

3- سورة يونس، الآية [91].

4- سورة يونس، الآية [59].

5- سورة النمل، الآية [59].

6- كتاب الإقناع في القراءات السبع للأنصاري.

7- أبي عمرو هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار من القراء، وكان اعلم الناس بالغريب والعربية والقرآن والشعر وبأيام العرب والناس وتتبع حروف القرآن. وسيأتي تعريفه ضمن القرآن.

8- الكتاب تأليف سيبويه تحقيق هارون عبد السلام، ط دار الكتاب العربي.

9- نفس المرجع السابق.

10- سورة ص، الآية [75].

وقال أبو جعفر [1] وهذا أحسن غاية وأما الداخلة على غير الف اللام فإنها على ثلاثة أضرب:

أ- مفتوحتان.

مفتوحة ومكسورة.

مفتوحة ومضمومة.

فالمفتوحتان وقد أحصاها علماء القراءات القرآنية فوجدوها ثمانية وعشرين موضعا.

تسعة منها لم يمض القراء فيها على أصولهم وباقيها مضوا فيها على أصولهم وهي تسعة عشرة موضعا أولها في قوله تعالى: (ءَأَنذَرْتَهُمْ) [2] وفي قوله تعالى: (ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ) [3] وقوله عزّ من قائل: (ءَأَسْلَمْتُمْ) [4] (ءَأَقْرَرْتُمْ) [5] وفي قوله تعالى: (ءَأَنتَ قُلتَ) [6] وقوله: (ءَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ) [7] وقوله جل ثناؤه: (ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ) [8] وقوله تعالى (ءَأَسْجُدُ) [9] وفي قوله جلّ ثناؤه: (ءَأَنتَ فَعَلْتَ) [10]، وقال الله تعالى: (ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ) [11]، وقال أيضا: (ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) [12]، وفي قوله جلّ ثناؤه: (ءأَنذِرْهُمْ) [1] وقال (ءأَتَّخِذُ مِن

---

[1]- هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس، المرادي المصري، أبو جعفر النحاس مفسر نحوي، أصله من مصر ودخل إلى بغداد، فأخذ عن المبرد والأخفش والزجاج وغيرهم، وله تفسير القرآن ، وناسخ القرآن ومنسوخه وإعراب القرآن، وشرح المعلقات السبع، وتفسير أبيات سيبويه، ينظر معجم الأدباء وكتاب الوفيات لأبي العباس، أحمد حسن بن علي بن خطاب الشهير بابن قنفد القسنطيني، تحقيق عادل الشويمي منشورات، دار الآفاق الجديدة، بروت، ط الثالثة، 1980، الصفحة السابقة.

[2]- سورة البقرة، رالآية [06].

[3]- سورة البقرة، الآية [14].

[4]- سورة آل عمران، الآية [20].

[5]- سورة آل عمران، الآية [81]

[6]- سورة المائدة، الآية [116].

[7]- سورة هود، الآية [72].

[8]- سورة يوسف، الآية [39].

[9]- سورة الإسراء، الآية [61].

[10]- سورة الأنبياء، الآية [62].

[11]- سورة الفرقان، الآية [17].

[12]- سورة النمل، رالآية [40].

دُونِه)[2] وفي قوله: (ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ)[3]، (ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ)[4]، (ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ)[5]، (ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ)[6]، وفي قوله عزّ من قائل: (ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ)[7]، وفي قوله أيضا: (ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَيْنَاهَا)[8].

ولو عرضنا هذه الآيات البينات على القراءات السبع لوجدناها تختلف اختلاف تنوع، فالكوفيون وابن ذكوان يقرأون بتحقيق الهمزتين في هذه المواضع، وأما الباقون وهم الحرميان وأبو عمرو وهشام بتسهيل الثانية منهما، وهم في التسهيل مختلفون[9].

وفي رواية ورش تبدل ألفا وبعض القراء كأبي (ض) وابن كثير تجعلها بين بين ولا يدخل الألف بينهما.

وأما قالون وهشام وأبو عمر كذلك إلا أنهما يدخلون بينهما ألفا[10].

وقال في هذا المجال شيخ القراء ابن الجزري[11] في "متن طيبة النشر" من الرجز:

1- سورة يس، الآية [10].

2- سورة يس، الآية [23].

3- سورة الواقعة، الآية [59].

4- سورة الواقعة، الآية [64]

5- سورة الواقعة، الآية [69].

6- سورة الواقعة، الآية [72].

7- سورة المجادلة، الآية [13].

8- سورة النازعات، الآية [27].

9- كتاب الإقناع، ص 225.

10- ينظر كتاب الحجة في القراءات السبع، لابن خلويه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط الفجالة، القاهرة، 1948.

11- هو شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن علي بن الجزري، ينظر لغاية النهاية في طبقات القراء مطبعة الخانجي، 1961، مصر 1933.

ثَـانِيـهِمَا عنـــيِ حِــرْمِ حِـــلاّ وخَلفٌ ذُو الفَتْحِ لــوَى أبْـدَلَ جَلاَ

خُلفَا وعَيْرُ المَلِـ أن يؤتى أحَدْ يُخبِرْ أن كانَ رَوَى أعْلمْ خَبَرْ عَدْ

وحَقّقْتٌ شِهْ فِي صَبَـا وأعْجَمِي حَــم شِـد صحْبَـة أخْبِـر لـو زد

وجَاءَ ذَلِكَ فِي رَحِ الطيبَة بقوله:

وأما المفتوحة والمكسورة، وجملتها أربعة أو عشرون في القرآن الكريم سوى الإستفهامين وقد وضع لهما جزء خاص بهما.

وهذه المواضع الأربعة وعشرون[1] يسير فيها ثمانية عشر على أصل واحد، وستة لم تجر على أصل واحد، فإن التي جرت على أصل واحد هي كالآتي:

قال تعالى: (أَنَّ مَعَ اللّه آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ)[2] وقال جل ثناؤه (قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ)[3] وقال عزّ من قائل (فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ)[4]، وقال جلّ جلاله: (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا)[5]، ومن قوله سبحانه: (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)[6]، وقوله جلّ ثناؤه: (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ)[7] وقال الله جلّ ثناؤه: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا)[8].

---

[1]- كتاب الإقناع تأليف الأنصاري تحقيق الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1999، ص 230.

[2]- سورة الأنعام، الآية [19].

[3]- سورة الشعراء، الآية [41].

[4]- سورة التوبة، الآية [12].

[5]- سورة الأنبياء، الآية [73].

[6]- سورة القصص، الآية [05].

[7]- سورة القصص، الآية [41].

[8]- سورة السجدة، الآية [24].

فمما سبق نجد صوت الهمزة عند القراء السبعة كلها مرفقة إلا ما وجد في الإمالة عند بعض الرواة[1] وتارة بالتسهيل، وقد وضع لذلك رسما في المصاحف يلائم الصوت، وهاهي بعض النماذج حسب ما روي عن القراء السعبة: إن الهمزة ترسم في "أئمة" بالرسم العثماني برواية ورش عن نافع: (أَيِمَّةً) في جميع أشكالها للدلالة على التسهيل في النطق دون تحقيقها، فقد تفطّن أولوا النهى من القراء الأوائل إلى تحديد هذه القراءات بأصوات مقننة حسب التنزيل حتى لا يزيغ القارئ عنها.

ومن الواضح أن الصوت المؤثر في النفوس هو الذي يؤدى بالضوابط والقواعد التي استنبطها القراء السبعة الذي تصل أسانيدهم إلى قراءة رسول الله ﷺ وقد جعلت كلمة "أئمة" في القراءات السبع على ما ذكرنا في رواية ورش، أما ما جاء على وزنها "أفعلة" أي جمع (إمام)[2] والإمام المقفع من الأرض والطريق، والإمام الذي يقتدى به جمعه أئمة.

وفي غيرها من الكلمات جاءت في القرآن العظيم تليها حروفا ذات نغم بأصوات مختلفة النبر حسب قوة صوت الحرف وضعفه من حيث الشدة واللين ومثاله جاء في الآيات الآتية:

ففي سورة النمل : (إِئِّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء)[3] (أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ)[4]وقال تعالى: (أَئِن ذُكِّرْتُم) وقال جلّ ثناؤه: (أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ)[5] (أَئِنَّا لَتَارِكُوا

---

[1]- ينظر رواية ورش.

[2]- ينظر مختار الصحاح في مادة] أ م م[، ص 11.

[3]- سورة النمل، الآية [55، 60، 61، 62، 63، 64].

[4]- سورة يس، الآية [19].

[5]- سورة الصافات، الآية [52].

آلِهَتِنَا)[1] (ءَآلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ)[2] (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا)[3].

وقد قرئت الهمزات بالتسهيل في الثانية عند الحرميين[4]، وأبي عمرو، وقد فصل بينهما بألف قالون ووأبي عمرو، وذلك لإظهار صوت الأولى، وقرأ الباقون بتحقيق الهمزين فيهن، وأدخل بينهما ابن هشام[5] ألفا من طريق الفضل[6] وابن عبدان[7] عن الحلواني[8] تقرأ بدون فصل إلا في الاستيفهاميتين، وفيها خلاف، بين الفصل في الهمزتين مع التليين، وكلها في القرآن العظيم مرققة الصوت.

فالهمزة لم ترد في القرآن الكريم مفخمة بأي حال من الأحوال، فلا يستساغ ذلك الصوت، لأن النفس تأباه، ولم يجعل القراء همزة مفخمة أبدا وقد ذكر القراء السبعة كلهم أنها مرققة.

وأما المواضع الستة قد الخبرية بعضهم بصوت همزة واحدة دون مد عن الحلواني وهشام فأولها قوله تعالى: (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ)[9] وقرأه نافع وحفص (إِنَّكُمْ) على الخبر[10] وأما الموضع الثاني في قوله تعالى: (أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا)[11] فقد قرأه بهمزة واحدة كل من الحرميين وحفص و"إن" بهمزة مكسورة على الخبر، والموضع الثالث (ءَإِنَّكَ لَأَنتَ

---

[1]- سورة الصافات، الآية [36].

[2]- سورة الصافات، الآية [86].

[3]- سورة فصلت، الآية [09]

[4]- هما محمد بن عبد العزيز بن عبد الله الصباح أبو عبد الله المكي عبد العزيز ومحمد بن رزيق البلدي ينظر غاية النهاية.

[5]- هو طارق بن هشام بن كعب البزار (229 هـ) وله من الكتب: كتاب القراءات ينظر الفهرست لابن النديم، ص 153.

[6]- هو أحد أئمة القراءات في القرآن والروايات ذُكِرَ في الفهرست ص 133، ط تونس، تحقيق مصطفى الشويمي، طبعة المؤسسة للكتاب بالجزائر، 1985.

[7]- هو أبو سهلة أحمد بن محمد بن عاصم الحلواني، ويقال إنه كان قريبا لا في بعيد السكري ينظر للفهرست لابن النديم، ص 366.

[8]- ذَكَرَهُ ابن النديم على أن اسمعيل ابن سعدان وهو صاحب كتاب القراءات، ص 316.

[9]- سورة الأعراف، الآية [81].

[10]- ينظر الاقناع، ص 231.

[11]- سورة القصص، الآية [113].

يُوسُفُ)[1] جاء في قراءة ابن كثير (**إِنَّكَ**) بهمزة واحدة مكسورة على الخبر، وفي الموضع الرابع (**أَئِذَا مَا مِتُّ**)[2] قد قرئ بهمزة واحدة مكسورة على الخبر هكذا قال ابن شنبوذ[3] عن الأخفش[4] وسار على نهجه كثير من القراء مثل عبد الله بن إبراهيم أبو العباس البلخي، يعرف بنزيل بغداد مقرئ مجيد، وتابعه الشاميون[5] أما الخامس في قوله تعالى: (**أَئِذَا مِتْنَا**)[6].

قراءة هشام بهمزة واحدة على الخبر، هكذا جاء في أخبار القراءات عن طريق أبي القاسم[7] وأبي معشر[8]، وقد قرئت من طريق الأهوازي[9] بالاستفهام، كما ذكر أن الخبرية رواية أبي الحسن[10]، وجاء في قوله تعالى في الموضع السادس: (**إِنَّا لَمُغْرَمُونَ**)[11] بهمزتين وقد قرأه أبو بكر. وأما الباقون من القراء فبهمزه واحدة مكسورة، وأما ما جاء على الاستفهام كما ذكره صاحب الاقناع فقال قد "اجتمعوا في أحد عشر موضعا في قوله تعالى: (**تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ**)[12]

1- سورة يوسف، الآية [90].

2- سورة مريم، الآية [66].

3- ابن شنبوذ هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ.

4- سعيد بن مسعد أبو الحسن مولي لبني مجاشع بن دارم نحوي أخذ عن سيبويه، ت 211 هـ) الفهرست، ص 236.

5- ينظر كتاب الإقناع، ص 232.

6- سورة ق، الآية [03].

7- هو خلف بان إبراهيم بن خلف بن سعيد الإمام أبو القاسم بن النحاس القرطبي عرف بالحصار، أستاذ رحالة ثقة، ولد سنة (427 هـ) وأخذ القراءات عن أبي معشر ينظر لغاية النهاية، ج1، ص 271.

8- هو عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن علي القطاني شيخ أهل مكة إمام محقق، ثقة، قرأ على أبي القاسم مؤلف كتاب التلخيص في القراءات، وكتاب مسوق العروس (ت 478 هـ) بمكة، ينظر لشذرات الذهب في أخبار سن ذهب للمسعودي، ج3، ص 358.

9- الأهوازي هو محمد بن إسحاق ومكي بأبي بكر ينظر الفهرست، ص 680.

10- هو أحمد بن محمد بن بلال أبو الحسن البغدادي إمام قراءة الشام بنظرغاية النهاية، ج1، ص 108.

11- سورة الواقعة، الآية [66].

12- سورة الإسراء، الآية [49].

وقوله تعالى: (أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا)[1] وقوله تعالى: (ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا)[2].

وقد أورد مشايخ القراء الهمزة في الاستفهام على ثلاثة أوجه هي كالآتي[3]:

1- أن تذكر همزة الاستفهام بخلاف الهمزة ذات الصوت الطبيعي، واستثناؤها، وإعادة مذاهبهم إلى التحقيق والتليين، والفصل وتركه.

2- أن تذكر بخلافها واستثنائها فقط.

3- أن تذكر بخلافها فقط، وجاء في كتب القراءات أن نافعا والكسائي يستفهمان بالأول، ويخبران بالثاني إلا ما يستثنى كما قال ابن عامر[4].

وقد ذكروا أيضا في الهمزة، الهمزتين المفتوحة والمضمومة وهي أربعة مواضع في القرآن العظيم حيث له ثلاثة منها على صنف واحد فالأولى برسم يوحي للصوت المحقق المنفرد في قوله تعالى: (أَؤُنَبِّئُكُم)[5] وفي الثانية قوله تعالى: (أُنزِلَ عَلَيْهِ)[6] وفي قوله سبحانه: (ءَأُلْقِيَ الذِّكْرُ)[7].

فالصوت في هذه القراءات جاء عند الحرميين وأبي عمرو بالتسهيل في الهمزة الثانية أما قالون فيدخل ألفا فيلون الصوت فيها بين بين.

1- سورة الإسراء، الآية [49]

2- سورة المؤمنون، الآية [98].

3- بنظر الكتاب، ج3، ص 552، وبنظر القراءات السبع والإقناع في القراءات السبع، ص 235.

4- رابع القراء السبعة وستأتي ترجمته في بيان القراءات السبع.

5- سورة آل عمران، الآية [15].

6- سورة ص، الآية [08].

7- سورة القمر، الآية [25].

أما ما جاء في الهمزتين المكسورتين خمسة وعشرون موضعا، كلها قبل الهمزة الأولى ألف إلاّ موضعا واحدا ما قبل الهمزة فيه واو.

فالموضع الأول فقوله تعالى: (أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَــؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[1] وقوله تعالى: (وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ)[2] (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)[3] (وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ)[4] وقوله تعالى: (إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ)[5] وقال: (مَا أَنزَلَ هَــؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ)[6] و(وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا)[7] (فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاء إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)[8] وقال تعالى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ)[9] وفي قوله تعالى: (لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ)[10] وقال: (أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ)[11] وقالة تعالى: (وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاء إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً)[12]، وقال تعالى: (وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ)[13]، فهذه الهمزات المكسورة، كل أصواتها جاءت محققة عند الكوفيين، وابن عامر وقد سهلها الباقون.

---

[1]- سورة البقرة، الآية [31].
[2]- سورة النساء، الآية [22].
[3]- سورة النساء، الآية [24].
[4]- سورة هود، الآية [71].
[5]- سورة يوسف، الآية [35].
[6]- سورة الإسراء، الآية [102].
[7]- سورة النور، الآية [33].
[8]- سورة الشعراء، الآية [187].
[9]- سورة السجدة، الآية [05].
[10]- سورة الأحزاب، الآية [32-55].
[11]- سورة سبأ، الآية [40].
[12]- سورة سبأ، الآية [15].
[13]- سورة الزخرف ، الآية [84].

وأما التسهيل جاء عندهم بصور مختلفة، فكان قُنبل وورش يبدلان الثانية بياء ممدودة[1].

وكان المد عند هؤلاء معوضا للهمزة الثانية بياء في الآيات السالفة الذكر، وقد أثبتها في المصحف برسم يوافق الصوت المنوط بالقراءة المتميزة عن ابن خاقان لورش جعل الثانية ياء مكسورة خاصة في البقرة مثل قوله تعالى: (فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَــؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[2]، وهذا النوع مشهور عن ورش[3]، وأما عند بعضهم يخرج الصوت من جوية الحنجرة بين بين.

وقد جاء في الهمزتين المفتوحتين من القرآن الكريم تسعة وعشرون موضعا ذكرت في كتاب "الاقناع في القراعت السبع" للأنصاري كالآتي:

قوله تعالى: (وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ)[4]

وقوله تعالى: (أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ)[5]

وقوله تعالى: (أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ)[6].

وقوله جل ثناؤه: (حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ)[7].

1- ينظر قراءة ورش، في المصحف.

2- سورة البقرة، الآية [31].

3- هو عثمان بن سعيد بن عدي بن عروان المصري، الملقب بورش، من كبار القراء قال الجزري: شيخ القراء المحققين، وإمام أهل الأداء المرتلين انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه ولد سنة (110 هـ) بمصر، وأصله من القيروان، قيل إن نافعا لقبه بورش لأنه كان على قصره يلبس ثيابا قصارا، وكان إذا مشى خطى برجليه، ثم خفف فقيل "ورش"، توفي بمصر سنة (197 هـ)، ينظر كتاب الوفيات لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب الشهير بابن قنفذ القسطنطيني، بتحقيق عادل الشويمي منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1980، ص 154.

4- سورة النساء، الآية [05].

5- سورة النساء، الآية [43].

6- سورة المائدة، الآي [06].

7- سورة الأنعام، الآية [61].

وقوله عز من قائل: (**لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**)[1]، وقوله جل ثناؤه: (**وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**)[2]، وقال عزّ وجلّ: (**إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**)[3]، وقال جلّ ثناؤه: (**جَاء أَمْرُنَا**)[4] في سبعة مواضع.

وفي قوله تعالى: (**جَاء آلَ لُوطٍ**)[5]، وقوله جلّ ثناؤه: (**جَاء أَهْلُ الْمَدِينَةِ**)[6]، وقوله تعالى (**جَاء أَجَلُهُمْ**)[7]، وقوله تعالى: (**السَّمَاء أَن تَقَعَ**)[8]، (**جَاء أَمْرُنَا**)[9]، وقوله تعالى: (**جَاء أَحَدَهُمُ**)[10]، وقال جلّ ثناؤه (**شَاء أَن يَتَّخِذَ**)[11]، (**إِن شَاء**)[12]، وقوله تعالى: (**جَاء أَجَلُهُمْ**)[13]، وقوله تعالى: (**جَاء أَمْرُ اللَّهِ**)[14] وقال تعالى: (**جَاء أَشْرَاطُهَا**)[15] وقوله تعالى: (**جَاء آلَ فِرْعَوْنَ**)[16]، وقوله تعالى: (**جَاء أَمْرُ اللَّهِ**)[17] وقال الله تعالى: (**جَاء أَجَلُهَا**)[18]، وقال تعالى: (**ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ**)[1].

---

[1]- سورة الأعراف، الآية [34].
[2]- سورة الأعراف، الآية [47].
[3]- سورة يونس، الآية [49].
[4]- سورة هود، الآية [04، 58، 66، 76، 82، 94، 101].
[5]- سورة الحجر، الآية [61].
[6]- سورة الحجر، الآية [67].
[7]- سورة النحل، الآية [61].
[8]- سورة الحج، الآية [65].
[9]- سورة المؤمنون، الآية [27].
[10]- سورة المؤمنون، الآية [99].
[11]- سورة الفرقان، الآية [57].
[12]- سورة الأحزاب، الآية [24].
[13]- سورة فاطر، الآية [45].
[14]- سورة المؤمنون، الآية [77].
[15]- سورة محمد، الآية [17].
[16]- سورة القمر، الآية [41].
[17]- سورة الحديد، الآية [14].
[18]- سورة المنافقين، الآية [11].

إن الهمزتين اللتين ذكرها القراء السبعة كانتا تمثل (النبر أو التحقيق) وفي ما ذكره ابن جني في الخصائص" إنها تحذف وقد جعله بابًا أسماه "باب في حذف الهمز وإبداله"، فجاء بقراءة الكسائي في قوله: (بِمَا أُنْزِلَّيكَ)[2] وهذا الذي مثل به ابن جني يدل على حذف الهمزة من الكلمة وتشديد الحرف الذي يليها، كأنه أدغمها إدغاما وهذا شاذ.

كما أنه ذكر قراءة ابن كثير في قوله تعالى: (إِنَّهَا لَحْدَى الْكُبَرِ)[3] وقرأ عاصم في رواية حفص (أَن تَبَوَّءَا)[4] في الوقف أي تَبَوَّءَا مثل ما جاء في قول الشاعر[5] [من الطويل].

تَقَاذَفَهُ الرّوَادُ حتّى رَمَوْا بِهِ

وَرَا طُرُقِ الشّأْمِ البِلاَدِ الأَقَاصِيا

أراد وراء طرق الشام فقصر الكلمة، وفي هذا البيت وردت للضرورة الشعرية فلا يمكن حذفها بل تأتي على هذا النحو [وَرَأَ] كما جاء في كتاب الخصائص "لَقِيَ أبو زيد[6] سيبويه فقال له: سَمِعْتُ العرب تقول "قريت، وتوضيت فقال له سيبويه كيف نقول في أفعل منه؟ قال أقرأ، فقال له سيبويه فقد تركت مذهبك؛ أي لو كان البدل قويا للزم (ووجب) أن تقول أقرى، كرميت أرمي"[7].

1- سورة عبس، الآية [22].

2- سورة البقرة، الآية [04].

3- سورة المدثر، الآية [35].

4- سورة يونس، الآية [87]، والقراءة المنسوبة هاهنا إلى حفص هي رواية هبيرة عنه، كما أنكرها بعض القراء في شرح أبي شامة للشاطبيه، ص 345.

5- لم يسب البيت الشعري إلى قائله في الخصائص، ج3، ص 153.

6- لأبي عثمان ابن جني تحقيق محمد علي النجار، ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، مصورة عن دار الكتب المصرية (دت).

7- ينظر كتاب سيبويه، ج2، ص 393، ج2، ص 127، تحقيق محمد هارون عبد السلام.

فإن ما استخلصه من هذا الآنف ذكره، أن صوت الهمزة محقق ومخفف في جميع صوره التي جاء بها القراء السبعة مع بيان ذلك عند بعض النحاة الأوائل سواء كنا ذلك في كلمتين، أم في كلمة واحدة، وكانت النتيجة فيها كالآتي:

1- فالمخفف للأولى يطبق عليها أحكام الهمزة المفردة في الكلمة.

2- والمخففة في الثانية فقط يطبق عليها قواعد الهمزة المفردة المتحركة بعد حرف متحرك.

3- المخففة للاثنين معا يطبق على كل واحدة الهمزة المفردة.

وهذا في المخففة أما في المحققة فيطبق عليها قواعد تضبطها عند القراء السبعة ما عدا بعض الرواة مثل ورش.

أما الفئة الثانية من الأصوات الحنجرية المتمثلة في الهاءات، وقد ذكرها النحاة[1] في كتبهم والقراء[2]، وهي ست كالآتي:

1- هاء أصلية، مثل قوله تعالى: (كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ)[3]، وقوله تعالى: (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء)[4] وهذه الهاء جاءت فاء للكلمة وقوله تعالى: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)[5]، ههنا جاءت عينا للكلمة، وكل جاء يشبهه، فكل القراء مجمعون على ما هي عليه من إعراب أو بناء. فالصوت ينحبس فيه النّبر أي التحقيق إلا أن قالون والكسائي في الضمير (هو، هي) إذا كان قبلها واو أو فاء، أو لام أو ثم، حيث

---

[1]- من مثل سيبويه، والاخفش، (سعيد بن مسعودة)، والكساني والفراء).

[2]- الفرّاء هو أبو زكرياء يحي بن زياد الفراء مولى بني منقر، ولد بالكوفة ينظر الفهرست، ص 301.

[3]- سورة آل عمران، الآية [85].

[4]- سورة آل عمران، الآية [86].

[5]- سورة الجمعة، الآية [11].

وقع. تكون ساكنة وتابعهما أبو عمرو إلا مع، "ثم وهو" موضع واحد حيث قول الله تعالى: (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ)[1].

كما قرئت عن أبي نشيط بالإسكان في قوله تعالى: (أَوْ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ)[2]، أما الباقون قرأوها بالتحريك، وهذا يظهر لنا عناية السلف بالمواضع التي ينبر فيها بالصوت مع اختلاف صورة المنبعث من الحنجرة أثناء عملية إحداث الصوت سواء أكان طليقا أو حبيسا يكون فيه الصوت باهتزاز الوترين الصوتيين كما يحدث في الحبس أثناء احتكاك أعضاء النطق؛ فالقراءات السبع دلالة واضحة على ضبط القرآن، إذ بها نزل كما روي عن النبيّ ﷺ: أن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ وكذت أساوره[3] في الصلاة فانتظرته حتى سلم، ثم لببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت له" كذبت ، فوالله إن رسول الله ﷺ أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها، فانطلقت أقوده إلى رسول الله لم فقلت يا رسول الله سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان فقال رسول الله ﷺ أرسله يا عمر، إقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها فقال رسول الله ﷺ : إقرأ يا عمر، فقرأت القرآن التي أقرأني فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت، (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرؤوا بما تيسر منه)[4].

1- سورة القصص، الآية [60].

2- سورة البقرة، الآية [282].

3- أقاتله أو آخذ برأسه، رواه الإمام البخاري ومسلم، شرح الإمام النووي.

4- رواه المسلم.

والثانية هاء التأنيث، وهي في الوصل تاء، وتقلب هاء في الوقف لتغيره، وتكون تاء في الفعل مثل قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ)[1]، وهذه تاء في الوصل والوقف معا، ومن القراء قد اختلف على هاء التأنيث، وسيأتي في الوقف.

الثالثة الهاء التي هي بدل في (هذه) هي بدل من الياء في (هذي) كما أبدلت من الهمزة في (هراق) وليست للتأنيث، لأن الهاء لم يؤنث بها شيء في موضع من كلام والياء مما يؤنث به وكذلك الكسرة في نحو (أنتِ) وإنّكِ، ولا خلاف بينهم في قراءتهم "هذِه" بهاء موصولة بياء زائدة كالتي تلحق "ها" الضمير في "بهِ"..

الرابعة هي هاء العوض وهي التي تدخل على الاستفهامية في مذهب البزي في الوقف، مثل (لمه، فيمه)، وشبه ذلك دخلت عوضا من المحذوف وهو الألف في (ما).

والخامس هو هاء السكت وهي هاء ساكنة زيدت في الوقف لبيان الحركة والحق أن تسقط في الأدراج.

وفي هذه الهاء قد اختلف القراء السبعة في إثباتها وحذفها في خمسة مواضع في القرآن الكريم ففي قوله تعالى: (فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ)[2] وفي قوله تعالى: (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)[3] وفي قوله تعالى: (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ)[4] (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ)[5] وفي قوله تعالى: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ)[6].

1- سورة المسد، الآية [01].
2- سورة البقرة، الآية [259].
3- سورة الأنعام، الآية [90].
4- سورة الحاقة، الآية [28].
5- سورة الحاقة، الآية [29].
6- سورة القارعة، الآية [10].

وقد أسقطها حمزة من قراءته وتابعه الكسائي في (يتسنه) و(أفئدة) وأثبتها فيما عداهما[1].

والواقع هي ساكنة عند كل القراء الباقين وصلا ووقفا فيهن، إلا هشام يلحق كسرة من غير صلة بياء الوصل لم يقف بالإسكان[2]. وعن ابن ذكوان كسر الهاء، وفصلها بياء، وقد نص عليها الأخفش[3] وأما الهاء هاهنا ليست للسكت، ولكنها ضميرا للمصدر أي اقتد اقتداء، وكذلك يتسنه في من أثبت في الوصل، الهاء لام الفعل أو بدل.

وأما السادس، فهو هاء الكناية عن المذكر وهي تتصل بالأسماء والأفعال والحروف، وهي كثيرة في القرآن الكريم وتنقسم إلى قسمين عند القراء السبعة متفق عليه ومختلف فيه.

فالمتفق عليه أن تكون فيها متحرك بإحدى الحركات الثلاث الضمة مثل: (يَعلَمُهُ، عَلِمَهُ) والفتحة مثل: (قَدَّرَهُ، وأَنْشَرَهُ) والكسرة نحو (أُمِّهِ، وصَاحِبِهِ) وعلى هذا جميع القراء متفقون على صلة الهاء بواو مع الضمة والفتحة، وبياء مع الكسرة وإذا وقفوا سقطت الياء والواو، وسكنت الهاء، ويحدث ذلك أيضا عند الكناية تبقى كما كانت عليه من قبل نحو قوله تعالى: (مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ)[4] وقال تعالى: (فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ) كل ما جاء على مثاله، ولا خلاف بينهم[5] إلا ما قرأ به حمزة من ضم الهاء في قوله تعالى: (لِأَهْلِهِ امْكُثُوا)[6].

1- ينظر القراءات السبعة.

2- ينظر كتاب الاقناع في القراءات السبعة، ص 308.

3- ابن ذكوان هو عسكر بن ذكوان أبا علي، وكان مقيما بعسكر مكرم.

4- سورة طه، الآية [10].

5- ينظر القراءات السبع، ص 308.

6- سورة القصص، الآية [28].

إن الصوت في هذه المواضع تكون الكسرة فيه مختلسة، وقرئت بكسر الهاء مع صلتها بياء.

والمختلف فيه أن يكون ما قبل الهاء ساكنا موجودا في اللفظ، ولابد أن يكون الساكن حرف لين أو حرفا غيره ففي حروف اللين نحو قوله تعالى: (اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ)[1] وقوله تعالى: (فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ)[2] وفي قوله جل ثناؤه: (عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ)[3].

ومن الثابت أن ابن كثير يصل الهاء بياء إذا كان قبلها ياء، وبواو فيما عدا ذلك، في الوصل أينما كانت، وقد تابعه حفص على كلمة واحدة في قوله تعالى: (وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا)[4] وإذا وقف أسقط الواو والياء، وقوله تعالى: (بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهَ)[5] وهذا عند التقاء الساكنين، وتمد بصوت مشبع عند البزّي في قوله تعالى: (عَنْهُو تَّلَهَّى)[6] فإنه قد أثبت الواو مع تشديد التاء، على تنبيه المنفصل بالمتصل نحو (دوّاب، وصوّاف.

أما الباقون قد جعلوا ذلك باختلاس الكسرة والضمة في الحرفين من غير صلتها بالياء أو بالواو.

وأما حفص قد ضمّ مما قبله ياء حرفين، وهما: مثل قوله تعالى: (وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ)[7]، وسيبويه في هذا المجال يستحسن حذف الياء والواو مع

---

[1]- سورة النحل، الآية [121].
[2]- سورة الشعراء، الآية [45].
[3]- سورة النور، الآية [54].
[4]- سورة الفرقان، الآية [69].
[5]- سورة الفتح، الآية [10].
[6]- سورة عبس، الآية [10].
[7]- سورة الكهف، الآية [63].

حرف اللين، وإثباتها مع غيرها أجود، ولقد اختلفوا في ستة عشرة موضعا هي الهاء المتصلة بيائها كالآتي:

منها اثناعشرة ما قبل الهاء فيها مكسور، وأربعة ما قبلها مفتوح وهي:

في قوله تعالى: **(وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا)**[1]، وقوله تعالى: **(وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا)**[2] وهي في موضعين في القرآن.

وفي سورة النساء قوله تعالى: **(نُوَلِّهِ)** و(نصله) وفي الأعراف قوله تعالى: أرجه، وفي الشعراء أرجه.

وفي طه قوله تعالى: **(وَمَنْ يَأْتِهِ)** وفي النور: **(وَ يَخْشَى اللهَ)**

وفي سورة النمل **(فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ)** وفي سورة **(نُوتِهِ مِنْهَا)**

وأما الأربعة في قوله تعالى: (يرضه لكم) وفي الزمر (أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَد) وفي سورة الزلزلة (وخيرا يره) (أو شرا يره).

ومن هذا الآنف قرأ كل من أبي بكر وأبي عمر وحمزة يؤده فيها ونؤته فيهن، ونوله ونصله، بإسكان الهاء في السبعة.

ومن خالفهم، قالون باختلاس الهاء فيهن.

و قرأ الباقون بإشباع الكسرة فيهن.

والهاء في الوقف ساكنة عند جميعهم.

---

[1]- سورة آل عمران، الآية [75].

[2]- سورة آل عمران، الآية [145].

وجاءت عند ابن كثير وهشام قوله تعالى: (أرجئهو) بالهمزء وضم الهاء ووصلها بالواو وقد جعلها أبو عمرو بالهمز والضم من غير صلة، وجعلها الباقون مثل ورش والكسائي وقالون بغير همز، بتسكين الهاء.

وقد جعل فيها بعضهم الروم والإشمام، قرئت باختلاس الكسرة في قوله تعالى: (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا) برواية أبي مروان[1].

فمن الثابت أن القراءات القرآنية في مجال الأصوات الحنجرية تصرفنا إلى التفكير في وضع قانون للحركات، فالحركات تحدد مجالا فسيحا، وتضبط النسق الصوتي من حيث النبر، والتخفيف، وفي هذا المجال نجد ابن جني الذي وجد للصوت حقلا واسعا ولقد فاق أهل عصره وشأى من بعده حيث يقول: (أما إمام ذلك فإن أول الكلمة لا يكون إلاّ متحركا، وينبغي لآخرها أن يكون ساكنا، فأما الإشمام فإنه للعين دون الأذن لكنه روم الحركة يكاد الحرف يكون به متحركا، ألا تراك تفصل به بين المذكر والمؤنث في قولك في الوقف أنتَ وأنتِ، فلولا أن هناك صوتا لما وجدت فصلا)[2]، وقيل: هذا القدر من الصوت إنما هو متمم للحرف وموف له في الوقف.

وقال أيضا لو كان لنا آلة لقسما ذلك وبيانه قوله (أرأيت لو أن أحدنا عمل آلة مصوتة وحركها واحتذى بأصواتها أصوات الحروف المقطعة، المسموعة في كلامنا أكنت تسمعه متكلما وسَمَّيْتَ بتلك الأصوات كلاما)[3].

نشأتها:

إن أول ما نبدأ به في هذا الفصل القرآن الكريم، لأنه متصل بالقراءات القرآنية اتصالا وثيقا، الذي عرفه ابن خلدون فقال: الله المنزل على نبيه المكتوب بين هو

[1]- هو محمد بن عثمان بن خالد بن محمد، أبو مروان القرشي العثماني المدني مقرئ معروف ثقة روي الحروف غرضا وسماعا عن قالون وعن نافع مات سنة 241 هـ، بن نصر الترميذي وأحمد بن الهيثم، وأحمد بن العلاء والجرح والتعديل، ج8، ص 25.

[2]- الخصائص، لأبي عثمان بن جني، ص 328.

[3]- نفس المصدر، ص 454.

كلام الله المنزّل على نبيّه تالمكتوب بين دفّتي المصحف. وهو متواتر بين الأمة إلا أن الصحابة قد رووه عن رسول الله على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في آدائها، وتنوقل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة، تواتر نقلها أيضا بأدائها، واختصت بالإنتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير، فصارت هذه القراءات السبع أصولا لقراءة[1]، فالقرآن العظيم هو ذلك الكتاب المنزل على نبينا محمد ﷺ المتلو بأصوات تخشع لها كل المخلوقات حيث يقول الله عزّ وجلّ: (**وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا**)[2] أي إجلالا وخوفا من الواحد القهار والله أعلم[3]، وبهذا نجد الأصوات مرتبطة بالخلق، والخشوع لله وحده فالله عزّ وجلّ يبين لعباده أنه لا يقع الصوت إلا إذا جعلت له ضوابط ينفذ بها إلى الأذن.

ولما كان الصوت ذو أهمية كان جهاز النطق مؤهلا لذلك مع جهاز السمع المستقبل للصوت، وبين ذاك ارتباط وثيق؛ إذ جعل الله، عز ثناؤه للصوت تأثير ومتفاوت من إنسان لآخر حسب تكوينه الفسيولوجي والروحي؛ والقرآن الكريم من فعل قرأ يقرأ قرآن، والقراءات القرآنية من القرآن الكريم، وقد أنزلت بنزوله، فلا شك في ذلك، وما يبين ذلك قوله تعالى: (**فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**)[4] فالقراءات السَّبع التي أشار إليها الرسول الأكرم هي الأصول الثابتة لكل قراءة، وبعد الحقب المتتابعة لحق بالسبع قراءات أخرى مستشفة منها والقراءات السبع معروفة في كتبها، وقد خالف بعض الدارسين[5] في تواترها لأنهم يعدونها كيفيات للأداء، وهو غير ثابت، وليس

---

[1]- من كتاب المقدمة، تاريخ العلامة ابن خلدون، طبعة المؤسسة الوطنية للكتاب، سنة 1984، ص 530.

[2]- سورة طه، الآية [108].

[3]- ينظر لكتاب أسباب النزول، بيان وتفسير لجلال الدين السيوطي، إعداد محمد حسن الحمصي، ط المؤسسة الإيمان، بيروت، د.ت.

[4]- من سورة المزمل، الآية [20].

[5]- مثل ما جاء في كتاب ابن خلدون، المقدمة، ص 530.

ذلك متشابه بالقرآن في التواتر، وقال بعضهم بتواترها، وقالوا أيضا أنها متوارة في الأداء، كالمد والتسهيل، لعدم وقوفهم بكيفية السمع وهو الصحيح.

والواضح أن القراءات بقيت متداولة إلى أن جاء عصر التدوين، وأخذت منحى العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم، فانبرى لها علماء أجلاء فصارت علما قائما بذاته، درس من المشرق إلى الغرب، وجعلت له كتب خاصة، مع الشرح والتعليل، والإبانة والتوضيح، وكانت القراءة على عهد رسول الله ﷺ سماعيه متداولة، وكان عليه أفضل الصلاة والسلام هو نفسه يريد سماع القرآن من غيره كما حدث في قوله ﷺ عن ابن مسعود رضي الله عنه: "إقرأ علي القرآن، فقلت: يا رسول الله أأقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحبّ أن أسمعه من غيري، قرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: "فكيف إذا جئنا من كلّ أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا، قال: "حسبك الآن"، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[1].

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال: (سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف[2]) كثيرة لم يقرأنيها رسول الله ﷺ لببته بردائه –أي أمسك عليه بردائه من موضع عنقه– فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها فقال: أرسله – أي اتركه– إقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التس تسمعه يقرأ، فقال: كذلك أنزلت ثم قال: "إقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني فقال كذلك أنزلت إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما يسر منه"[3].

كما ذكر حديث آخر يبين ما للصوت من أثر في نفس الإنسان إن الحديثين الشريفين ينبئان ما للسمع من درجة في القراءات القرآنية ففي الحديث الأول عندما قال عمر رضي

[1]– رواه أصحاب السنن بألفاظ مختلفة.

[2]– حروف: أي هي أوجه تادية القراءة باختلاف ما جاء وحيا إلى رسول الله دخل فيه الاجتهاد وأنها سبعة أوجه من اللغة الصحيحة.

[3]–رواه مسلم والبخاري من كتاب فضائل القرآن، ص 2055.

الله عنه لرسول الله: "فاستمعت لقراءته فمجرد السمع يدل دلاله واضحا على أن القارئ الذي سمعه كان يصدر أصواتا وإلا فلا تكون مسموعة، كأن الخلاف الذي كان يراه عمر رضي الله عنه لم يسمعه من قبل، فكان ذلك سبب إتيانه إلى رسول الله ﷺ كما يبين رسول الله ﷺ قيمة الصوت، وكأنه يعالجها بسماع غيره حتى تكون تلك القراءة بصوت آخره والرسول ألا كرم ﷺ هو القدوة المثلى فيعلمنا أن نصغي إلى قراءة القرآن، لأن الأصوات تؤثر في السامع إذا انبثقت تلك الأصوات من مصدر موثوق، إن محمد ﷺ كان يدرك تماما ما يعينه؛ وتوجيه الكلام إلى ابن مسعود، كما تؤثر في جبر الأمة.

والواضح أن القراءات القرآنية نقلت إلينا بالتواتر بروايات متعددة ووضع العلماء لذلك العلما أسموه بعلم القراءات القرآنية، وبينوا فيه المقصود من العلم، ووضحوا تلك القراءات وأنواعها، وأهم القراء الذين رووا تلك القراءات بالإضافة إلى الكتب التي دونت في هذا المجال.

ولقد عرّف ابن الجزري[1] علم القراءات فقال: (القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة)[2] كما عرفه طاش كبري زادة[3] بقوله: (علم فيه يبحث عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة) وقد عرفه كثير من العلماء ووقفوا كثيرا عنده لبيانه وكشف أسراره، فهو إذن علم يهدف إلى تقويم اللسان عن الزلل وتعليمه النطق الصحيح بكلام الله بكفية تهدف إلى صون اللسان عن الخطأ، وصون كتاب الله تعالى عن سريان التحريف إليه أو التبديل أو التغيير في كل من الرسم أو اللفظ والضوابط التي بها يقرأ من تخفيف، وتشديد وتسهيل إلى غير ذلك من القواعد التي جعلها العلماء، مستندين إلى التنزيل وبالتواتر.

[1]– ابن الجزري هو شمس الدين أبو الخير بن محمد علي بن الجزري، من كتاب غاية النهاية في طبقات القراء.

[2]– كتاب منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري، طبعة دار الكتب العلمية، سنة 1987، ص3.

[3]– هو أحمد مصطفى خليل ولد سنة (1495 م، 1561) ولد في بروسية أنقرة، وتوفي في أستنبول عالم تركي موسوعي له بالعربية الشقائق النعمانية فيها تراجم السلاطين والعلماء، والطبقات في حياة 521 عالما وشيخا.

والواقع أن نشأة علم القراءات كان منذ الوهلة الأولى التي أوحي فيها إلى رسول الله ﷺ بالقرآن الكريم من الله جلّ ثناؤه عن طريق جبريل الأمين عليه السلام، فكان رسول الله ﷺ يقرأه مرتلا مجودا على أصحابه. مصداقا لقول الله جل ثناؤه (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)[1] وقوله عزّ وجل: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً)[2].

إن العناية النبوية بالقرآن الكريم، والحرص الشديد جعل الصحابة –رضي الله عنهم– يتلونه مستندين على ما أقرأهم رسول الله ﷺ مشافهة بعربيتهم الفصيحة السليمة من كل شائبة، غضا طريا من فم الرسول الله ﷺ وهم بدورهم قاموا بتعليمة للجيل الجديد مثل ما سمعوه وتلقوه وبأمانة، وهذا ما كان بخصوص علم القراءة، ومن خلفهم جاء من حرصوا على تتبع القراءات وهم الأئمة القراء الذين تنسب إليهم القراءات السبع الشهيرة المتواترة، التي اجتمعت الأمة على صحة قراءة القرآن الكريم بأي منها شريطة التلقي والاتقان.

والحق أن السلف اعتنوا أيما اعتناء بهذه القراءات في العصور المتعاقبة، وبذلك قد اشتهر في كل عصر قراؤه وفي كل بلد، كان في عصر الصحابة قد اشتهر الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم إذ قام أبو بكر بجمع القرآن في مصحف واحد لأول مرّة بعد أن كان متفرقا في الألواح والرقاع، وزاد عثمان بن عفان تنقيحا وضبطا خاصا تمثّل في توحيد القرآن في مصحف واحد وحرق ما عاداه، وبعثه إلى الأمصار، وضبط قراءة على لغة قريش، وإضافة إلى الخلفاء الأربعة فقد اشتهر من الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين بالقراءة أُبَيّ بن كعب[3] وزيد ابن ثابت[1]، وعبد الله بن مسعود[2]، وابن عباس[3] وأبو موسى الأشعري[4] وغيرهم.

---

[1]- سورة المزمل، الآية [04].

[2]- سورة الإسراء، الآية [106].

[3]- من أجلاّء الصحابة رضي الله عنه، من كتاب الوحي قرأ القرآن على رسول الله ﷺ وأتمّ حفظه في حياته ﷺ.

وفي عهد التابعين اشتهر كثير من الفضلاء والعلماء المسلمين بالقراءة في أرجاء الأمصار. ففي المدينة كان سعد بن المسّيب[5] وعروة بن الزبير[6] وابن شهاب[7] وعمر بن عبد العزيز[8] وفي مكة ابن مجاهد[9] وعطاء[10] وطاووس[11]، وفي الكوفة علقمة[12] والأسود بن يزيد[13] وأبو عبد الرحمن السلمي[14] وسعيد بن جبير[15] وفي البصرة الحسن البصري[16] وابن سيرين وقتادة وفي الشام المغيرة بن أبي شهاب وخليفة بن سعد.

وحين اتسعت رقعة الإسلام وكثرت الوفود من كل صوب، وتوسعت العلوم الإسلامية في كل المجالات: استدعى ذلك إلى تخصّص كل عالم بعلم أو عدد محصور من العلوم ليجمع شتاته ويضع له قواعد نضبطه ويتحمل أمانته.

والواضح أن القراءة لها فوائد جمّة منها:

- حسن تخرج الأصوات من أماكنها.

---

[1]– زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عليه أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ وهو الذي جمع القرآن في عهد الخليفتين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

[2]– من الصحابة السباقين قال عنه رسول الله ﷺ: "من أحبّ أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل فليقرأ قراءة بن عبد الله".

[3]– عبد الله ابن عباس أحد الذين قرأوا القرآن والذين فسّروا القرآن الكريم وله قراءات شاذّة.

[4]– هو الصحابي الجليل كان من أطيب الناس صوتا بالقرآن الكريم وقال عنه رسول الله قد أوتيت مزمارا من مزامير داوود.

[5]– هو أبو سعيد بن المسيّب بن حزب بن أبي وهب بن عمرو المخزومي القرشي المدني سيّد التابعين، هو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، توفي سنة 91 هـ.

[6]– هو أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان الحولاني الهمداني من كبار العلماء من أصل فارسي، توفي سنة 106 هـ، وقد توفي حاجا بالمزدلفة السابق، ص 107.

[7]– هو ابن شهاب الزهري محمد من كبار التابعين من عشرة الصحابة، روي عنه نحو ألف حديث، ولد بالمدينة المنورة سنة 120 هـ، واختار الإقامة في الشام، ينظر معجم الإعلام، ط24، دار المشرق، 1975، ص 393.

[8]– هو عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الأموي الثامن حكم بالسنة، القسم التاسع، وتوفي سنة 101هـ، ص393.

[9]– هو مجاهد بن جبير أبو الحجاج المكي الأسود مولى السائب روي عن ابن عباس رضي الله عنه، كان عالما ومات سنة 103 هـ الاقناع، ص 50.

[10]– هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم صفوان أحد الأئمة الأعلام من التابعين، له كتاب البيان السابق، ص 112.

[11]– هو أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان الهمداني من كبار العلماء من أصل فارسي نشأ باليمن ت في 106هـ، توفي حاجا بالمزدلفة، ص107.

[12]– هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك السمعي، فقيه بالعراق له كتاب الهديه، توفي بالكوفة سنة 62 هـ، ينظر المرجع السابق، ص 95.

[13]– هو الأسود بن يزيد بن حافظ وفقيه كان عالم الكوفة في عصره رقال أبو نعيم في فقه القارئ القوام، ينظر حلية الأولياء، ج2، ص 103، 105.

[14]– هو إمام قد أخذ عنه عاصم "من القراء السبعة"، وكان عالما بها، وقد تصدر من بعده القراءة عاصم وتوفي سنة 73 هـ، المصدر السابق، ص 68.

[15]– هو أبو عبد الله أبو محمد ابن هشام بالولاء تابعي إمام مشهور في الفقه التفسير أخذ عن ابن عباس قتله الحجاج بن يوسف الثقفي، (95).

[16]– هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري من سادات التابعين إمام أهل البصرة ولد سنة 21 هـ، وفي 110 هـ

- معرفة الأحكام الخاصة بكل قراءة.

- التقويم والتقييم.

وكل ذلك يناسب علم التجويد لما قاله ابن الجزري في مقدمته: [من الرجز].

والأخذ بالتجويد حتم لازم * من لـم يجود القرآن آثم

لأنـه بـه الإلـه أنزلا * وهكذا منه إليـنا وصلا

وهو كذلك حلية التلاوة * وزينة الاداء و القراءة[1]

ومن الفوائد يقول الزركشي قيل: قراءة ابن كثير وأبي وعمرو راجعة إلى أُبَيْ، وقراءة ابن عامر إلى عثمان ابن عفان، وقراءة عاصم وحمزة والكسائي إلى عثمان وابن مسعود، وكذلك نستطيع القول بأن علم التجويد قد نشأ أول ما نشأ علم القراءات وهو فرع منه، ولما احتاج الناس إلى هذا العلم فَدَنَّوْهُ وقعدوا له، يقول الشيخ المرصفي القارئ: "أما الواضع له من الناحية العملية فهو سيدنا محمد ﷺ ...وأما الواضع له من الناحية القواعدية وقضاياه العلمية ففيه خلاف فقيل: أبو الأسود الدؤلي، وقيل أبو القاسم عبيد بن سلام وقيل الخليل بن أحمد الفراهيدي وقيل غير هؤلاء من أئمة القراء واللغة.

أما ما جاء في علم القراءات من خلاف في الضبط فمرجعه إلى القراءات ورواياتها[2].

ولذلك نرى بعض الأسباب التي أدت إلى الاختلاف في القراءات هي كالآتي:

---

[1]- من متن طيبة، ولقد شرحها ابن الجزري شرحا مفصلا، وقد علل كل قراءة بنمط.

[2]- ينظر القراءات السبع، لخلف بن أحمد الأنصاري والشاطبية.

كما وضعت صور تصف شكل الوترين الصوتيين عن طريق المشع ليظهر لنا بدقة أحداث الكلام، الإنساني، أو معرفة الدور المنوط بالحبلين الصوتيين، إذ هما أساسيان في عملية الصوت الإنساني، وبالتالي كان لزاما على دارس الأصوات الحنجرية في القراءات القرآنية خصوصا أن يمحص دراسته بتبيان دور هذين الوترين وإظهار عملهما أثناء إحداث الصوت بالصياح أو بالكلام العادي لأن هذا الجهاز له عدة وظائف منها الصوت الذي نحن بصدد دراسته وتبيان قوة ذلك في القراءات السبع المشهورة، على ضوء الدراسات القديمة والحديثة متوخيا في ذلك التوفيق بينهما، مع استنتاج بعض ما يستفاد من كل قراءة على حدة، وترجيح أو إضعاف من حيث الصوت وإبراز ذلك على ضوء السنة والأثار، والدراسات العلمية الحديثة.

فالذي لا مراء فيه هو أن الصوت قد حدده علماء القراءات بأشكال مختلفة وإصعاف إليه علماء فن التجوريد والرواة في مختلف القراءات المشهورة، فالرسول الأكرم عليه أفضل الصلاة والتسليم، وصحابته رضوان الله عليهم كانوا من أقوى القراء دقة وتمحيصا، فالقراءات تمثلت في سبع وقد قال عنها صاحب كتاب مشكل القرآن[1] قد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوحدتها سبعة أوجه[2].

قوة الأصوات في قراءة نافع وراوييه أ الهمزة: هي مدار الأصوات كلّها وإن كانت لا تثبت على حال ، بل تنتقل من وضعية إلى أخرى حسب الصوت الملائم لها، وخير ما مثل لها في القراءات ما جاء في قراءة نافع وروايته ورش وقالون، ففي رواية ورش المشهورة عن نافع فإنه يبدلها ألفا، والقياس بين بين[3] وقالون يدخل بينه

---

[1]- تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص 36.

[2]- قد نقل هذه الوجوه ابن الجزري، في كتاب التشريح عند سيبويه، ص 27.

[3]- الاقناع، ص 25.

ألفا وقد قيل عن ورش مثل ذلك، وليس بمعروف، وهذه الهمزة إذا كانت استفهاما حُقِّقَت من قوله تعالى: ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾[1]، فالنطق بها أحق، وقد مر أن ذكرنا هذه الأصوات الحنجرية بالحركات الثلاثة، أما ما جاء من أصوات دالة في الحركات هو الذي يستحق الدّراسة، فالفتحة هي صوت جزئي من الهمزة ألا نرى حين ينطق بأي حرف من الحروف مع حركة الفتح يصير هناك اهتزاز للوترين الصوتيين بالحجيرة التي هي خلف غضروف الحنرجة كما هو مبيّن في الشكل السابق، كأن صوت الإنسان ضبط بهذا الجهاز المركب من أعضاء مؤهله لإنتاج الكلام الإنساني والقراءة القرآنية أشد ضبط وينبغي أن تكون بأحسن كلام، ولو كانت حروف أخرى فالتمكين من النطق هو الحركات وعلماء العربية قد درسوا ذلك في إطار محدود يفي حاجاتهم، أما الدراسات الحديثة التي ما فتئت تترك درسا إلا محصته كالقراءات القرآنية التي خاص فيها علماء اللسانيات والأصوات خاصة قد وجدوا حاجة ماسة إلى تظافر جهود لمعرفة شاملة تتساير مع العصر، فالأصوات الآنفة تنتج عنها أصوات فرعية مثل الألف، والواو، والياء، وهذا الترتيب ارتأيناه أنسب، لأن الألف من الأصوات الحنجرية كما ذكر بعض الدارسين بقوله الألف تلي الهمزة في المخارج[2].

والواضح أن الألف هي الصوت المبين للحرف وجعله حنجريا فلو جئنا بكلمة "الأكمام" من سورة الرحمن بالرغم من أن الحرف "ميم" "يس" من الحروف الحنجرية إلا أن النطق به مع الألف تدخل الحنجرة في تكوينه، إذ هي المكون للأصوات كلها[3]، الألف وقوة الصوت معها في قراءة نافع وروايته، إن أحسن ما وجدنا في

---

[1]– سورةيونس، الآية [59].

[2]– كتاب التجويد الواضح لأحمد فروخي، دار النشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 24.

[3]– ينظر كتاب الأصوات اللغوية، لمحمد صعير، ص 34.

تبيان هذا الصوت ما وضع في قراءة ورش؛ إذ جعل لها رموزا دالة على الصوت الذي يناسبها، لأن ذلك كان يعبر على قوة نبر الألف ولينها في بعض الأحيان، ففي سورة الضحى مثال حيّ على الألف المقصورة أو اللينة الممالة، إذ وضع لها نقطة تحت الحرف دليلا على الصوت الممال، وهي كالآتي: "بسم الله الرحمن الرحيم" :

(وَالضُّحَى 1 وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى 2 مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى 3 وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى 4 وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى 5 أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى 6 وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى 7 وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى 8 فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ 9 وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ 10 وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ 11)، وهذه السورة الكريمة فيها يتضح الصوت الممال بالألف المقصورة ذات الدلالة على الترفيق وخفض الصوت وبيانه بمرونة تناسب المقام، فلو رسمنا رسما بيانا لهذه الألف لوجدناه على هذا الشكل: والإمالة عامة عند العرب لها أهمية كبرى في القواعد الصوتية العربية كما ذكرنا أن الألف الممالة في القرآن الكريم عند القراء السبع إلا أن الضبط مختلف كالنقطة الدالة على الإمالة لم يضعها القراء الآخرون بل وجدت عند ورش فقط؛ مع بعض الرموز والإشارات مثل النقطتين تحصران الهمزة المكسورة في مثل "سائل" والنقطة فوق الألف في قوله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم) وبعض الرموز التي وظفها لإظهار الصوت حفاظا على القراءة الصحيحة التي جاء بها رسول الله ﷺ وقيل إن أصح قراءة عن نافع رواية ورش وأفصح قراءة هي قراءة الكسائي، أما ألف التفخيم وتجيء معها الفتحة المفخمة، وهي صوت طليق مثل ما جاء في قوله تعالى: **(وَالصَّافَّاتِ صَفًّا)**[1] والمرققة كما جاء في قوله تعالى: **(وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا)**[2]، وللألف الممالة قواعد

[1]– سورة الصافات، الآية [01].

[2]– سورة الشمس، الآية [06].

وأسباب، كما رأينا أن أصوات الكلام ليست منعزلة بل متصلة يميل إلى صوت مماثل، يكاد يشبهه كالفتحة المماثلة للكسررة والألف للياء، وتسمى هذه الظاهرة بالتماثل في علم الأصوات وقد ذكر ذلك في الأصوات المطبقة وتأثيرها على تاء الأفعال في جاورتها فتقلها طاء مثل قوله تعالى: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ)[1].

وليست الإمالة إلا شكلا من أشكال التماثل، إن اجتماع كل من الكسرة والفتحة يحدث تأثير إحداهما في الأخرى، فتمال الفتحة للكسرة لقوتها فصارت إمالة سواء كانت الكسرة قصيرة أو طويلة وهي ما نسميه بياء المدّ، أو شبه طليق أو يكون ما بين اللين، ويمكن أن نقول بأن التماثل هو الذي يفسر لنا الإمالة التي يكون سببها إمالة سابقة أو لاحقة وهي التي مثلنا لها في سورة الضحى، ويوجد هناك إمالات ليس لمبدأ التماثل أثر فيها، ويوجد ذلك في إمالة الفتحة قبل هاء التأنيث مثل قوله تعالى: (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ)[2]، وقوله تعالى: (وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)[3]، وهذه القواعد يمكن حصرها فيما يأتي:

تمال كل ألف بعدها كسرة ولا فاصل بينهما من فتح أو ضمّ، مثل قوله تعالى: (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ)[4].

---

[1]- سوزرة مريم، الآية [65].

[2]- سورة العلق، الآية [18].

[3]- سورة البينة، الآية [05].

[4]- سورة العلق، الآية [15].

تمال ألف قبلها كسرة ولا فاصلة بينهما من فتح أو ضمّ، مثل قوله تعالى: (فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ)[1]، ويجوز أن يفصل بينهما فتح بشرطين أن يكون أحد الحروف الصحيحة التي بين الكسرة والألف هاء والثاني تمال الفتحة العازلة أيضا[2].

تمال كل ألف قبلها ياء سواء كانت هذه الياء حرف مدّ نحو مثل قوله تعالى: (فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ)[3]، أو كانت حرف لين ساكن مثل: (سُبْحَانَ) وحرف لين متحرك مثل قوله تعالى: (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[4] ويسمح في هذه بفاصل الفتح مع الشرطين المذكورين.

تمال كل ألف أصلها ياء مثل ما جاء في قوله تعالى: (وَنَرَاهُ قَرِيبًا)[5].

تمال كل ألف أصلها واو مكسورة في الفعل مثل قوله تعالى: (لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)[6]، لأن أصل الألف هنا واو.

تمال كل ألف كانت لام فعل سواء كان أصلها ياء أو كان أصلها الواو كما في قوله تعالى: (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى)[7]، وقوله تعالى: (وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى)[8].

وتمال كل ألف جاءت رابعة فأكثر سواءؤ كان أصلها الياء كما في قوله تعالى: (اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ)[9]، أو كان أصلها الواوكم في قوله تعالى: (مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى)[1]،

1- سورة النور، الآية [02].

2- ينظر كتاب سيبويه، ج2، ص 263.

3- سورة المؤمنون، الآية [117].

4- سورة العنكبوت، الآية [64].

5- سورة المعارج، الآية [07].

6- سورة الرحمن، الآية [55].

7- سورة النجم، الآية [02].

8- سورة طه، الآية [04].

9- سورة البقرة، الآية [232].

مُصَفًّى)[1]، أو كانت للتأنيث مثل (حُبلَى)، أو كانت للإلحاق مثل معزى، أو منقلبه عن تنوين مثل قوله تعالى: (عَبْدًا شَكُورًا)[2]، أو كانت في ضمير كما في قوله تعالى: (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا)[3].

وذلك نجد المصحف المكتوب على رواية ورش عن نافع قد وضعت فيه رموز وعلامات مدققة تمثل الأصوات منها الحنجرية، فالفتحة في جميع الحروف ولا سيما الهمزة تحتوي على قوانين تضبط القراءة ففي مثل قوله تعالى: (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى)[4]، وقوله تعالى: (أَحْيَاء وَأَمْوَاتًا (ﷺ) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتًا)[5]، فالفتحة هاهنا تعطي للحرف صوته المعتاد الذي يمكن للناطق تأدية الكلام الإنساني المستساغ، ولا يمكن أن ينطق المتكلم لكلام مستساغ دون حركات والفتحة هي الجزء الخفيف من الهمزة، إذ أننا نستشف ذلك من خلال تأدية المتكلم لذلك الصوت، فيبدو الانقباض والانسباط في جهاز الحنجرة كما وضع في الشكل السابق.

أما الكسرة مع الهمزة فنجد ورش يضع لها ضبط خاصا ففي أول الكلمة نجدها كالآتي:

محققة في جميع القراءات السبع ولا يمكن تخفيفها أو تسهيلها لأنها عندة في الكلمة مثل قوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[6].

1- سورة محمد، الآية [18].

2- سورة الإسراء، الآية [03].

3- سورة يوسف، الآية [35].

4- سورة الضحى، الآية [04].

5- سورة المرسلات، الآية [27].

6- سورة الأنفال، الآية [75].

وأما الكسرة المتوسطة في الكلمة مع الهمزة هي أيضا محققة مع ضبطها برمز يوحي بالصوت الذي يوافقه مثل قوله تعالى: **(وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ)**[1] نلاحظ ههنا علامة الهمزة المحصورة بين نقطتين تلك هي بيان على النبر والتحقيق ويكون ذلك بعد مدّ.

والواضح أن المتطرفة لها حالات هي كالآتي:

تحقيقها مثل: "اللهم اغفر خطاياي" حكاه أبوزيد عن بعض العرب[2] وهذا وجه ثابت للهمزتين المتحركتين في كلمة واحدة.

المتطرفة المكسورة بعد كسر مثل قوله تعالى: **(هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ)**[3] تثبيت الهمزة مع إبقاء حركتها دون تمديد في الصوت ويظهر ذلك في قراءة ورش وقالون عن نافع أما عن رواية حفص عن عاصم فالرسم يختلف فتكتب "البارئ" على الياء، والملاحظ أن الرسم المستعمل عند ورش أدق من المصاحف الأخرى؛ إذ فيه ما يدل على الصوت وتدرجاته، مع بعض القواعد التي اهتدى إليها كتاب السلف، وسأبينه في رسم المصاحف، فالرسم على هذه الكيفية البارئ يدل على قطع الهمز بالتحقيق دون مدّ في الصوت.

المكسورة بعد كسر مثل قوله تعالى: **(وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ)**[4] والرمز الدال على تحقيق الهمزة بكسر منون دون إطالة في الصوت سبقه الرسم الدال عليه.

---

[1]- سورة التحريم، الآية [04].

[2]- ينظر المحيط.

[3]- سورة الحشر، الآية [24].

[4]- سورة الزخرف، الآية [06]

المكسورة بعد ضم مثل: قوله تعالى: (فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ)[1].

ففي هذا الذكر القرآني دلالة صوتية توضح قطع الصوت مع غنة بعد الهمزة في الواو؛ لأن كل واو فيه غنة في الأدراج شدّد.

فالنون الخفيفة، والهمزة المخففة، وألف الإمالة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي ...والحروف الفرعية المستقبحة، هي فروع غير مستحسنة، لا يؤخذ بها في القرآن ولا في الشعر، ولا تكاد توجد إلا في لغة ضعيفة مرذولة، غير متقبلة. وهي: الكاف الي بين الجيم والكاف، والجييم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالميم"[2].

ثالثا: ويحصر ابن جني مخارج الحروف في ستة عشرة مخارجا، ناظرا إلى موقعها في أجهزة النطق، ومنطلقا معها في صوتيتها، ويسير ذلك بكل ضبط ودقة منها في الحلق:

1. فأولها من أسفله وأقصاه، مخرج الهمزة والألف والهاء،
2. ومن وسط الحلق: مخرج العين والحاء.
3. ومما فوق ذلك من أول الفم: مخرج الغين والخاء.
4. ومما فوق ذلك من أقصى اللسان: مخرج القاف.
5. ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم: مخرج الكاف.
6. ومن وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الأعلى: مخرج الجيم والشين والياء.

---

[1]– سورة آل عمران، الآية [114].

[2]– ابن جني سر صناعة الإعراب، ج1، ص 51.

7. ومن أول حافة اللسان وما يليها: مخرج الضاد.

8. ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية: مخرج اللام.

9. ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا: مخرج النون.

10. ومن مخرج النون، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام: مخرج الراء.

11. ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا: مخرج الطاء والدال والتاء.

12. ومما بين الثنايا وطرف اللسان: مخرج الصاد والزاي والسن.

13. مما بين اللسان وأطراف الثنايا: مخرج الظاء والذال والثاء.

14: ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى: مخرج الفاء.

15. وما بين الشفتين، مخرج الباء والميم والواو.

16. ومن الخياشيم، مخرج النون الخفيفة، ويقال الخفيف أي: الساكنة، فذلك ستة عشر مخرجا[1] وحينما يتابع ابن جني مسيرته الصوتية في مخارج هذه الحروف، نجده متمحصا لها في دقة متناهية بما نعتبره أساسا لما تواضع عليه الأوروبيين باسم الفونولوجي Phonologie أي "التشكيل الأصواتي" أو هو النظام الصوتي في تسمية دي سوسور له وهو ما نميل إليه[2].

ومن خلال هذا النظام نضع أيدينا على عدة ظواهر صوتية متميزة في المنهج الصوتي عند ابن جنّي كشفنا عنها بصوررة أولية في عمل أصواتي مستقل سبقت تغطيته[3].

---

[1]- سر صناعة الإعراب، لابن جني، ص 51.

[2]- ينظر كتاب الدكتور استيتية في « فيزيولوجية الصوت

[3]- ينظر الصوت اللغوي في القرءان الكريم لمحمد الصغير

وهنا نحاول فلسفتها بصورة متكاملة مقارنة بظروفها المماثلة في الفكر الصوتي الإنساني، فيما حقق من نظام أصواتي حديث لا يختلف كثيرا عما أبداه ابن جني في الظواهر الآتية:

1. مصدر الصوت ومصطلح المقطع:

"إعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب مقاطعها، وإذا تفطنت ذلك وجدته على ما ذكرته لك، ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرسا ما، فإن انتقلت عنه راجعا منه أو متجاوزا له ثم قطعت، أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول، وذلك نحو الكاف، فإنك إذا قطعت بها سمعت هنا صدى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذنيك الأولين[1].

هذا العرض في إحداث الصوت كشف لنا عن مصطلح حديث عند الأوروبيين هو المقطع، وأقف عنده لما استقطبه هذا الإصطلاح الذي سيره "ابن جني" من مناقشات وممارسات أصواتية متميزة، كان هو الأساس فيها في الدلالة الدقيقة على المعنى المراد دون غيره عند الأصواتيين العالميين.

الأصوات عادة تتجمع في وحدات، تكون تلك الوحدات أكبر من الأصوات بالضرورة، لأنها أطول مسافة صوتية، فتشكل في أكثر من صوت وِحدَة صوتية معينة، وأهم هذه الوحدات هو المقطع الذي تذوقه ابن جني، فرأى فيه ما يثني الكلام عن استطالته وامتداده تارة، وما تحس به صدى عند تغير الحرف غير الصدى الأول تارة أخرى.

[1]- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ص 52/1.

والتعريف البسيط للمقطع هو "تأليف أصواتي بسيط، تتكون منه واحدا أو أكثر كلمات اللغة، متفق مع إيقاع التنفس الطبيعي، ومع نظام اللغة في صوغ مفرداتها"[1].

وقد جرى تأليف المقطع العربي على البدء بحرف صامت، ويثني بحركة، ولا يبدأ بحركة إطلاقا خلافا للغات الاوروبية، ومن المبادئ الأساسية أن اللغة العربية تبدأ كلماتها بمتحرك واحد، وتختمها إما بحركة، فهو المقطع المفتوح، وإما بصامت، فهو المقطع المقفل، ومن غير الممكن في العربية أن تبدأ الكلمة بمجموعة من الصوامت، أو أن يتخلل الكلمة أكثر من صامتين متجاورين، أو أن تختم الكلمة بمجموعة من الأصوات الصامتة[2].

إذن: حرف صامت + حركة= مقطع، وهذا هو المقطع القصير، وقد يضاف إلى هذا حرف صامت، أو حركة أخرى، فيكون المقطع طويلا، لأنه تجاوز الحد الادنى من التكوين، وهو الحرف والحركة، وتخطاهما إلى ثالث، حركة كان هذا الثالث أم حرفا.

والعربية عادة تتكون الغالبية العظمى من كلماتها من ثلاثة مقاطع في المادة دون اشتقاقها، ففي الثلاثي خذ كلمة: "ذَهَبَ" في ثلاثة مقاطع هي: ذَ | هـَ | بَ، وكل مقطع هنا مكون من حرف وحركة كما ترى.

قال ابن جني، مستفيدا بما قدمه الخليل: إن الأصول ثلاثة: رباعي وخماسي، فأكثرها استعمالا، وأعدلها تركيبا الثلاثي، وذلك لأنه: حرف يبتدأ به، وحرف يحشى به، وحرف يتوقف عليه. وليس اعتدال الثلاثي لقلة حروفه حسب، لو لكان الثنائي أكثر منه لأنه أقل حروفا ... فتمكن الثلاثي إنما هو لقلة حروفه لعمري، ولشيء آخر هو الحشو هو عينه بين فائة ولامه، وذلك لتعادي حاليهما. ألا ترى أن المبتدأ لا يكون إلا متحركا وأن

[1]- علم اللغة العام، عبد الصابور شاهين، ص 51.

[2]- ينظر أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص 409.

الموقوف عليه لا يكون إلا ساكنا، فلما حالاهما وسطوا العين حاجزا بينهما لئلا يفجأوا والحسّ بضد ما كان آخذا فيه"[1].

لقد أدرك الأصواتيون العرب هذا التخطيط المقطعي من ذي قبل دون الاعتماد على شيء آخر، ومن هنا كان المفهوم الوظيفي للمقطع، كما جاءت أفكار الحركات والصوامت[2].

وهو نفسه ما تحدث عنه ابن جني، وهو الواقع في الفكر الصوتي عند العرب فالحرف لا ينطق وحده فيشكل صوتا، إلا بانضمام الحركة إليه، فيتكون بذلك المقطع الصالح للتصويت.

ويرى أتوجسبرسن Otto Jespersen: أن الوحدات الأصواتية تتجمع حول الوحدة الأكثر إسماعا، بحسب درجة الوضوح السمعي، والمقطع طبقا لرأيه هو المسافة بين حدين أدنيين من الوضوح السمعي.

إن نظرية جسبرسن من بين ما ارتضاه عالم الأصوات الإنجليزي دانيال جونز، فهي وصف جيد المثالي، ولكنها لا تقول شيئا لنا عما هو جوهري في المقطع، ولا تقول لنا: أين الحد بين المقاطع، وهو ما يطلق عليه الحد المقطعي.

حقا لقد كان البنيوي السويسري فرديناند أقرب إلى الفكر العربي في تصوره لحدود المقطع الصوتي علىأساس درجة الانفتاح في الأصوات، إذ تتجمع الصوامت حول الحركات تبعا لدرجة الانفتاح، فالحد المقطعي يوجد ويتوافر حين يكون التنقل من صوت أكثر انغلاقا إلى صوت أكثر انفتاحا[3].

1- كتاب العين للخليل، ابن أحمد الفراهيدي.
2- كتاب الخصائص لابن جني، ص 55-56.
3- براتيل مالبرج، علم الأصوات، ص 155.

إن هذا التوصل إلى حدود المقطع وتعريفاته عند الأوروبيين هو الذي ذهب إليه ابن جني، وأضاف إليه ذائقة كل مقطع، قال: "وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحروف أن تأتي به ساكنا لا متحركا، لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره، وتجتذبه إلى جهة الحرف التي هي بعضه، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به، فتقول: اك. اق. اج؛ وكذلك سائر الحروف، إلا أن بعض الحروف أشد حصرا للصوت من بعضها"[1].

وهذا ما نتعتبره ابتكارت لم يسبق إليه، إلا فيما عند الخليل في ذواقة عند الخليل في ذواقة للأصوات إب| ات| اع| اغ[2].

والمدهش حقا عند ابن جني أن يهتدي إلى سر المقطع من خلال تصريفه لشؤون الحركات، فهو يعتبر الحركة صوتيا تتبع الحرف، فتجد بهما الصوت يتبع الحرف "وإنما هذا الصويت التابع لهذه الحروف ونحوها ما وقف عليها، لأنك لا تنوي الأخذ في حرف غيرها، فيتمكن الصويت فيظهر، فإنما إذا وصلت هذه الحروف ونحوها فإنك لا تحس معها شيئا من الصوت كما تجده معها إذا وقف عليها[3].

يتحدث ابن جني عن جهاز الصوت الممتنقل، أو مجموعة الأجهزة الصوتية في الحلق والفم، وسماعنا تلك الأصوات المختلفة، وذلك عند ذائقته للحرف العربي، ووجدانه الاختلاف في أجراسه، والتباين في أصدائه فشبه الحلق بالمزمار، ووصف مخارج الحروف ومدارجها بفتحات هذا المزمار، وتتوجه عنايته بمجرى الهواء في الفم عند إحداث الأصوات.

ويشبهه بمراوحة الزامر أنامله على خروق الناي لسماع الأصوات المتنوعة والمتشعبة بحسب لوضع أنامله لدى فتحتات المزمار، "فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناس

1- السابق بتصرف.

2- ينظر دي سويسر، علم اللغة العام، ص 77 وما بعدها.

3- ينظر الخصائص لابن جني.

المنسوقة، وراوح بين أنامله، اختلفت الأصوات، وسمع لكل منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم، باعتماد على جهات مختلفة، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة"[1].

وكذلك تعقيبه على هذا التمثيل في إحداث الصوت بالنسبة لأوضاع أجهزة الصوت، بتشبيهه ذلك بوتر العود، وكيفية ضربه ببعض أصابع اليسرى أو جسة في اليمنى مما يُحدِث أصواتا مختلفة عند تلقي الأذن لذلك فتتذوق من خلال ذلك جوهر الصوت، كما تتذوقه في أصوات الحروف تبعا للرقة والصلابة في الوتر، وكذلك الحال بالنسبة للوترين الصوتيين في جهاز النطق الصوتي عند الإنسان، يقول ابن جني:

"ونظير ذلك أيضا وتر العود، فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتا، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه، أدى صوتا آخر، فإن أدناها قليلا، سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كُلَّمَا أَدْنَى إِصْبَعَهُ من أول الوتر غفلا غير محصور، تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور، أملس مهتزا، ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر صلابته، وضعفه ورخاوته، فالوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت في أقصى الحلق، جريان الصوت فيه غفلا محصور كجريان الصوت في الأنف الساكنة، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا".

إن ما أبداه ابن جني من تفصيل تمثيلي دقيق لجهاز النطق عند الإنسان وأثر انطلاق الهواء مضغوطا وغير مضغوط في إحداث الأصوات مختلفة بحسب إرادة الناطق أو المصوت: هو ما تبناه علم الأصوات الفيزيولوجي (Phonnetics-Physiologie) في الحديث عن الجهاز التنفسي الذي يقدم الهواء المناسب لتكييف حدوث الأصوات، وعن الحنجرة باعتبارها مفجرة الطاقة الصوتية، وعن التجويف فوق المزمارية التي تلعب دور عزف

[1]- ينظر كتاب سر صناعة الإعراب، لابن جني، ج1، ص 9.

الرنين في إنتاج غالبية الضوضاء المستخدمة في الكلام، وعن دور النفس في مرحلتي الشهيق والزفير في اتساع القفص الصدري لدى الشهيق، فيدعو الهواء الخارجي بسبب هبوط الحاجز، وارتفاع الأضلاع إلى الدخول من فتحتي الأنف أو الفم عبر القصبة الهوائية إلى الرئتين، فتنتج أصواتا مسموعة عند الأطفال، أو في حالتي النشيج والضحك.

أما الزفير فيتشمل على ارتفاع الحجاب الحاجز، وهبوط الأضلاع، ونتيجة لهذا يندفع الهواء بكمية كبيرة من الرئتين. هذا الهواء المندفع بالزفير هو الذي يتسخدم في التصويت[1].

إن هذا التحليل الحديث في حدوث الأصوات من وجهة نظرة علمية أو تشريحية هو الذي اراده ابن جني في عنايته بمجرى الهواء في عملية إحداث الأصوات ـــ ولكن بأسلوب يتجاوز مناخ بيئته إلى البيئات المعاصرة، وتشبيهه لهذا الجهاز بمراوحة الزامر أنامله في خرق الناي لسماع الأصوات لم يعد اليوم تشبيها بل عاد تسمية اصطلاحية في علم الأصوات الفيزيولوجي بالنسبة للتصويت، إذ تطلق كلمة المزمار على الفراغ المثلث المحاط بالحبلين الصوتيين "فالمزمار يكون مفتوحا في التنفس العادي، كما يكون مفتوحا خلال النطق ببعض الصوامت المهموسة، أما خلال التصويت فإن المزمار يجب أن ينغلق، على طول الخط الوسط، فإذا بقي الجزء الموجود بين الغروفين الهرميين مفتوحا، بحيث يسمح للهواء بالمرور سمعنا صوتا مستسرا هو صوت الوشوشة، وإذا كان الإئتلاف كاملا كان المزمار في وضع الاستعداد لتذبذب ... ومن الممكن أيضا أن نقصر التذبذب على جزء من الحبل الصوتي، وبذلك نختصر طول الجسم المتذيذب، وهو ما يعطينا نغمة أكثر حدة. هذه المعطيات الفيزيولوجية تتفق اتفاقا كاملا مع القوانين الفيزيقية التي تحكم التردد الخاص باسم التذبذب"[2].

---

[1]- علم الأصوات برئل مالبرج بتصرف وبعض الاستنتاجات من المخبر.

[2]- ينظر كتاب الأصوات، محمد الصغير.

أستطيع القول من خلال النص المتقدم دون مبالغة أو تردد: أن هذا النص يكاد يكون ترجمة عصرية لرأي ابن جني في تشبيهه جهاز الصوت لدى التذبذب في إخراج الأصوات بالمزمار، الذي أصبح اليوم نقطة انطلاق الأصوات باعتباره فراغا يحاط بالوترين الصوتين، إذ لم يكن هناك بد عند ابن جني من تلمس جهاز ملموس للاستدلال من خلاله على قضية يصعب الاستدلال عليها في عصره دون النظر إلى ذلك الجهاز، أما التشبيه الذي عاد اليوم مظنة لمساحة نطقية قرب الحنجرة، فإنه قد لون بصبغة خاضعة لعلم التشريح، وليس عصر ابن جني تشريح، ولا هو بمتخصص فيه مع وجود أوليات الموضوع، لذلك جاءت هذه الترجمة معبّرة عن رأيه، أو كشافة عن تخطيطه تلقائيا، وحاكية لتشبيهه تمثيليا، والأمر المنتزع عن الحس، إذ أقيم عليه الدليل الفعلي، كان مقاربا للأفهام، ومسايرا لحركة التفكير.

لقد كان ابن جني موضوعيا في صفة الجهاز المتنقل في الأصوات مما جعله في عداد المؤسسين.

ويتمرس ابن جني بعض الحقائق الصوتية، ولكنه يعرضها بحذر ويقظة، وقد ينسبها إلى بعض الناس، وما يديرنا فلعلها له لأنه من بعضهم، إلا أن وجهة نظر قد تمنعه من التصريح بها لأسباب عقيدية، قد لا يسيغها المناخ الاجتماعي في نظره وإن كانت واقعا.

فهو يتحدث عن صدى الصوت في بداية تكوين اللغة، وأثر المسموعات في نشوء الأصوات الإنسانية، وهو ينقل ذلك عن بعضهم، ولكنه يذهب إليه باعتباره مذهبا متقبلا، ووجها صالحا للتعليل، دعما لنظريته الصوتية التي يربط بها الأشباه والنظائر، ويحشد لها الدلائل والبراهين، فيقول: "وذهب بعضهم إلى أن أصل إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونرزيب الظبي ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك.

وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل"[1].

فهو يربط بين الأصوات الإنسانية، وبين أصداء الطبيعة حينا، وأصوات الكائنات الحيوانية حينا آخر، مما هو من ظواهر الموجودات في الكون، وبين تكوين اللغات التي نشأت من هذه الأصوات في بداياتها الأولى.

"وقد ذهب إلى هذا الرأي معظم المحدثين من علماء اللغة وعلى رأسهم العلامة وتني Whitney"[2].

وهذا ما يوقفنا على رأي الأوروبيين، وتعليلهم الصوتي في أصل نشوء اللغات، وأهمها في نظرنا ما يوافق ابن جني المنقول آنفا، والقائل بامتداد الصوت عند الإنسان عن الصوت الطبيعي للأشياء، أو الصوت الحيواني غير العاقل، وأن جملة اللغات الإنسانية قد انحدرت من تلك الأصوات.

وهذا لا يمانع أن يكون الله سبحانه وتعالى هو معلهم الأصوات، ومنشيء اللغات، ومعلم الكائنات، فهذا هو الاعتقاد الصحيح الذي لا تشوبه شائبة، فالكلام عن هذا شيء والبحث عن أصل اللغات في انطلاق الأصوات شيء آخر على أن هناك رأيا آخر يذهب إلى أن استعمال الإنسان لجهازه الصوتي كان عن طريق التأوهات والشهقات التي صدرت عنه بصورة لا إرادية، وذلك حينما عبر عن آلامه حينا، وآماله حينا آخر[3].

وقد ذهب ابن جني مذهبا صوتيا فريدا يربط الصوت والفعل تارة، وبين الصوت والاسم تارة أخرى، ويبحث علاقة كل منهما بالآخر علاقة حسية ومادية متجسدة، فجرس الألفاظ ووقعها فيما يحدثه من أصوات وأصداء سمعية قد يكون متجانسا ومقاربا لنوعية عنده فيقول: "فإن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر عنها، ألا تراهم قالوا: قضم في اليابس، وخضم في الرطب، وذلك لقوة القاف

[1]- ينظر لكتاب سيبويه وكتاب الخصائص لابن جني.
[2]- علم اللغة لعبد الواحد وافي.
[3]- دلالة اللفظ لإبراهيم أنيس، ص20-35.

وضعف الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف"[1].

وتجده يلائم بين الصوت اللغوي وعلاقته بصوت الطائر في الاستطالة والقطع، فالراء مرددة مكررة مستطيلة، وصوت الجندب مثلا مستطيل، فجعلت له "صرّ" مشددة، وصوت البازي مثلا منقطع، فقطعت الراء فكانت "صرصر" وذلك ما رآه: "وكذلك قالوا "صر الجندب" فكرروا الراء لما هناك من اسطالة صوته، وقالوا "صرصر البازي" لما هناك من تقطيع صوته"[2].

وفي هذا المجال فإن ابن جني لا يقف عند هذا الحد من من النظرية والتطبيق، بل يربط أحيانا بين الأصوات وبين ما سمي به الشيء، نظرا لمشابهته لذلك المنطلق من التسمية، كالبط لصوته، والواق للصرد لصوته، وغاق للغراب لصوته[3].

وهو بهذا يذهب مذهب من يجد مناسبة ما بين الصوت والمعني، لا سيما عند البلاغيين في التماس علاقة اللفظ بالمعني، أو في الدلالة الحسية للفظ بالمعني، وهو من باب تسمية الشيء باسم صوته، وتلك مقولة صحيحة في جملة من الأبعاد، وحقيقة في كثير من المسميات والتسميات.

وابن جني يؤكد هذه الحقيقة في المفردات اللغوية، ليعطيها صفة صوتية متمازجة، فالعرب "قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها، وتقديم ما يضاهي أول الحديث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سوقا للحروف على سمت المعني المقصود والغرض المطلوب، وذلك كقولهم:

---

[1]- صناعة الإعراب لابن جني.
[2]- السابق.
[3]- الخصائص لابن جني، ص 65/1.

بحث، فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصلحها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث والبث للتراب"[1].

ولا غرابة بعد هذا أن نجد صيغتين من صيغ العربية تدلان على الحدث الصوتي من جانبين:

أ. فعال، وتستعمل في جزء كبير منها للدلالة على الأصوات والضوضاء مثل: صراخ.

ب. فعللة: فإنها تستعمل في العربية جزء كبير منها للدلالة على حكايات الأصوات مثل: "الغرغرة" فإن صوتها من جنس تشكيل حروفها لفظيا، وإن معناها صدى من أصداء صوتها.

ت. هذا نفسه هو ما ينجم عن التوليد الصوتي للالفاظ عند الأوروبيين، كما في ر الكلمة (قهقه) والأصوات فيها دليل من دلائل المعنى، وإذا أضفنا إلى (قهقه) (تمايل) فإننا سنجد في الكلمة الأوزلى حدث تقليد صوت لصوت آخر، وفي الثانية ترجمت الحركة ترجمة بيانية بوسائل صوتية.

والمصطلح الذي يغلب إطلاقه في حالة الكلمات التي من هذا النوع هو (محاكاة الأصوات Onomatopeid)[2].

هذه جولة قد تكون نافعة فيما أوجده لنا ابن جني من تأصل صوتي من الملامح والخصائص والمكتشفات.

اتخذت المباحث الصوتية عند العرب القرآن أساسا لتطلعاتها، وآياته مضمارا لاستلهام نتائجها، وهي حينما تمازج بين الأصوات واللغة، وتقارب بين اللغة والفكر،

---

[1]- دور الكلمة في اللغة لايستهين أولمان 73-74 بتصرف.

[2]- دور الكلمة في اللغة لاستيفن أولمان.

فإنما تتجه بطبيعتها التفكيرية لرصد تلك الأبعاد مسخرة لخدمة القرآن الكريم، فالقرآن كتاب هداية وتشريع لاشك في هذا، ولكنه من جانب لغوي كتاب العربية الخالد، يحرس لسانها، ويقوّم أود بيانها، فهي محفوظة به، وهو محفوظ بالله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1]. لهذا بقيت العربية في ذروة عطائها الذي لا ينضب، وظلت إضاءتها في قمة ألقها الذي لا يخبو، فكم من لغة قد تدهورت وتعرضت لعوامل الانحطاط، وانحسرت أصالتها برطانة الدخيل المتحكم من اللغي الأخرى، فذابت وخمد شعاعها الهادي؛ إلا العربية فلها مدد من القرآن، ورافد من بحره المتدفق بالحياة، تحسه وكأنك تلمسه، وتعقله وكأنك تبصره، فهو حقيقة لا تجحد، مسك القرآن باللسان العربي عن الإنزلاق، وأفعم التزود اللغوي عن الارتياد في لغات متماثلة، حتى عاد اللسان متمرسا على الإبداع، والتزود سبيلا الفياضة، لا يحتاج إلى لغة ما، بل تحتاجه كل لغة.

ورصد أية ظاهرة لغوية يعني العناية باللغة ذاتها، ويتوجه إلى ترصين دعائمها من الأصل، لأن الأصوات بانضمام بعضها إلى بعض تشكل مفردات وحدها تمثل معجمها، وبتأليفها تمثل الكلام في تلك اللغة، والقدرة على تناسق هذا الكلام وتآلفه، من مهمة الأصوات في تناسقها وتآلفها، وتنافر الكلمات وتهافتها قد يعود على الأصوات في قرب مخارجها أو تباعدها، أو في طبيعة تركيبها وتماسها، أو من تداخل مقاطعها وتضامها، ذلك أن اللغة أصوات. "ومصدر الصوت الإنساني في معظم الأحيان هو الحنجرة، أو بعبارة أدق: الوتران الصوتيان فيها، فاهتزازات هذين التوترين هي التي تنطلق من الفم أو الأنف ثم تنتقل خلال الهواء الخارجي"[2].

---

[1]- سورة الحجر، الآية [09].

[2]- الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس.

ولغتنا العربية كبقية لغات العالم؛ عبارة عن أصوات متآلفة تنطلق من الوتريين الصوتيين لتأخذ طريقها إلى الخارج.

بيد أن العربية سميت باسم صوت متميز بين الأصوات فعاد مَعْلَمًا لها، ومؤشرا عليها، فقيل: لغة الضاد ومع أن ابن فارس (ت: 395 هـ) يقول: "ومما اختصت به لغة العرب الحاء والضاء"[1]. إلا أن الضاد يبقى صارخا في العربية لا مشابه له في اللغات العالمية، بل وحتى في اللغات السامية القريبة الأصر من اللغة العربية، وكان لهذا الصوت نصيبه من الالتباس بصوت "الظاء" كانت الإشارة منا في عمل مستقل إلى الاختلاف فيما بين الضاد حتى عند العرب أنفسهم، وأن الالتباس بالضاد كان ناجما عن مقاربتها للظاء في الآداء، وعدم تمييز الصوتين حتى لدى العرب المتأخرين عن عصر القرآن.

ومن عجائب القرآن الأدائية، وضعه هذين الصوتين في سياق واحد، وبعرض مختلف، في مواضع عديدة من القرآن، ذلك من أدل الدربة الدقيقة على التلفظ بهما، والمران على استعمالهما منفصلين، بتفخيم الضاد وترقيق الضاء، قال تعالى: (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (50) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ)[2]. فالظاء في (غليظ) والضاد في (أعرض) وفي (عريض) مما تواضع الأوائل على قراءته بكل دقة وتمحيص، وميزوا بذائقتهم الفطرية فيما بين الصوتين.

والحاء بالعربية تنطق "هاء" في بعض اللغات السامية، وكذلك صوتها في اللغات الأوروبية، فهما من مخرج واحد " لولا هته في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء"[3].

---

[1]- المصدر السابق

[2]- سورة فصلت، الآية [51].

[3]- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ج1، ص 57.

ولعمق التوجه الصوتي في القرآن لدى التمييز بين المقاربات نجده يضعهما في سياق واحد في كثير من الآيات، من أجل السليقة العربية الخالصة قال تعالى: (فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2) وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ)[1].

فالحاء من "فسيحوا" والهاء من "أشهر" في الآية الأولى إلى جنب الهاء من "الله ورسوله" والحاء من "الحج" في الآية الثانية، جاءت جميعها بسياق قرآني متناسق في هدف مشترك للتمييز بين الصوتين حينا، وللحفاظ على خصائص العربية حينا آخر، ولبيان اختلاطهما عند غير العربي المحض، فلا يستطيع أداء "الحاء" تأديته "الهاء" إذ قد يلتبسان عليه، وهو جانب فني حرص القرآن على كشفه بعيدا عن الغرض الديني غلا في وجوب أداء القرآن قراءة كما نزل عربيا مبينا.

لهذا نرى أن القرآن هو القاعدة الصلبة للنطق العربي لجملة أصوات اللغة، ولا سيما الضاد والظاء، أو الحاء والهاء، في التمرس عليهما والتفريق الدقيق بينهما.

ولقد كان سليما جدا ما توصل إليه الدكتور أحمد مطلوب عضو المجمع العلمي العراقي بقوله: "إن من أهم خصائص العربية ثبات أصوات الحروف فيها، لأن جوهر الصوت العربي بقي واضحا، فالهمزة كما عرفها علماء العربية هي من الأصوات الحبيسة الحنجرية الإنفجارية يحدث من التحام الوترين الصوتيين وانفصالهما فجأة. وهذه الآلية لا توجد إلا في لسان العربية الشمالية أما الهمزة الموجود في بعض اللغات فليست كالهمزة العربية التي لها ضوابط من بينها الترقيق، وهي في العربية تنطق في الابتداء والإدراج، والتطرف، وفي غير العربية لا تنطق إلا في الابتداء.

[1] سورة التوبة، الآية [03].

فورش عنده التخفيف والنبر، ففي التخفيف الذي ذكرناه سالفا أما التخفيف كذلك قد وضع له رموز مثل الذي درسناه في ما سبق، إلا أن رواية ورش عن نافع في التحقيق والتسهيل وذلك في رسم الهمزة والنطق بها مثل قوله تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)[1] فرواية حفص عن عاصم تثبت رسم الهمزة دليل على تحقيقها، أما رواية ورش نحذفها وذلك تسهيلا في نطقها، أما القراءة عند الآخرين نجد في الهمزة كذلك بين التسهيل والتخفيف كهمزة يسهل مثل مســـٲـــلة

ويكون تخفيف الهمزة بين بين، وليس بالبدل لأن الساكنين في الوصل ممتنعان.

وقد روى سيبويه أن منهم من يخفف الهمزة هنا بالبدل لسكون ما قبلها، فيجر بها مجرى الساكنة فيقول الكماة والمراة، ويمكن أن يكونوا كتبوا في المصحف (المنشأة) بالألف مراعاة الحال تخفيفها في هذه اللغة، ويمكن أن يكون على مذهب أهل التحقيق وإذا كان الساكن حرف علة فلا يخلو من أن يكون ألفا أو واوا أو ياء. فالألف تخفف معها الهمزة بين بين، كما تخفف مع المتحركة، لأن طول مدّ صوتها ينوب مناب صوت الحركة وأكثر، تقول في هباءة وعظاءة، هماءة وعظاءة فتجعلها بين بين.

وإن كان واوا أو ياء فلا يخلو أن يكون زائدين لمدّ الصوت أو أصليين، أو ملحقين بالأصل.

أ. فالزائدان تبدل معهما الهمزة ويدغمان، فتقول في [قروء بريء] (قروٌّ، وبريٌّ) ولا تخفف الهمزة معهما بين بين لقصر مدهما عن مدّ الألف، فكان نفراد

---

[1]- سورة البقرة، الآية [01-02-03]

الألف تخفيف الهمزة [بين بين] معها بمنزلة انفرادها بالردف، واختصاصها بالتأسيس، وإن ساوتها في غيرها.

ب. والأصليتان نحو [سوأة] في سورة المائدة (31) وكهيئة في سورة آل عمران (110).

ت. أم الملحقتان نحو حوْ أبْ وجيئيلْ[1] فتخفيف الهمزة معهما بالحذف ونقل حركتهما إليهما على قياس الساكن الصحيح فتقول: سوره، وكهية وحوب وجيل ولم يقع الملحق في القرآن على قراءة حمزة.

ومما سبق يتبين أن هذا هو الحدّ للهمزة في التخفيف القياسي عند سيبويه، وحالفة أبو الحسن في موضوعين في المضمومة التي قبلها كسرة في المتصل والمنفصل نحو [يستهزؤون] و(من عند أخته) فيبدلها في التخفيف ياء فيقول (يستهزيون) و(من عند يخته) قال لأنه ليس من كلام العرب واو ساكنة فيها كسرة، وإذا كانت كذلك انقلبت ياء نحو (ميزان وميعاد) فلذلك يجب في الهمزة المقربة أيضا.

ونجد أيضا كلامهم عن المكسورة التي قبلها ضمة في المتصلة دون المنفصل نحو سُئِلَ، وبأموك لأن الياء المضمون ما قبلها تبدل واوا في نحو موقن وموسر فيجب في الهمزة المقربة من الواو الساكنة أن نبدل واوا مع الضمة، أما سيبويه فيقول إنها تخفف بين بين، لأنه يستطاع التكلم بها فبقيت على أصلها من التخفيف بين بين وإنما أحتيج إلى البدل في [جؤن ومئر] لأن بين بين لاستطاع التكلم به[2].

---

[1]- سورة المائدة، الآية [31].

[2]- ينظر الاقناع، ص 272.

وفي المكسورة بعد فتح فجيئت على هذا الشكل في قوله تعالى: (اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ) وهذا دليل على أن الهمزة إذا كانت فوق الياء كان أخرى أن تلفظ بصوتها أما إذا كانت تحت الياء مثل الآية الآنفة دلت على إشمام الحرف وكان نطق الياء أقرب.

3ـ ما ذكره القراء مما جرى في التسهيل على غير قياس سيبويه:

يقول صاحب الاقناع "اعلم كل ما ذكرت من التخفيف في هذه الأبواب لحمزه وغيره فهو على محض القياس إلا قليلا نَبَّهْتُ عليه. فمما ذكره وجوه بعض الحروف الشاذة، وقد أخذها عن أبي الحسن ابن شريح فقال: إن الهمزة المبتدأة لا تخفف لأنها تقرب بالتخفيف من الساكن، فلم يبتدئوا بمقرب من ساكن كما لم يبتدئوا بساكن، وإنما تخفف غير المبتدأة بين بين، أي بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها، وبالبدل وبالحذف، وأصلها في التخفيف بين بين، لأن التخفيف الذي يدل على أصلها من الهمزة فكرهوا تخفيفها بالبدل لئلا تدخل في بنات الياء والواو، وإنما بالبدل إذا امتنع تخفيفها بين بين [وساغ البدل لأنها لا يوجد ما يقرب لها منه، كما لا تخفف بالحذف إلا إذا امتنع تخفيفها بين بين وبالبدل].

فالواضح الذي انتهجه القراء في طريقة تخفيفها على القياس، فالهمزة لا تخلوا أن تكون متحركة قبلها متحرك أو متحركة قبلها ساكن أو ساكنة قبلها متحرك.

فالمتحركة ما قبلها متحرك تخفف بين بين أبدا كسألَ بِئْسَ، إلا المفتوحة المضموم ما قبلها أو المكسور ما قبلها، [كَجُؤَنٍ مِئَرٍ] فإنها بالبذل في الساكنة، كما رجعوا إليه في المتحركة المفتوحة التي قبلها ضمة أو كسرة، وإذا كان قبلها متحرك ساكن فلا يخلوا الساكن أن يكون حرفا صحيحا أو حرف علة، فإن كان صحيحا

تخفف الهمزة بأن تحذف وتنقل حركتها إلى الساكن [نحو: الجزء، الخبء والمرأة والنشأة] تقول في التخفيف (الجُزْ، والخب، والمرة والنشة)[1].

4- أصول الهمزة في القراءات السبع:

إن قراءة حمزة في مثل "الموؤودة"[2] يقرأها المودة بوزن الموزة، وهو قول القراء، وما ذهب إليه ابن مجاهد على حذف الهمزة اعتباطا، كما قالوا وكما قرأ الزهري فلا أثم عليه"[3] فإذا التقى الساكنان حذف الثاني مثل "المودة" كما قرأ حمزة "رؤوسكم"[4] بوزن (فعلكم) وهذا اختيار ابن مجاهد في قراءة حمزة.

وأما قول أبي طاهر فهو على ما يقوله الكوفيون من إجراء الواو والياء مجري الألف في التخفيف بين بين، إلا أنه بعيد، إذ الواو لا تشبه الألف لأن حركة ما قبلها ليست منها.

وما ذكرناه في الموؤودة وجهان قد تقدما له أيضا، والإبدال والإدغام، تتمثل في ما يأتي:

ففي قوله تعالى "هزوًا" قال الأهوازي إنَّ حمزة قد وقف على "هزوًا" و"كفوًا" ما بإسكان الزّاء والفاء بواو بعدهما من غير همزة يقول "هزوا" "كفوا" وقال خلاد عن سليم عنه بالإشارة إلى الهمزة فيهما بعد إسكان الفاء والزاي في الوقف، وقف حمزة أيضا علهما برفع الزاي والفاء، وبواو بعدهما بدون همز، وقف عليهما بدون واو بفتح الفاء والزاي (كفا) و(هزا) بألف بعدهما من غير همز.

---

[1]- ينظر غاية النهاية، ج2، ص 113 وتاريخ بغداد، ج2، ص 162.

[2]- سورة التكوير، الآية [08].

[3]- سورة البقرة، الآية [203].

[4]- سورة البقرة، الآية [196].

وهذا الذي جاء به حمزة ما كان قريبا من الهمزة لأن الحركات أصلها من الهمزة وسنفرد له فصلا كاملا تعد هذه الأصول التي تتحدث عنها[1].

أما الوجه الأول قد أخذ به معظم القراء، وإن كان خارجا عن القياس، لم فيه لموافقة الخط، ووجهه عندهم أنه سكّن الفاء والزاي على وجه التخفيف من المثقل الذي هو (هزؤا) و(كفؤا) كقراءة سائر القراء.

وأما ما جاء به سيبويه حكاية عن أحمد بن خلف الأنصاري قال: "إنما حذفت الهمزة هنا لأنك لم ترد أن تتم وأردت الأ ترى أن الهمزة إذا كانت مبتدأة محققة في كل لغة فلا تبتدئ بحرف قد أوهنته، لأنه بمنزلة الساكن، كما لا يبتدأ ساكن[2]، وذكر الأهوازي في (جزء)[3] الوقف بإسكان الزاي وبواو بعدها من غيرهم كالوجه الأول في (هزوا) و(كفوا) وهذا في (جزء) غلط، لأنه يخالف الخط والقباس جميعا، ولم يأت المشهور، والشاّذ وقد ذكر القراء في سورة الكهف كلمة "موئلا" على خمسة أوجه هي كالآتي:

أ. "مويلا" وذلك بالإبذال والإدغام".

ب."مويلا" بالنقل والحذف على موجب القياس.

ت."مَوْيلاً" بإبدال الهمزة ياء قال عنه سيبويه أنهم حذفوا الهمزة على تقدير أن حركة الهمزة حركة لما قبلها، وسكون ما قبلها سكون لها، فكأنه إذا قيل: "مَوْلاً" كأنه قال: "موئِلاً" ومن أحذ بهذا الوجه وقف على "النشأة" وشطأة" و"المرأة" وهو حسن كما ذكره القراء.

---

[1]- ينظر الاقناع في القراءات السبع.

[2]- الاقناع، ص 275.

[3]- سورة البقرة، [260].

الوجه الرابع "مَوْئِلاً بين بين" فالقول فيه كالموؤودة كما ذكره أبو العباس بن واصل عن خلف.

والخامس: رأى الأهوازي أنه يجوز كسر الياء فيه "مويلا" من غيرهم.

ومما سبق يمكن أن يكون ما حكاه سيبويه أن من العرب من يبدل الهمزة واوا في الرفع، لأن ذلك أبين من الهمزة فيقول الكلو، وياء في الجر وألفا في النصب فيقول من الكلي ورعيت الكلا، وهذا وقف الذين يحققون الهمزة.

والواقع أن الهمزة في الدراسات العربية القديمة استرعت اهتمام الدارسين، لأن القبائل العربية تختلف في لهجاتهم، وكل ينطقها على سليقته التي أوتي، ولذا كل قرأها في القرآن كما قال الرسول ﷺ أنزل هذا القرآن على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه"[1].

وأما ما ذكروه مما جرى من شذوذ فإنه لا يخرج عن ثلاثة أوجه:

- الأول: حذف الهمزة استثقالا لها كما جاء مرويا عن ان كثير في قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾[2]

- الثاني: التحويل وهو قلب الهمزة حرف علة وتخفيفها بالبدل أبدا.

- الثالث: ما ذهب إليه الكوفيون من تخفيف المتحركة التي قبلها واو أو ياء للمد بين بين كالألف، وهذه هي الأصول الثلاثة، ومن عرفها لن يَحيدَ عن أحكامها إن شاء الله.

---

[1]- فضائل القرآن، 1227.

[2]- سورة المدثر، الآية [35].

وهذه الوجوه الثلاثة هي أصول من القراءات السَّبع فمن حفظها كان آمنا من الزلل بعيدا عن الخطأ، ولم يخف عليه من أحكام الهمز شيء.

إن الصوت في القرآن الكريم يدل دلالة واضحة على تحفير الهمم، وتبليغ السامعين وشد انتباه السامعين بالأصوات وأثرها في نفوس الناس، فقد كان للصوت اللغوي أثر إذ هو المحرك، وبذلك نجد عند الدارسين القدامى مثل الرماني يتحدث عن التلاؤم الصوتي الذي يعني به تعديل الحروف في التأليف؛ إذ تأليف الكلام على ثلاثة أوجه: متنافر متلائم في الطبقة الوسطى ومتلائم في الطبعقة العليا[1] ثم يعود الرماني إلى تجانس الأصوات ولما كانت أصوات القرآن متجانسة تماما، فإن القرآن كله متلائم في الطبقة العليا، وذلك بين لمن تأمله، والفرق بين القرآن وبين غيره في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى، وبعض الناس أشد إحساسا بذلك وفطنة له من بعض[2] فالرماني نراه يبحث في أصوات القرآن من وجوه ونلاحظ ذلك في ثلاثة أنواع هي كالآتي:

- فالنوع الاول هو التلاؤم ويعود به إلى تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤما.
- والنوع الثاني الفائدة من التلاؤم المؤدي إلى حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة.

أما الثالث فيعود إلى مخارج الحروف في اختلافها فمنها ما هو أقصى الحلق، ومنها ما هو أدنى الفم، ومنها ما هو في الوسط بين ذلك. "والتلاؤم" في التعديل من

1- كتاب الرماني النكت في إعجاز القرآن، ص 94.

2- المصدر السابق، ص 95.

غير بعد شديد أوقرب شديد. وذلك يظهر بسهولة على اللسان، وحسنه في الأسماع، وتقبله في الطباع، فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات؛ ظهر الإعجاز للجيد الطباع البصير بجواهر الكلام"[1].

وأما القراءات فقد انتهى كثير منها بإعطاء مصطلحات صوتية اقترنت بالنحو تارة وباللغة تارة أخرى، الإخفاء، الإظهار، الإشمام، الإمالة، الإشباع، المدّ، التفخيم، الترقيق، مما اصطنعه علماء الأداء الصوتي للقرآن كما سيأتي بحثه.

الحق أن الصوت اللغوي في القرآن قد بحث متناثرا في كتب عدة دون أفراده ببحث مستقل، تتابع عليها جملة من الأعلام المبرزين الذين إستمعت جهودهم بالموضوعية والتجرد، وإظهار الحقيقة منهم (عيسى بن علي الرماني 386) وأبو بكر الباقلاني (ت430) وأبو عمرو الداني (444هـ) ومحمد بن الحسن الطوسي (460هـ) وحار الله الزمخشري (538هـ) وأبو علي الطبرسي ت (548هـ) وعبد الله بن محمد النكزاوي (683هـ) وإبراهيم بن عمر الجحيري ت (732 هـ) وبدر الدين الزركشي (ت794هـ) وجلال الدين السيوطي (ت 911 هـ).

وأما الدراسات التي اشتملت على خصائص الأصوات فلقد بحثت على أيدي علماء متمرسين مثل "الشريف (ت 406هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) وابن سنان الخفاجي (ت 466 هـ) وأبي يعقوب السكاكي (626 هـ) وأمثالهم.

وإن دراساتهم ومباحثهم جاءت طبقا لعلم المعاني، وتزاحم الأصوات في قبول ذائقتها النطقية أو السمعية ورفضها، من خلال تنافر الحروف، تلاؤم الأصوات، التعقيد اللفظي، التعقيد المعنوي، فصاحة اللفظ الفرد، مما هو معلوم في مثل هذه الدراسات والمباحث مما يتعلق بالصوت منها، وخَلُصَتْ إلى القول بأن القرآن الكريم

---

[1]- الرماني النكت في إعجاز القرآن، ص 96.

يخلو من التنافر في الكلمات، أو التشادق في الألفاظ، أو العسر في النطق، أو المجانبة للأسماع، وهو الطبقة العليا من الكلام، في تناسقه في تركيبه وتلاؤمه.

أما ما يتعلق بالأصوات من مخارجها في موضوع التنافر فلهم بذلك رأيان:

* الأول: أن التنافر يحصل بين البعد الشديد أو القرب الشديد وقد نسب الرماني هذا الرأي إلى الخليل "وذلك إذا بعد الشديد كان بمنزلة الطفرة، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة المشي المقيد لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانة، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال، ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال"[1].

* الثاني: أن التنافر سماه الغربيون (cacophonie) يحصل في قرب المخارج فقط وهو ما يذهب إليه ابن سنان الخفاجي (ت 466 هـ) بقوله "ولا أرى التنافر في بعد ما بين مخارج الحروف وإنما هو في القرب، ويدل على صحة ذلك الاعتبار، هذه الكلمة "ألم" غير متنافرة، وهي مع ذلك مبنية من حروف متباعدة المخارج، لأن الهمزة من أقصى الحلق من الحنجرة والميم من الشفتين، واللام متوسطة بينهما.

فالقراءات التي اقترنت بالنحو التزمت الحذر، لأن النحو استقاه النحاة من قبائل عربية وكان فيهم من لم يع ما في القرآن العظيم الذي لا عوج فيه، الذي أعجز العربَ البُلَغَاء وأبكم به الفصحاء، فنهل كل منه وخضع له جميع من سمعه، ولذا كان بعض القراء النحاة، يعارضون، ولذا قد جعلت مبحثا بين القراءات والقواعد النحوية التي خاص فيها بعض النحاة، مبينا العلاقة التي أدت إلى الخلاف بين القراء وبعض النحاة، وكما هو معلوم أن القراء معظمهم نحاة.

---

[1]- النكت في إعجاز القرآن للرماني، ص 96.

والواضح أن النحاة الذين خالفوا القراء قد جعلوا القياس، والمنطق الصوري، لكن هذان العلمان من البشر فلا يمكن لأحدهما أن يصل ما أنزل على نبينا محمد ﷺ إذ يقول جل شأنه (فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ 23 فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)[1].

فالناس عاجزون أمام هذا البيان الساطع من عند الله، ولذا أردت أن تكون لمسة بين القراءات والنحو وقد درس ذلك علماء كثيرون وهذه نبذة من الدراسات بين القراءات القرآنية والقواعد النحوية.

وأما فيما يخص الأداء الذي جاء به القراء السبعة متواترا عنهم أن القرآن يتلى بأصوات حسنة الأداء وأساليبها أربعة هي كالآتي:

الترتيل: التحقيق الحدر التدوير فالترتيل في اللغة من قولهم فم مرتل، ورتل أي مفلج مستوي النية حسن التنضيد، والرتل حسن تأليفه[2] وفي الاصطلاح معناه: قراءة القرآن بتمهل وتؤدة واطمئنان، ولفهم من غير عجلة، وإعطاء الحروف حقها من المخارج والصفات، وإخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه صفة مستحقة، قال تعالى: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)[3]، وجاء في تفسير الحافظ بن كثير "أي أقرأه على مهل، فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره"[4]، وقال تعالى: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً)[5]قال ابن كثير في تفسير هذه الآية أي لتبلغه للناس تقرأه عليهم على مهل[6].

1- سورة البقرة، الآية [28].

2- ينظر القاموس مادة رتل.

3- سورة المزمل، الآية [04].

4- تفسير ابن كثير، ج4، ص 68.

5- سورة الإسراء، الآية [106].

6- تفسير ابن كثير، ج3، ص 68.

وجاء في الخبر أن الإمام علي كرم الله وجهه قال: "الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف"[1].

والترتيل هو أفضل مراتب التلاوة لأنه به نزل القرآن الكريم لقوله تعالى: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)[2].

والتحقيق: مأخوذ من حقق الشيء تحقيقا، إذا بلغ يقينه وبلغ في الإتيان على حقه من غير زيادة فيه ولا نقصان منه.

وفي اصطلاح القراء: إعطاء كل حرف حقه من إشباع المدّ، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار، والتشديدات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف بيانها وإخراج بعضها من بعض بالسكت، والترسل والسير والتمهل، وملاحظة الجائز من الوقوف، ولا يكون معه غالبا قصر ولا اختلاس، ولا إسكان محرك ولا إدغامه، والتحقيق مأخوذ به في مجال التعلم، لأنه يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ وإقامة القراءة بغاية الترتيل، إلا أنه يجب أن لا يتجاوز فيه إلى حد الإفراط من تحريك السواكن، وتوليد الحروف من الحركات وتكرير الراءات وتطنين المنونات بالمبالغة في الغنة.

وروي عن حمزة أحد القراء السبعة، إنه سمع من يبالغ في ذلك فقال له: أما علمت أن ما كان فوق الجعودة فهو قَطَطْ[3] وما كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة.

---

[1]- النشر للحافظ بن الجوزي، ج1، ص 209.

[2]- سورة المزمل، الآية [04].

[3]- ينظر النشر في القراءة لابن جوزي.

أما الحدر لغة جاء في أساس البلاغة في مادة [ح د ر] حدرته من علو إلى أسفل فآنحدر، ونظرته إليه وإن دموعه تتحادر على لحيته وهبطنا في حدور صعبة وحدروا السفينة من أعلى واد أو نهر إلى أسفله وحدروا الحجر من الجبل دحرجه وكأنه الحيدرة أي الأسد، وفيه أقوال من المجاز.

أما اصطلاحا هو عبارة عن إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمز... ونحو ذلك مما صحت به الرواية والقراءة، وإيثار الوصل وإقامة الإعراب، ومراعاة تقويم اللفظ وتمكين الحروف، مع مراعاة أحكام التجويد، وإعطاء كل حرف حقه ومستحقه، والحدر ضدّ التحقيق ويجب أن يحذر في الحدر من يتر حروف المدّ وذهاب صوت الغنة واختلاس أكثر الحركات، وعن التلاوة إلى رعاية لا تصح بها القراءة، ولا توصف بها التلاوة[1].

والواضح أن التحقيق الذي خالف الحذر في الهدف الذي من أجله وضع إلا وهو التعليم، وذلك للتمرس والتمرن، كما أنه رياضة للألسن وإقامة القراءة حتى يجيد القارئ الترتيل فيصل إلى الترتيل بمعرفته كل من القواعد التي تدرب الطالب المبتدئ.

والتحقيق هو مذهب كل من حمزة، وورش من غير طريق إلا صبهاني، وقتيبة عن الكسائي، والأعشى عن أبي بكر، وبعض طرق الأشناني عن حفص، وبعض المصرين عن الحلواني عن هشام، وأكثر العراقيين عن الأخفش عن ابن دكران.

---

[1]- ينظر كتاب التبيين.

والحذر هو مذهب ابن كثير أبو جعفر وسائر من قصر المنفصل كأبي عمرو ويعقوب وقالون والأصبهاني عن ورش، وغيرهم من العراقيين[1].

وأما التدوير قد ورد عن أكثر الأئمة ممن روى مد المنفصل ومن يبلغ فيه الإشباع وهو مذهب سائر القراء وضح عن جميع الأئمة وعند أكثر أهل الأداء.

ومن الثابت في علم القراءات عند أصحاب الأداء ابتدع بعض القارئين لكتاب الله عز وجل في القراءة أمور كثيرة لا تخل ولا تجوز، إذ أنها تخرج عن المتفق عليه إما بنقص أو بزيادة ومن هذه القراءات المبتدعة.

1. التطريب:

وهو أن يتبع القارئ صوته فيخل بأحكام التجويد، وأصوله وهو حرام أما إذا قرأ القارئ بالمقامات والطبوع الفنية وكان أداؤها مطابقا لأحكام التجويد وأصوله ولم يخل بها فهو جائز[2].

2. والترجيع وهو تموج الصوت أثناء القراءة وخاصة في المدود، وقيل هو رفع الصَّوت ثم خفضه ، وأعاد، الخفض في المد الواحد مرات.

3. الترقيص: هو أن يزيد القارئ حركات بحيث يصير كالراقصِ بتكسر، وقيل هو أن يُرَوم السَّكْت على الساكن ثم يفقر عنه مع الحركة في عدد وهرولة.

4. والتحزين هو أن يترك القارئ طبعه ويحادثه في التلاوة ويأتي بها على وجه آخر كأنه حزين يكاد يبكي من خشوع في خضوع بقصد الرياء والسمعة. أما

---

[1]- ينظر للتبيين.

[2]- نفس المرجع.

إذا أتى القارئ بالتلاوة بنغمة حزينة كنغمة الصبا من الطبوع الفنية في خشوع وتدبر ومحافظة على أحكام التجويد وأصوله، فهو محمود.

5. وهناك ما يسمى بالترعيد يأتي القارئ بصوت كأنه يرعد من شدة برد أو ألم أصابه.

6. التحريف: هو أن يجتمع أكثر من قارئ ويقرأون بصوت واحد، فيقطعون القراءة ويأتي بعضهم بعضا الكلمة والآخر ببعضها الآخر ليحافظوا على مراعاة الأصوات، ولار ينظرون إلى ما يترتب عن هذا من إخلال بالثواب فضلا عن الإخلال ببعضهم كلام الله عزّ وجلّ[1].

وذلك إذا كان يخل بأحكام التجويد التي تعتبر قواعد التجويد والقراءات القرآنية المتواترة.

ومن المعتمد من أقوال العلماء في عدد مخارج للأصوات هي سبعة عشرة مخرجا تفصيليا تجمع في خمسة مخارج رئيسية وتسمى مواضع وهي:

1. الجوف: وفيه مخرج واحد.

2. الحلق: وفيه ثلاثة مخارج.

3. اللسان: عشرة مخارج.

4. الشفتان: وفيه مخرجان.

5. الخيشوم: وهو أقصى الأنف وفيه مخرج واحد.

الجوف وفيه مخرج واحد

---

[1]- التبيين في أحكام التلاوة الكتاب المبين، ص 142.

كما نظم الإمام ابن الجزري رحمه الله في مخارج الحروف وعددها في رجز فقال: نظم القراءات لابن الجزري.

كما نجد كتاب المحتسب الذي درس فيه ابن جني القراءات الشاذة وتصويبها.

وأما الصوت الحنجري الثاني المتمثل في الهاء فله أحكام مختصة وهو ستة:

أولها: هاء صلبة نحو الله، وإله، ونفقه، وفواكه، ووجوهمكم وبرهان، وهذا لا خلاف فيه بين القراء فصوت الهاء ههنا مرفقة مثل قوله تعالى: (هَدَاهُمُ اللَّهُ)[1] و(يَهْدِي اللَّهُ)[2] و(هَدَى اللَّهُ)[3] أو عينا نحو "يَرْهَبُونَ، وتُرْهَبُونَ" و"من اللهو ومن التجارة" أما إذا كانت في ضمير كَهي وهو فقد قرأها قالون والكسائي بالإسكان مثل قوله تعالى: (أَن يُمِلَّ هُوَ) أم الباقون ربتحريكها، وهذا الأشهر والارجح.

ثانيها: هاء التأنيث نحو رحمة ونعمت، وكلمت بك ولعنة الله وسنة الأولين وهي في الوصل تاء وإنما تقلب هاء في الوقف لتغير الوقف فهي في الفصل على حال واحد.

وقد جاءت في المصحف كتبها في مواضع بالتاء على هذه اللغة، وبين القراء اختلاف في الوقف على هاء التأنيث، هذا في موضع الوقف.

ثالثها: الهاء المبدلة في "هذه" هي بدل من الياء في "هذي" كما ابدلت من الهمزة في (هراق) وهذا عند العرب كثير، وليست للتأنيث لأن الهاء لم يؤنث بها شيء في موضع من كلام، والياء ما يؤنث به وكذلك الكسرة نحو أنت، وإنك.

1- سورة الزمر، الآية [18].

2- سورة آل عمران، الآية [86].

3- سورة الجمعة، الآية [11]

5- صوت الهاء الشبيه بأصوات اللين:

تميزت الهاء بصفات خاصة جعلت منها صوت الهاء الذي يتصف بصفات الصوامت إلى جانب اتصافه بصفات تنطق على الصوائت، ولابد في هذا الموضع من الحديث عن نوعين من الأصوات: الأصوات الصائتة، والأصوات الصامتة، فأما لأصوات الصائتة Vowels "فهي التي تصدر دون إعاقة لتيار النفس[1]. إنها الأصوات التي ليس لها مكان محدد، كما لا يحدث معها إغلاق أو تضييق لمجرى تيار الهواء"[2]. ويوضح محمود السعران الصوت الصائت فيقول: "إنه الصوت المجهور الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء ففي مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الـــأنف معهما أحيانا دون أن يكون ثمة عائق (يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما) أو تضييق لمجرى من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا، أما الصوت الصامت فهو الصوت الذي له نقطة نطق وله ناطق وأي صوت لا يصدق عليه هذا التعريف يعد صوتا صامتا، أي أن الصامت هو المجهور أو المهموس الذي يحدث في نطقه أن يعترض مجرى الهواء اعتراضا كاملا أو اعتراضا جزئيا[3]. فالصوت الصامت Consonant إذا هو الصوت الذي له نقطة محددة، وله ناطق محدد، كما يحدث لتيار النفس عند نطقه نوع من الإعاقة أو الإعاقة ثم الانطلاق.

وُضِعَ صوت الهاء تحت الصوائت أو الصوامت لما أمكننا لأننا لا نستطيع أن نقول أنه من الصوائت في جميع حالات نطقه أو أنه من الصوامت مطلقا، لأنه يجمع بين صفات الصوائت وصفات الصوامت حسب طريقة نطقه والظروف التي ينطق بها، فقد يحدث عند نطقه أن يبقى الوتران الصوتيان ساكنين دون تحرك، وقد

---

[1]- مجلة عالم الإعاقة مقدمة في اللغة والمخاطب، ديسمبر 2005، دمشق، ص 28.

[2]- ينظر كتاب حدوث الحروف لابن سينا، ص 1.

[3]- مجلة عالم الإعاقة مقدمة في اللغة والتخاطب، ديسمبر 2005، ص 28، دمشق.

يصاحب هذا الوضع نوع من الحفيف يسمع في أقصى الحلق، وتتخذ أعضاء النطق في هذه وضعا يشبه الذي يكون مع أصوات اللين، لأنه (صوت النفس الخالص الذي لا يلقى اعتراضا في الفم، وللسان أن يتخذ في نطق الهاء أي موضع من المواضع التي يتخذها في نطق "الصوائت"، ومن ثم فمن المستطاع نطق أنواع من الهاء قدر ما يستطيع نطقه من أنواع "الصوائت". ولذلك أمكن اعتبار أصوات الهاء "صوائت مهموسة"، أي صوائت يصحبها همس لا جهر. إنه صوت غير لساني، أي أنه صوت لا يشترك اللسان في نطقه ناطقا متحركا، فعلى هذا نجد أن صوت الهاء ليس له موضع نطق محدد كالأصوات الصامتة، بل يمكننا نطق هذا الصوت والإطاعة في نطقه لأنه ليس إلا نفسا خارجا من الرئتين. كما قال الخليل في قول الشاعر: (لم أجد قائله)

يُدَهْدِهْنَ الرُّؤُوسَ كَمَا تُدَهْدِي * حَزَاوِرَةٌ بِأَيْدِيهَا الكُرِينَاج

قال "حول الهاء الآخرة ياء، لأن الياء أقرب الحروف شبها بالهاء، ألا ترى أن الياء مدّ والهاء نفس[1]. وقد أشار سيبويه إلى هذا بقوله: (كما أن دهديت هي فيما زعم الخليل "دهدهت بمنزلة "دحرجت"، ولكنه أبدل الياء من اهاء لشبهها بها، وأنها في الخفاء والخفة نحوها)[2]. ويؤكد الخليل أن الهاء نفس فيقول: "الهمز صوت مهتوت في أقصى الحلق فإذا رفة عن الهمز صار نفسا تحول إلى مخرج الهاء" وقد وافقه ابن جني على هذا وأن الهاء ضعيفة خفية فقال "ومن الحروف المهتوت وهو الهاء، لما فيه من الضعف والخفاء ويستمر الخليل في تأكيد صفة الضعف لصوت

---

[1]– ينظر الكتاب لسيبويه، ج3، ص 122، تحقيق عبد السلام هرون.

[2]– ينظر سر صناعة الأعراب حرف الهاء بتصرف.

الهاء فيقول "ولم يكن في الحروف أهش من الهاء لأن الهاء نفس" والهش: كل شيء فيه رخاوة[1].

الهاء صوت صامت:

ومن هنا عُدَّ صوت الهاء ضمن الأصوات الصائتة، وإذا اتبعنا نطق هذا الصوت في جميع حالاته وجدنا أنه لم يستقر على صفات الصوائت فقط، بل اتصف كذلك بصفات خاصة بالأصوات الصامتة، إنه في بعض حالات نطقه يحدث تضييق لمجرى ينتج تذبذب الوترين الصوتيين الذي يؤدي إلى حدوث احتكاك Friction مسموع وهذه صفة من صفات الصوامت، فالهاء في هذه الحالة صوت صحيح لكنه "ألين الحروف الصحاح" وعند النطق بأصوات اللين يندفع الهواء من الرئتين إلى الفم دون أن يعترضه أي اعتراض قد يضيق مجراه فهو أكثر لينا من الأصوات الرَّخوة التي يضيق مجرى الهواء عند نطقها.

إن عدم ثبوت هذا الصوت على صورة واحدة، وعدم اعتماده موضع نطق محدد، وعدم ثبات الوترين الصوتيين من حيث التذبذب وعدمه عند نطقه أدى إلى اتصاف هذا الصوت بصفات متباينة، أدى إلى ظهور صور متعددة منه وأنواع مختلفة له، شكلت مجمتعة ظاهرة صوتية معينة جديرة بالدراسة والتحليل.

وقد تباين آراء العلماء وحديثا حول صوت الهاء من حيث موضع نطقه ومخرجه مما ترتب عليه اختلاف صفات هذا الصوت وخصائصه، فقد ذهب العلماء في العصر الحديث إلى اعتبار الهاء "صوت صامت مهموس حنجري احتكاكي". وقد بينا من قبل كيف اعتبر صوت الهاء من الصوامت ذلك لأنه في حال نطقه يعترض مجرى الهواء في الفم. وهو صوت مهموس لأنه حال نطقه فتحة المزمار في حالة

---

[1] – كتاب الأصول لتمام حسان، بتصرف.

انفتاح يترتب عليه عدم تلاقي الوترين الصوتيين أو اهتزيزهما. فالنفس يجري بسرعة ودون أية إعاقة عند نطق الصوت مهموس الذي هو "حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعتبر ذلك بأنه قد يمكنك تكرير الحرف مع جري الصوت نحو: سَسَسَس، كَكَكَك، هَهَهَه، ولو تكلفت مثل ذلك في المجهور لما أمكنك، لأن المجهور حرف أشيع الاعتماد من موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد الصوت". والمقصود هنا الضغط أي الوضوح والقوة Sonority. فالأصوات المهموسة هي التي تتردد في اللسان بنفسها أو بحرف اللين الذي معها، ولا يمتنع الصوت الذي يخرج معها وليس من الصدر. من هذا النص ندرك أن صوت الهاءِ يمتاز عن غيره من أصوات العربية في أنه ليس له موضع نطق واضح محدد، فقد يكون مهموسا في موضع معين، وربما تحول إلى صوت مجهور في موضع آخر، وبرصد هذا الصوت تبين أنه يتردد بين الهمس والجهر وهي صفة لا يشاركه فيها غيره من أصوات العربية، وهذه الذبذبة ربما كانت السبب في عدم اتفاق علماء الأصوات –قدماء ومحدثين– ومقدرتهم على تحديد موضع معين لنطق هذا الصوت. وقد أوضح الخليل معنى الهمس فقال: "الهمس حسّ الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر، ولا جهارة في المنطق ولكنه مهموس في الفم كالسر" فالهمس كما فهمه الخليل إخفاء الصوت وعدم ظهوره أثناء مروره بالفم، وسلامته من أي إشباع أو ضغط مما يجعله ضعيفا غير ظاهر، أي أن الهواء المكوِن للصوت المهموس يخرج دون أي احتكاك قد ينتج عنه ذبذبة للأوتار الصوتية[1].

[1]- المرجع السابق.

والصفة الثانية من صفات الهاء، أنه صوت حنجري Laryngeal أي أنه صوت مكان نطقه الحنجرة. وقد ذهب الخليل إلى مخرج الهاء من الحلق وليس من الحنجرة فقال: "وأما مخرج العين والحاء والهاء والخاء والغين فالحلق" ولم يحدد الجزء من الحلق الذي يخرج منه هذا الصوت، وهو ما فعله كارل بروكلمان في العصر الحديث الذي اكتفى بالقول أن صوت الهاء من الأصوات الحلقية. أما سيبويه فذهب إلى أنه من أقصى الحلق فقال: "والحروف العربية ستة عشر مخرجا، فللحلق منها ثلاثة: فأقصاها مخرجا الهمزة والهاء والألف" وقد وافقه على هذا الرأي في العصر الحديث جان كانتينو الذي أكد أن "أقصى حلقية Pharyngeals" التي تقرع في أقصى الحلق، أو بالأحرى في رأس قصبة الرئة وهو قادر على الانفتاح أو الانغلاق، نحو الهمزة والهاء". أما ابن يعيش فقد اعتبر أن مخرج الهاء هو أول الحلق وليس أقصاه كما ذهب سيبويه وغيره فقال: "الحاء من وسط الحلق والهاء من أوله وليس بينهما إلا العين".

نرى أن القدماء اعتبروا مخرج الهاء من الحلق، ولم يشيروا أية إشارة إلى الحنجرة في هذا المقام، وهذا يخالف كثيرا من علماء الحديث الذين يذهبون إلى أن مخرج الهاء هو الحنجرة.

وربما كان السبب في هذا القدماء لم يستطيعوا أن يحددوا الحلق –وهو الجزء الواقع بين الحنجرة والفم– تحديدا دقيقا فاتسع هذا الجزء ليشمل الحنجرة. وهم معذورون في هذا باعتمادهم في دراستهم على الملاحظة الذاتية، ولم يتوفر لديهم ما توفر لعلماء العصر من معدات وأجهزة على تحديد كل جزء من أجزاء الجهاز النطقي، ويبرر كمال بشر هذا القصور من القدماء بأنه إما أن يكون راجعا لعدم استطاعتهم التفريق بين مخارج الأصوات، وإمّا لأنهم اعتبروا الحنجرة ضمن الحلق.

ومهما يكن من أمر فإن عددا من العلماء في العصر الحديث -بما يملكون من وسائل وأجهزة عملية متطورة- قد خفي عليهم ما خفي على قدمائنا، وعدوا مخرج الهاء من الحلق كما فعل القدماء.

والصفةالأخرى من صفات هذا الصوت أنه صوت احتكاكي Fricative وهو الصوت الذي يحدث في نطقه اعتراض لمجرى الهواء يؤدي إلى تضييقه دون أن ينحبس ذلك الهواء حبسا محكما، ويحدث مع هذه الحالة نوع من الحفيف أو الصفير ناتج عن احتكاك تيار الهواء بجدران الممرات الصوتية، وهذا الصوت هو ما عرف عند القدماء بالصوت الرخو، وقد وضح ابن جني معنى الرخو فقال: "والصوت الرخو هو الذي يجري فيه الصوت، ألا ترى أن تقول: المس والرش والشح ونحو ذلك فتمد الصوت جاريا مع السين والشين والحاء. إنه الصوت الذي يجري النفس فيه من غير تردد وهو صوت من الصدر. وبعده ابن جني من الأصوات المنخفضة في مقابل الأصوات المستعلية، والاستعلاء هو ارتفاع اللسان إلى الحنك. إضافة إلى ذلك فقد ذكر كانتينو أن بعض المؤلفين المتأخرين في الزمن يضيقون الهاء والعين إلى الحروف المستعلية. وما ذكره كانتينو هنا يغاير الحقيقة ويخالف طبيعة نطق الهاء، إذ نطق الهاء يتم واللسان في قاع الفم ولا يرتفع على الحنك بشكل من الأشكال، كما أن كانتينو نفسه ذكر أن "الهاء من الأصوات الهاوية Aspirees وهي الأصوات التي الانفتاح فيها أكبر ما يكون، أي التي ينفتح فيها جهاز التصويت انفتاحا عاديا فيجري النفس جاريا" وهذا يعني أن اللسان حال نطق هذا الصوت لا يتحرك ولا يشترك في نطقه لأن الهاء "صوت غير لساني أي أنه صوت لا يشترك اللسان في نطقه بصفته ناطقا متحركا". وقد اعتبره محمد الخولي صوتا موشوشا والصوت الموشوش whipered voice هو الصوت الناتج عن تضييق لفتحة المزمار

وتقارب للوترين الصوتيين، ويصاحب ذلك اندفاع كبير للهواء الخارج من الرئتين، كل ذلك يؤدي إلى ذبذبة للوترين الصوتيين يصاحبها حفيف مسموع وفي أثناء هذه العملية النطقية "تصبح الأصوات المجهورة موشوشة أما المهموسة فتبقى كما هي"، وهذا ما جعل بعض العلماء في العصر الحديث يعدون صوت الهاء ضمن الأصوات المجهورة. وتحوله أحيانا إلى صوت مجهور عند استعماله كما يذكر تمام حسان يدخل في نطاق علم الأصوات السلوكي[1].

هكذا نرى أن صوت الهاء لضعفه وخفته وسهولة نطقه ظهرت له عدة صفات نطقية خفيت على عدد من العلماء في القديم والحديث وأوقعتهم في حيرة من أمر هذا الصوت، ولم يتمكنوا من تحديد مواضع نطقه بدقة تامة، ترتب على ذلك تباين آرائهم وتعارضها بالنسبة لهذا الصوت.

وقد ظهرت الهاء بصفات متباينة وفي مواقع مختلفة، أطلق على كل وضع منها اسما خاصا وهذه الصفات والأسماء هي:

هاء الوقف أو السكت أو الاستراحة:

وهي الهاء التي تلحق أواخر بعض الكلمات عند الوقف عليها، وعزا العلماء ظهور هذه الهاء في نهاية تلك الكلمات لغرض تبين وإظهار صوت المدّ الذي في نهاية الكلمة. ويمكن تعليل ظهور هذه الهاء بأنها امتداد للصوت الخارج من الرئتين، الذي يكون الإنسان قد حشده للنطق، وبعد انتهاء النطق المطلوب يزفر الناطق ما تبقي من ذلك الهواء الذي احتشد في الفم فيسمع صوت الهاء الذي هو نفس.

[1]- ينظر الأصوات اللغوية لكمال بشر.

وقد تحدث سيبويه عن الوقف بهاء السكت في مواضع كثيرة نوجزها فيما يلي:

1. في الفعل الأمر الذي بقي على حرف واحد فلا يستطاع أن يتكلم به في الوقف وذلك قولك: عِهْ وشِهْ، وكذلك جميع ما كان من باب وعي يعي، فإذا وصلت قلت: عِ حديثا، وشِ ثوبا[1].
2. آخر الفعل المعتل في حال الجزم نحو: ارْمِهْ، ولم يَغْزُهْ.
3. في المضارع الذي بقي على حرف واحد، نحو: لاَتقِهْ من وَقَيْتُ، وإن تعِ أعِهْ، ومن وَعَيْتَ.
4. نون الاثنين والجمع، مثل: هما ضاربانه، وهم مسلمونه، وهُنَّهْ، وضَرَبْتُنَّهْ.
5. في بعض الظروف مثل: أين وثم، يقال: أينه، وثمه.

قراءة القرآن بالترجيع والتغني به، من الفطر التي فطر الله عليها قلوب عباده على الاستماع إلى الصوت الحسن ونفورها من الصوت القبيح، ولا غرو أن الصوت له تأثير بليغ في أذن السامع إقبالا وإدبارا، واقع الناس أكبر دليل على هذه الحقيقة[2] فنحن مثلا عندما نسمع صوتا نَدِيًّا ينادي للصلاة تستحسن وتستسيغ سماعه ونرجو أن يطيل. ومن هذا القبيل أمر رسول الله ﷺ عبد الله بن زيد أن يطلب من بلال رضي الله عنه أن يؤذن، قائلا له: إنه أندى صوتا منك" رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة.

---

[1]- ينظر الصوتيات اللغوية للدكتور سمير استيتية.

[2]- ينظر شبكة العزة الإسلامية من مقال نشر، سنة 2001.

والواضح أن أهمية جمالية الصوت وحسنه يؤدي بالناس إلى الإصغاء إلى سماع كل ما يدخل السرور أو الخشوع إلى قلوبهم وفي هذا الصدد قال عزّ من قائل: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ)[1]، فكانت العرب إذا ركبت الإبل تغني بالحداء، وهكذا كانت في كثير من أحوالها وكما نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ فحبّبت إليه سماع الذكر الحكيم مكان التغني الذي كانوا عليه فدعا الرسول الكريم ﷺ إلى التغني بالفرقان فقال: "ما أذن الله لشيء ما أذِن لنبيّ بتغنى بالقرآن"[2] وثبت في السنة أنه ﷺ كان أحسن الناس صوتا بقراءة القرآن، فق روي البخاري من حديث البراء رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقرأ: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) في العشاء وما سمعت أحدا أحسن صوتا منه أو قراءة وجاء في حديث المَغْفَل المزني أنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ يوم الفتح على ناقة له يقرأ سورة الفتح قال فرجع فيها)[3].

والترجيع في القرآن كما قال العلماء ترديد الصوت في الجهر بالقول مكررا بعد خَفَائِه قال شراح الحديث في معناه على أنه يجوز قراءة القرآن بالترجيع والألحان الملذذة للقلوب بحسن الصوت، لأن القراءة بالترجيع بجمع قلوب الناس إلى الإصغاء وتسليمها بذلك. وهذا كان طبع العرب من قبل في الشعر؛ بأن يقرأوه على الألحان والتطريب والإيقاع ليؤثروا في نفوس السامعين لينفع منهم موقفا حسنا، إذ الفائدة المرجوة من القرآن هي التأثير والتفاعل بين السامع والقارئ، لأن السامع يستلذ فيخشع، ويتأثر بما سمع فينقاد إلى أحكام هذا القرآن وكل حسب طاقته واستيعابه لآيات الذكر الحكيم، أما القارئ فيشعر أنه أثر بصوته فينعكس ذلك عليه بالطمأنينة وكأنه يخرج اللالئ من فيه ويتحسس مخارج الأصوات بنبرات متفاوتة

[1]- سورة الحديد، الآية [16].

[2]- رواه البخاري في فضائل القرآن، 1775.

[3]- مصدر سابق.

وكان رسول الله ﷺ يجب أن يسمع القرآن من غيره وقد أثنى على صحابته الذين يقرأون القرآن بصوت حسن فعندما مر رسول الله ﷺ بأبي موسى الأشعري وسمعه يقرأ القرآن وكان ذا صوت حسن سرّ بصوته وقال له: "لو رأيتني وأنا لقد أتيت مزمارا من مزامير داود"أسمع قراءتك البارحة لقد أتيت مزمار من مزامير داود" وهو يقصد الصوت الحسن، فقال أبي موسى لو كنت أعلم أنك تسمع لحبّرته لك تحبيرا، أي حسنته وكل ذلك مجمل في أنّ الصوت الحسن يخرج إذا كانت آلة الصوت مؤهلة لذلك سالمة من العيون إلا وهي الحنجرة، وكل صوت سمع كان من الأصوات الجهرية أو الهمس، إلا دخل في دائرة الحنجرة وإلا فإنه لا سمع لأن الهمس يكون كاملا إذا كان بالسكون أما الحركات فهي التي تصيره مجهورا وبالتالي يعود إلى الأصوات المسموعة الحنجرية لأن الفتحة والضمة والكسرة كما سبق وأن ذكرتها.

فالبحث في القراءات صوتيا يؤدي بنا إلى النظر في مباحث السابقين، والدارسين الذين قننوا ذلك في قواعد ذات قيمة، وأول ما نبدأ بما جاء في كتاب إعجاز القرآن للباقلاني (ت403هـ) في طليعة هؤلاء العلماء فقال: "إن الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا، وعدد السور التي ابتدئ فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون[1] سورة وجملة ما ذكر من الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة وهو أربعة عشر حرفا ليدل بالمذكور عليه، والذي تنقسم إليه هذه الحروف أقساما: فمن ذلك قسموها إلى حروف مهموسة وأخرى مجهورة، فالمهموس منها عشرة وهي كالآتي: الحاء، والهاء، والخاء، والكاف،

---

[1]- ينظر كتاب الإعجاز، للباقلاني (ذكر فيها تسعا وعشرين سورة).

والسّين، والثاء، والفاء، والتاء، والصاد، والسّين. لقد جمعها بعض المتأخرين في قولهم "حثّه شخص فسكت".

وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة، وهذا بيّن في السّور المبدوءة بالحروف، وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء لا زيادة ولا نقصان[1] فإن الباقلاني يُعَدُّ حروف المعجم ويقارن ذلك بأعداد حروف السورِ المفتتحة بها، ويصنفها إما أن تكون مجهورة أو مهموسة.

وحين نلتفت إلى أهل اللغة نجدهم يؤيدون الباقلاني بما أورد الشيخ الطوسي (ت460هـ) عنهم فقال: "فقال بعضهم هي حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تمام ثمانية وعشرين حرفا كما يستغني بذكر أ، ب، ت، ث عن ذكر الباقي"[2].

ثم يعرض الباقلاني أن حروف الحلق (العين والحاء والهمزة والهاء والخاء والغين) ونصفها هو (العين والحاء والهاء وكذلك نصف عدة الحروف التي ليست من حروف الحلق مذكور في حملة هذه الحروف الشديدة: (الهمزة والقاف والكاف والجيم والتاء والدال والطاء والباء) ومذكور في جملة هذه الحروف هي كالآتي: الطاء والضاد والظاء[3].

والذي نستشفّه من هذه الدراسة أن فواتح السور القرآنية تشتمل على الحروف الهجائية هي نصف تقسيمات أصناف الحروف؛ أي على أصناف كلّ الأصناف على هذا النحو:

1- نفس المصدر، ص 66.
2- الطوسي التبيان في تفسير القرآن، ج1، ص 48.
3- ينظر لإعجاز القرآن للباقلاني، ص 67-68.

1. نصف الحروف المجهورة.

2. نصف الحروف المهموسة.

3. نصف الحروف الحلق.

4. نصف حروف غير الحلق.

5. نصف الحروف المطبقة.

ومن الواضح أن الباقلاني قد وضع هذا التصنيف على أساس مخارج الصوت اللغوي، ولا يكتفي الباقلاني بهذا النظام الذي جعله منطلقا لبحثه، بل أضاف إليه تصورا صوتيا منظما، إذ جعل بعض الحروف دون سواها للتدقيق على صورة الصوت المتميز في وضع الحروف في مواقعها المناسبة بحسب تسلسها في النطق مترددة بجهاز النطق من مبتدأه إلى منتهاه، ويتبين ذلك في فواتح السور مثل قوله تعالى: (الم) فيعلل الباقلاني أن الألف هي أقصى هذه الحروف صوتا، ثم تأتي اللام متوسطة، والميم متطرفة[1].

ثم يأتي الزركشي (ت794هـ) من هذا المنحى لهذه الأصوات وتوسعه فيه وفي سواه على أساس صوتي مكث كما أفاض جار الله الزمخشري (ت538هـ) في تعقب هذه الوجوه وأفاد مما أبداه الباقلاني وتوسع فيه وفي هذا المجال قال الزمخشري: "اعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عزّ سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء، وهي الألف واللام والميم والصاد والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون

1- المصدر السابق، ص 68-69.

في تسع وعشرين سورة على عدد حروف النعجم، ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف الأجناس"[1].

ومن الملاحظ أن الزمخشري قد حصر حروف المعجم في ثمانية وعشرين حرفا في النص السابق بيد أنه جعل حروف المعجم تسعة وعشرين حرفا، ولذا كثيرا ما يتبادر إلى الذهن أنه يتناقض مع نفسه، وليس الأمر كذلك لأن الألف عندهم يتناول جزئين من الحروف هما رسما (ا) و(ء) أي المَدَّة والهمزة ولهذا قالوا الألف إما ساكنة أو متحركة والألف الساكنة هي المدة والمتحركة هي الهمزة، وثمَّ بدأ التفريق بينهما، فأطلقت (ا) على الألف اللينة و(ء) على الهمزة.

وأما بالنسبة للشرط الثالث، وهو موافقة اللغة العربية ولو بوجه واحد فهو كالآتي، فإنه يتحقق بوجوه عديدة وليس بوجه واحد، فإنه قد قيل في توجيه قراءة الخفض يبتعد عن كونها معطوفة على الضمير المجرور بدون إعادة الجار أقوال منها:

أ. إن الواو في "والأرحام" هي واو القسم والمقسم هو الله تعالى، ومعلوم أن الله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، وذلك كما أقسم الله سبحانه بالضحى والليل والفجر والشمس وغيرها من المخلوقات.

ب. وقيل هو قسم أيضا لكن على تقدير مضاف محذوف أي ورب الأرحام[2].

ت. وقيل هو على تقدير واتقوه في الأرحام أن تقطعوها، ثم قال ابن خالويه: واستدلوا له بأن الحجاج كان إذا قيل له كيف تجدك؟ يقول خير عافاك الله يريد غير، أو أنه على تقدير "واتقوه في الأرحام، ثم قال ابن خالويه: وإذا

---

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 101.

[2]- ينظر الدر المصون للسمين الرحلبي، ج2، ص 287.

كان البصريون لم يسمعوا الخفض في مثل هذا ولا عرفوا إضمار الخفض فقد عرفه غيرهم ومنه قول القائل من [الخفيف]. **أنشده ابن خالويه في الحجة ص 59 ونسبته إلى العجاج.**

رَسْمُ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهِ   كِدْتُ أَقْضِي الحَيَاةَ مِن خَلَلِهِ[1]

وقيل في توجيه الخفض كذلك إبدل (الأرحام) معطوف على الضمير المجرور في قوله (به) وهذا التوجيه الذي عارضه البصريون وعارضوا القراءة وردوها لأجله، لأنها تخالف ما هو مقرر عندهم من عدم جواز.

عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور بدون إعادة حرف الجر، ومن الواضح أن هؤلاء النحاة قد ذهبوا في تعليلاتهم إلى ما توصلوا إليه من نتائج عقلية وتقلبه والرد عليهم بما يأتي:

أولا: إن القرآن الكريم هو الكتاب الخالد الذي أنزله الله عزّ وجلّ لهداية البشرية، وهو بجانب ذلك كتاب معجز في فصاحته وبلاغته وألجم الفصحاء وأقر الكافرون ببراعته والبغاء، فشهد الأعداء ببلاغته وهو من العزيز الواحد الجبار. ومن المعروف أن للقراءة ضوابط[2] نقلا عن ابن الجزري وقد سبق ذكرها وهي موافقة اللغة العربية بوجه واحد، ومرافقة أحد المصاحف العثمانة ولو احتمالا صحة السند، وهذه القراءة التي هي معنا هي قراءة حمزة أحد القراء السبعة، وقرر العلماء أن القراءوت السبعة هي متواترة لاستيفاء شروط التواتر ومن هنا تلفتها الأمة بالقبول وبذلك تحقق شرط السند بالتواتر الذي يكفي وحده في القطع يقرآنيتها، وفي هذا الصدد يقول القرطبي في رده على من وردوا قراءة حمزة "مثل هذا الكلام محذور

---

[1]– ينظر الدر المصون للسمين الحلبي، ج2، ص 287.

[2]– النشر في القراءات العشر للإمام الحافظ أبي الخير محمد بن الدمشقي الشهير بابن الجزري ت(833هـ). قدم له علي محمد الضباع مطبعة الديار المصرية2002.، ص 15، ط3،

عنه أئمة الدين، لأن القراءات التي قرأيها أئمة القراء ثبتت عن النبي ﷺ تواترا يعرفه أهل الصنعة وإذا ثبت شيء عن النبي ﷺ فمن ذلك فقد ردّ على النبي ﷺ ولا شكّ في فصاحته[1].

وأما بالنسبة لشرط الموافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا فهو متوفر أيضا لأن رسم القراءة بحركة الإعراب نصبا أو خفضا لم يغيّر رسمها، ولا من هيئتها شيئا مع التذكير أن المصاحف العثمانية كانت خالية من النقط والشكل.

وحجتهم في ذلك أن الضمير في الكلمة جزء منها، يعطف على جزء من الكلمة ويشبهوه بالتنوين وقالوا، لما لا يعطف على التنوين فإنه لا يعطف على الضمير المجرور بدون إعادته، هذا مذهب البصريين في ردّ قراءة حمزة في الأرحام (بالكسر) وردوا أيضا عطفه على الضمير المجرور في قوله تعالى (وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)[2] قال الحلبي لقد اختلف النحاة في قاعدة العطف وقد نافس هذا المجال منافسة علمية فقال إن العطف على الضمير المجرور ثلاثة مذاهب:

أحدها: وهو مذهب المجهور من البصريين وجوب إعادة الجار إلا في ضرورة.

الثاني: أنه يجوز في السبعة مطلقا، وهو مذهب الكوفيين ويتبعهم أبو الحسن ويونس.

والثالث: التفصيل وهو أن أكد الضمير جاز العطف من غير إعادة الجار نحو مررت بك نفسك وأنت وإلا فلا يجوز إلا الضرورة وهو قول سيبويه.

1- ينظر كتاب تفسير القرآن للقرطبي، ص 1974. (دت).

2- سورة البقرة، الآية [217].

والذي أراه أن اللغة العربية وإن كان لها قواعد تضمها وتضبطها فالدارس نحو صواب السماع إن لم يجد الضابط القاعدي فكثرة السماع الوارد به هو ضعف دليل المانعين ما اعتضا ذلك القياس وما ورد في السماع مالا يوافق القواعد مثل ما جاء في قول الشاعر (أبوذئيب الهذلي) من الوافر

و ضربته بين أذنـــاه ضربة ❁ أرد ته إلى هابي التراب عقيم

وقول القائل في المثل السائر: "مكــره أخـــاك لا بـــطــلْ"

عارض النحاة هذه القراءة بحجة أنه لا يجوز عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور إلا بإعادة حرف الجر –كما هو مقرر في قواعد النحو وهو اتجاه البصريين– ومنه قوله تعالى: (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ)[1].

6. الرد على النحاة في توجيه القراءات:

والرد على هؤلاء النحاة ومن وافقهم من المفسرين هو من خلال الآتي:

1. القرآن الكريم هو الكتاب الخالد الذي أنزله الله –عزّ وجلّ– لهداية البشرية، وهو بجانب ذلك كتاب معجز في فصاحته وبلاغته، حيث نزل فأعيا الله به الفصحاء، وألجم به البلغاء، فشهد الأعداء ببلاغته وأقر الحاقدون ببراعته، واعترف الجميع بسيادته.

والمعروف أن للقراءة المقبولة ضوابط ذكرها السيوطي في الإتقان[2] نقلا عن ابن الجزري وقد سبق ذكرها. وأذكر بأنها صحة السند، وموافقة اللغة العربية ولو بوجه، وموافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وهذه القراءة التي معنا هي

[1]– سورة القصص، الآية [81].

[2]– ينظر الاتقاق في علوم القرآن للسيوطي.

قراءة حمزة أحد القراء السبعة، والمقرر لدى العلماء القراءات السبع متواترة لاستيفائها شروط التواتر، ومن هنا تلقتها الأمة بالقبول.

وبذلك يكون شرط صحة السند قد تحقق ما هو أعلى منه، وهو التواتر، الذي يكفي وحده في القطع بقرآنيتها.

يقول القرطبي في معرض رده على من ردوا قراءة حمزة:

مثل هذا الكلام عند أئمة الدين؛ لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي ﷺ تواترا يعرفه أهل الصنعة، وإذا ثبت شيء عن النبي ﷺ فمن رد ذلك، فقد رد على النبي ﷺ واستقبح ما قرأ به، وهذا مقام محذور لا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو، فإن العربية تتلقى من النبي ﷺ ولا شك أحد في فصاحته[1].

2. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾[2] بجعل (زين) ماضيا للمجهول، ورفع (قتل) على أنه نائب فاعل، ونصب (أولادهم) على المفعولية، وجر (شركائهم) بالإضافة إلى (قتل) وهو من إضافة المصدر إلى فاعله، وهذه قراءة ابن عامر أحد قراء السبعة.

وقد عارض بعض النحاة هذه القراءة بحجة أنه قد فصل فيها بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف في غير الشعر، فإن ذلك وإن كان سمجا في الشعر أيضا إلا أنه يتسامح فيه للضرورة الشعرية.

ومن المفسرين الذين ردوا هذه القراءة الزمخشري حيث قال في الكشاف –متابعا النحاة–: وأما قراءة ابن عامر (قتل أولادهم شركائهم) برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف،

---

[1]– ينظر سر صناعة الإعراب لابن جني والخصائص لابن جني.

[2]– سورة الأنعام، الآية [137].

فشيء لو كان في الضرورات (وهو الشعر)، لكان سمجا مردودا، فكيف به في الكلام المنثور؟ فكيف به في القرآن الكريم المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله -أي ابن عامر- على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء، ولو قرئ بجر الأولاد والشركاء، لكان الأولاد شركاءهم في أموالهم ولوجد في ذلك مندوحة عن هذا الانكباب[1].

وعجبت لمفسر جليل له في قلبي مكان لبراعته في النقد والتمحيص هو الفخر الرازي، كيف يتعرض لهذه القراءة ولموقف الزمخشري منها ثم يمضي دون أن ينقده ويرد عليه ولست أدري هل ارتضى ذلك من الزمخشري، أم أنه رأى أن تهافت رأيه من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى تنبيه.

وأيا ما كان السبب، فالحق أحب إلينا من كل حبيب، فقراءة ابن عامر قراءة متواترة، وكان الأولى بالزمخشري ومن لف لفه في رد هذه القراءة، أن يصحّحوا القاعدة النحوية لتمضي مع القراءة، لا أن يردوا قرآنا متواترا مخالفة لقاعدة نحوية.

وكلام الزمخشري في رده قراءة ابن عامر يعود إلى معتقده في القراءات وأنها اجتهادية وليست منقولة عن النبي ﷺ هذا ما ينبئ عنه قوله: ولو قرئ بجر الأولاد والشركاء لكان الأولاد شركاءهم في أموالهم...

يقصد الزمخشري أنه كان بمقدور ابن عامر أن يعدل عن نصب الأولاد إلى جره بالإضافة إلى "قتل" وإبدال الشركاء منه فيكون المعنى: إن الشيطان زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم في أموالهم. أرأيت ذلك السخف الذي يرمي إليه كلام الزمخشري، ولست أدري هل نبا من علمه أن القراءات نقلية، لا اجتهادية؟

[1]- الكشاف لجار الله أبي القاسم عمر محمود، تحقيق عمر عبد الرحيم، ط1، تفسير فخر الرازي، ص 594.

وكيف يغيب ذلك عن مفسر كالزمخشري له باعه الطويل في إظهار بلاغة القرآن الكريم؟.

إن القراءات سمعية نقلية عن رسول الله ﷺ وليست اجتهادية، وقد اتفق العلماء واعتقد أهل الحق أن القراءات السبع –ومنها قراءة ابن عامر– متواترة عن رسول الله ﷺ إجمالا وتفصيلا، بل قال صاحب المناهل: إن الرأي المحقق هو أن القراءات العشر متواترة، وليس السبع فقط. إذا ثبت ذلك فلا اعتبار لما قاله الزمخشري أو غيره في تضعيف قراءة ابن عامر وردها.

ولقد شدد ابن المنير –في الانتصاف– النكير على الزمخشري فقال: إن المنكر على ابن عامر إنما أنكر عليه ما ثبت أنه براء منه قطعا وضرورة؛ لأن هذه القراءة مما علم ضرورة أن النبي ﷺ قرأ بها، ولولا عذر أن المنكر ليس من أهل الشأنين، أعني علم القراءة وعلم الأصول، ولو لم يعد من ذوي الفنين المذكورين، لخيف عليه الخروج من رِبقَةَ الدين، وإنه على هذا العذر لفي عهدة خطرة، وزلة منكرة[1].

وقال أبو حيان في رده عليه: وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذي تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقا وغربا[2]. ومع ذلك فإذا نزلنا مع الزمخشري ومن تابعه في رد هذه القراءة، إذا نزلنا معهم إلى القياي النحوى، فإننا نرى أن القراءة ماضية مع القواعد النحوية، فلقد قال الكوفيون: يجوز الفصل بين المتضايفين في النثر وفي الشعر إذا كان المضاف مصدرا، والمضاف إليه فاعله، والفاصل بينهما مفعوله كقراءة ابن عامر التي نحن بصددها، ومنه قول الشاعر: [من

---

[1]- الكشاف الزمخشري، من المقدمة، ص 216.

[2]- كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، تحقيق لجنة التراث العربي، ط 2005.

الطويل]. :(عمرو بن كلثوم التغلبي شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات، (: (من الطويل)

عتوا إذ أجبناهم إلى السلم رأفة ❁ فسقناهم سوق البغاث الأجادل[1]

فسوق، مصدر مضاف، والأجادل مضاف إليه، من إضافة المصدر إلى فاعله، والبغاث مفعوله، وفصل به بين المضاف والمضاف إليه، والأصل سوق الأجادل البغاث[2].

وليس من هذه الدراسة الهدف أن نصحّح القراءة بقواعد العربية، بل هدفنا التنويه على بعض المخالفين، ودعوتهم إلى تصحيح ما استقروا عليه من أوجه الإعراب المخالفة لاستعمال القرآن الكريم، وتصحيحها لتمضي مع قواعد القرآن الكريم.

3. قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ)[3].

وهذه قراءة ابن عامر الفعل "نجِّي" للمجهول مع تضعيف الجيم وكسرها وتسكين الياء ثم نصب "المؤمنين"[4].

وقد خَطَّأ هذه القراءة أبو حاتم الزجاج وقالا فيها لحن ظاهر حيث نصب اسم ما لم يسمّ فاعله، وإنما يقال "**نجِّي المؤمنون وكُرِّمَ الصَّالحُونَ**" وقد دافع من النحاه القراء وأبو عبيد وثعلب وقالوا: نائب الفاعل هو المصدر المحذوف والتقدير: وكذلك

---

[1]– ينظر إلى أوضح المسالك، جزء 2، لم ينسب إلى قائله، ص 350.

[2]– ينظر إعراب القرآن، تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق اللجنة العلمية للتراث، ط دار إحياء التراث.

[3]– سورة الأنبياء، الآية [88].

[4]– إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ط دار الفكر، د.ت، ص 324.

نجي النجاء المؤمنين، كما تقول ضرب زيدا بمعنى ضرب الضرب زيدا، ومن قول القائل:

ولو ولدت قفيرة جرو كلب * لسـبّ بذلك الجـرو الكـلابـا

لم أجد نسبته و لا في فضلاء البشر أي لسب السب بذلك الجرو الكلابا.

وفي الإتحاف: أن الأصل نجي حذفت إحدى النونين استثقالا لتوالي المثلين.

وقد اعترض على هذه القراءة أيضا بأن الفعل "نجى" وهو ماض جاء ساكن الآخر والأصل أن يأتي مفتوحا.

وأجيب عن ذلك بأن تسكين ياء الماضي جاء على لغة من يقول: بقى ورضى دون تحريك الياء استثقالا لتحريك ياء قبلها كسرة، ومنه يقول الشاعر(ابن الرومي : من (المديد).

خمر الشيب لمتى تخميرا * وحدا بي إلى القبور البعيرا

ليت شعري إذا القيامة قامت * ودعي بالحساب أين المصيرا

حيث سكنت ياء دعي استثقالا لتحريكها وقبلها كسرة.

4. قال تعالى: (لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ)[1].

ببناء الفعل (يجزى) للمفعول ونصب (قوما) وهذه قراءة أبي جعفر وهو من الثلاثة المتهم العشرة، وقد عاب بعضهم هذه القراءة وقالوا: هي لحن ظاهر[2]

1- سورة الجاثية، الآية [14].

2- تفسير القرطبي، ص 5982.

ووجهتهم أن نائب الفاعل فيها جاء منصوبا وحقه الرفع. وهؤلاء ظنوا أن (قوما) هو نائبء الفاعل، والواقع أنه محذوف وفي تقديره وجهان:

الأول: ليجزى الخير والشر قوما، ورجحه العُكْبَرِي[1] (صاحب كتاب التبيين)، والبيضاوي[2](صاحب كتاب تفسير القرآن).

الثاني: أن يكون القائم مقام الفاعل هو المصدر، والتقدير: ليجزى الجزاء قوما.

والجزاء هنا هو ما يجزى به، وهو في الأصل مفعول ثان لِيَجْزِي، قال الكبري (صاحب كتاب التسامي في الأسامي): المفعول الثاني للأفعال التي تتعدى إلى اثنين يجوز إقامته مقام الفاعل فنقول: أعطى درهم زيدا، وجزي تتعدى إلى اثنين تقول جزيت فلانا الخير، فإذا بنيته للمفعول أقمت أيها شئت مقام الفاعل[3].

وحاصل الرد على من يخطئون قراءة (نجِّى المؤمنين) وقراءة (ليجزي قوما) أن القراءتين متواترتان، فلا يصح القدح فيها، ولئن ادعى البصريون –إلا الأخفش– أنهما تخالفان قاعدة نحوية تقول بتعيين إقامة المفعول مقام الفاعل إذا وجد بعد الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله، أو تقديمه على سواه من مصدر أو ظرف أو جار وجرور، فإننا نقول لهم:

"كان الواجب عليكم أيها البصريون أن تصححوا قاعدتكم لتمضي مع هذا القرآنَ المتواتر، وأن تمضوا مع الكوفيين. في هذا الشأن الذين مضوا مع ما قعده القرآن ولم يخالفوه ولم يجترئوا على ما اجترأتم عليه، وقالوا: إذا وجد بعد الفعل الذي لم يسم فاعله مفعول وغيره جاز أن يقوم مقام الفاعل غير المفعول من مصدر أو غيره، واستدلوا بهذه القراءة (لِيُجزِيَ قوما)".

---

[1]- ما من به الرحمن هامش حاشية، ج4، ص 315.

[2]- تفسير البيضاوي.

[3]- المصدر السابق.

وجاء في الشعر العربي ما يؤيد ذلك كقول الشاعر:

لم يعن بالعلياء إلا سيدا ❁ ولا سفه ذا الغنى إلا ذو هدى

حيث ناب الجار والمجرور، وهو قوله بالعلياء عن الفاعل مع وجود المفعول وهو: سيّدا.

ومثله قول القائل:

وإنما يرضي المنيب ربه ❁ ما دام معنيا بذكر قلبه

والشاهد: معنيا بذكر قلبه، حيث ناب الجار والمجرور، وهو يذكر الفاعل، مع وجود المفعول به في الكلام وهو: قلبه، لدليل أنه أتى به منصوبا[1].

وبناء على ما نقلناه من حاشية زاده آنفا، تكون إقامة المصدر إقامة نائب الفاعل -في القراءتين- ليس الاعتبار كونه مصدرا وإنما لكونه مفعولا ثانيا، ويكون قد تحقق ما عارض البصريون القراءتين لأجله، يتبين بذلك القصور الشديد الذي استحوذ على البصريين في معارضة قراءتين متواترتين.

أما القاعدة الخامسة للخلاف في ذلك:

<u>نص القاعدة:</u>

"القرآن الكريم هو الأصل الذي ينبغي أن تقعد عليه اللغة، وبه تضبط قواعد النحو، فإذا ثبتت القراءة القرآنية لزم قبولها والمصير إليها، ولا ترد بقياس عربية ولا فشو لغة"[2].

---

[1]- شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، 121/2 وما بعدها.

[2]- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، (ت833هـ).

هذه القاعدة هامة جدا تحمى القراءات القرآنية الثابتة من طعن بعض المعربين من المفسرين وغيرهم، إذ تقرر أن القرآن الكريم هو الأصل الذي نبغي أن يصير إليه، وأن تقعد عليه اللغة، وتضبط به قواعد النحو؛ لأن هذا القرآن هو المعجزة الكبرى لسيدنا رسول الله ﷺ وقد نزل هذا القرآن عليه ﷺ بقراءته الثابتة، وهو في مجابهة قوم هم أبلغ البلغاء، وأفصح الفصحاء، وهم قريش ومن أيدهم من العرب، ومع ذلك لم يطعنوا في القرآن من هذه الناحية التي اجترأ عليها من بعد من خدمة القرآن والمدافعين عنه، ظنا منهم أن هذه القراءات منشؤها اجتهاد القراء، حيث غاب عنهم أن النقل مرجعها، هذا سبب من أسباب جرأة المعترضين على هذه القراءات من جهة اللغة والإعراب، وهناك سبب آخر أوقعهم أيضا في الخطأ الذي لا يغتفر، وهو عدم إلمامهم الكامل بجميع أوجه العربية، وقد لاحظت ذلك حين معالجة هذا الموضوع، حيث بان لي أن كل ما اعترضوا عليه له في العربية وجوه متعددة في أكثر الأحيان وليس وجها واحدا مع أن المعروف أنه يكفي لإثبات القراءة وقبولها موافقتها للعربية ولو بوجه واحد مع توفر الشرطين الآخرين الذين سبق ذكرهما غير مرة.

ومن ثم فإنه لا يجوز مطلقا الطعن في قراءة ثابتة لأنها قرآن منزل من عند الله تعالى، يحتج به ولا يحتج عليه ببيت من الشعر، ولا بقاعدة نحوية هي من وضع البشر، هناك ما يخالفها أيضا من كلام البشر.

قال أبو عمرو الداني:

أئمة القراء لا يعملون في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت

عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القرآن سنة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها[1].

شبهة واردة على ما قررته القاعدة:

قد بان لنا من خلال ما قررته القاعدة أن القراءة المتواترة لا يقدح في قرآنيتها مخالفتها لقواعد النحو، إذ الأصل أن تمضي القاعدة ما قعده القرآن.

ومع ذلك فقد بان من خلال الأمثلة والنماذج المطروحة أن ما زعموه من مخالفة هذه القراءات لقواعد نحوية ليس كذلك، إذ لهذه القراءات وجوه في العربية، وأصول ترجع إليها، وقد دعمنا هذه النتيجة بكلام العرب في كل وَجَّهْنَا به هذه القراءات المفترى عليها.

والفضل في ذلك يرجع إلى علمائنا الأفذاذ المخلصين لربهم ودينهم الذين ذادوا عن حياض القرآن كل فرية ودفعوا عنه كل شبهة.

ولقد وردت بعض روايات مسندة إلى السيدة عائشة –رضي الله عنها– وإلى عثمان– رضي الله عنه، وإلى سعيد بن جبير، تفيد هذه الروايات أن في القرآن المتواتر الذي نتعبد الله به لحنا هو من تصرف كتاب الوحي، ومع ذلك فقد تلقته الأمة بالقبول على ما فيه من لحن ظاهر باعتراف أفاضل الصحابة، وهذه هي الآثار التي وردت في ذلك:

1. إخراج أبو عبيد في فضائل القرآن عن أبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله تعالى (إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)[2] وعن

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج1، ص 77.

[2]- سورة طه، الآية [63].

قوله تعالى: (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ)[1]، وعن قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ)[2]، فقالت: يا ابن أختي، هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب[3]. أي أن هذا الخطأ هو من عمل كتاب الوحي أثناء كتابة هذه الآيات.

2. وأخرج أبو عبيد أيضا عن عثمان –رضي الله عنه– أن لما كتبت المصاحف عرضت عليه، فوجد فيها حروفا من اللحن فقال: لا تغيروها، فإن العرب ستغيّرها –أو قال– ستعربها بألسنتها.

3. وعن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ) ويقول: هو من لحن الكتاب، الرد على شبهة.

نحن هنا أمام شبهة من وجهين:

أحدهما: آثار يجب نقدها والرد عليها وتوجيهها على فرض صحتها.

وثانيهما: كلمات من القرآن الكريم في جمل ادعى أنها خالفت قواعد العربية فما وجهها؟

أولا: فيما يتعلق بالآثار:

أ. بالنسبة للإسناد الأول الذي نقل عن طريق عائشة –رضي الله عنها– جاء في الإتقان: إنه إسناد صحيح على شرط الشيخين، وفي هذا الحكم نظر حيث إن أبا عبيد رواه عن أبي معاوية الضرير، واسمه: محمد بن خازم التميمي.

وثق العلماء عن الاعمش، فقال وكيع: ما أدركنا أحدا كان أعلم بأحاديث الأعمش من أبي معاوية، وكذا ابن معين وغيره.

---

[1]– سورة النساء، الآية [162].

[2]– سورة المائدة، الآية [69].

[3]– الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 183.

لكنهم عابوا أحاديثه عن غير الأعمش وقالوا: إنها مضطربة، فقال ابن خراش: هو في الأعمش ثقة وفي غيره فيه اضطراب.

وصرح الإمام أحمد بأن أحاديثه عن هشام بن عروة بالذات فيها اضطراب.

وقد اعتمد البخاري راويته عن الأعمش واحتج به وأما روايته عن هشام بن عروة، فلم يذكرها إلا في المتابعات لا في الأصول[1].

وهذا يسقط الرواية من أساسها، ويجعلها غير صالحة للاحتجاج، فكيف القول بأنها على شرط الشيخين.

ب. وأما بالنسبة للأثرين فقد قال السوطي: هي مشكلة خطيرة جدا. ثم أضاف: كيف يظن بالصحابة أولا أنهم يَلْحَنُونَ في الكلام فضلا عن القرآن وهم الفصحاء اللد؟ ثم كيف يظن بهم ثانيا في القرآن الذي تلقوه من النبي ﷺ كما أنزل وحفظوه وضبطوه وأتقنوه؟

ثم كيف يظن بهم ثالثا اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته؟

ثم كيف يظن بهم رابعا عدم تنبههم ورجوعهم عنه؟

ثم كيف يظن بعثمان –رضي الله عنه– أنه ينهي عن تغييره؟

ثم كيف يظن أن القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ، وهو مروى بالتواتر خلفا عن سلف.

هذا ما يستحيل عقلا وشرعا وعادة.

---

[1]– تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ج9، ص 137.

ثم علق -أي السيوطي- على الرواية المنقول عن عثمان -رضي الله عنه- بقوله: إن ذلك لا يصح عن عثمان، فإن إسناده ضعيف مضطرب منقطع، ولأن عثمان جعل -المصحف الذي جمعه- إماما للناس يقتدون به، فكيف يرى فيه لحنا ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها؟

فإذا كان الذي تولوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك وهم الخيار فكيف يقيميه غيرهم؟ ثم إن عثمان لم يكتب مصحفا واحدا، ولكن كتب عدة مصاحف، فإن قيل: إن اللحن وقع فيها جميعا فبعيد اتفاقها على ذلك، أو في بعضها، فهو اعتراف بصحة بعضها. ولم يذكر أحد من الناس أن اللحن كان في مصحف دون مصحف، ولم تأت المصاحف مختلفة قط إلا فيما هو من وجوه القراءة وليس ذلك بلحن[1].

ج. هذه الروايات تخالف المتواتر عن عثمان ﷺ في نرسخ المصاحف، وجمع القرآن من الدقة والتحري ونهاية التثبت، بل يردها ما أخرجه أبو عبيد نفسه عن عبد الله بن هانئ البَربَرِي مولى عثمان قال: كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاةٍ إلى أبي بن كعب فيها (لم يتسن) وفيها (ولا تبديل للخلق) وفيها (فأمهل الكافرين) قال: فدعا بالدواة فمحى أحد اللامين فكتب (لخلق الله) ومحا فأمهل وكتب (مهّل)[2] وكتب (لم يتسنه)[3] ألحق فيها الهاء[4].

كيف يتفق ما جاء في الرواية التي نقدناها، مع هذه الرواية الثانية التي تصف عثمان ﷺ بالدقة في مراجعة ما كان النساخ وتصحيح ما كانوا يخطئون فيه وأنه لم يترك هذه الأخطاء لتقيمها العرب كما تقول الرواية الواهية.

[1]- الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 184.
[2]- سورة الطارق، الآية [17].
[3]- سورة البقرة، الآية [259].
[4]- منهل العرفان والإتقان.

د. وعلى فرض صحة هذه الآثار، فكلمة "لحن" فيها لا يقصد بها المعنى المعروف للحن وهو الخروج على قواعد النحو، وإنما يعني بها كما يقول العلماء: القراءة واللغة والوجه، كما ورد عن عمر قوله: أبي اقرؤنا وإنا لندع بعض لحنه – أي قراءته–[1].

ويذكر السيوطي أن قول عثمان –إن صح– فإنما ينصرف إلى كلمات كتبت على هيئة مخصوصة، ورسم معين يخالف النطق مثل (لأذبحنّه) في سورة النمل (آية 21)، ومثل (بأييد) في سورة الذاريات (آية 47) فإنها كتبت بياءين.

يقول السيوطي: فلو قرأ ذلك بظاهر الخط لكان لحنا. فهذا معنى قول عثمان ﷺ إن به لحنا ستقيمه العرب بألسنتها، فهو أشبه بالتنبيه إلى ضرورة أن يؤخذ القرآن الكريم عن طريق التلقين والمشافهة، بواسطة شيخ، وألا يكون الاعتماد فقط على كتابة المصحف، فإنه كتب على هيئة مخصوصة تخالف النطق في أكثر الأحيان.

ثانيا: ما يتعلق بالآيات التي وردت في الروايات وتوجيهها.

الآية الأولى:

قال تعالى: (إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)[2] بتشديد نون "إنّ" وهي قراءة أهل المدينة والكوفة، وهي قراءة سبعية متواترة عن الأئمة[3].

وقال الطبري: هي قراءة عامة الأمصار[4].

---

[1]– المصدر السابق.

[2]– سورة طه، الآية [63].

[3]– القرطبي، ص 4256.

[4]– تفسير القرطبي، ص 135.

قال بعض النحاة في جراءة هذه القراءة خالفت القاعدة في نصب "إن" ولا شك أن هذا من اللحن.

<u>الرد عليهم:</u>

يرد على القائلين بذلك بأن القراءة المتواترة فلا يجوز ردها ولا تضعيفها بوجه من وجوه النحو لها في غير محمل، فمن المقرر أن من ضوابط قبول القراءة موافقة اللغة العربية ولو بوجه، ولا يشترط الموافقة من جميع الوجوه، وقد سبق تقرير ذلك.

وفيما يتعلق بهذه القراءة التي معنا وجهت بما يلي:

1. قيل: (إنها وافقت لغة بني الحارث بن كعب وزبيد وقشعم وكنانة بن زيد، فإن الألف عندهم تلزم المثنى رفعا، ونصبا وجرا، فيقولون: جاء الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان.

وجا في الشعر: قول أبي النجم: [من المتقارب]

وأن أباها وأبا أباها ❁ قد بلغا في المجد غايتاها

وعلى القاعدة المعروفة: أبا أبيها، وغايتيها.

وجاء أيضا:

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى * مساقا لناباه الشجاع لصَمَّمَا

وهذا الوجه من أقوى الوجوه التي تحمل عليها القراءة، وقيل: إن "إن" حرف جواب بمعنى نعم، وعليه فما بعدها متبدأ وخبر[1].

وقد جاء في الشعر العربي ما يفيد مجيئها بمعنى نعم، ومنه قول القائل، (منمجزوء الكامل).

بكر العواذل في الصبو ❁ ح يلمنني وألومهن

ويقلن شيب قد علا ❁ ك وقد كبرت فقلت إنه

وقد جاءت في الديوان كالآتي:

بكرت علي عواذلي ❁ يلمنني وألومهن

ويقلن شيب قد علا ❁ ك وقد كبرتر فقلت إنه

أي قلت: نعم.

وقد تناقل المفسرون وجوها أخرى يمكن أن تحمل عليها هذه القراءة غير أنهم في النهاية رجحوا حملها على الوجه الأول الذي سلف ذكره.

---

[1] - ينظر ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص 46.

الآية الثانية:

وقال تعالى: (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) وهو جزء آية من سورة النساء وهي قوله تعالى: (لَّـكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَـئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا)[1].

والشاهد في هذه الآية قوله: (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ) حيث جاء منصوبا بين مرفوعين هما قوله (وَالْمُؤْمِنُونَ) وقوله (الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ).

هكذا اعترض على هذه الآية فادُعِيَ أن فيها لحنا وخطأ نحويا، وإلا لتلقف المشركون هذا الخطأ لأنهم عرب خلص، وهم يومئذ يتربصون بغية أن يجدوا فيه مغمزا أو مطعنا، ولكن ذلك لم يحدث فدل على أنه لا لحن فيه.

هذا وقد وجه النصب في (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ) بما يلي:

1. قيل: إن النصب فيه على المدح، والناصب فعل مضمر تقديره أمدح، أو أخص المقيمين الصلاة. والعلة بيان فضل الصلاة ومزيتها.

كأنه قيل: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ)، كذلك وقد رجح ذلك سيبويه وأنشد له شاهدا: [من الوافر] لبشر بن حازم:

ألا فاعلموا أنا وأنتم ❁ بغاة ما بقينا على شقاق

أي: فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك:

---

[1]- سورة النساء، الآية [162].

وإذا كان (الصابئون) النية به التأخير، فلابد من حكمة تعلل تقديمه في الذكر، والعلّة هنا التنبيه إلى أن الصابئين أشد إيغالا في الضلالة، وعمقا في الغواية، حيث لا عقيدة لهم ثابتة كالذين آمنوا وكأهل الكتاب، ولكنهم -كما يذكر ابن القيم- يتخيرون من سائر ديانات العالم بعض شعائرهم ويتركون بعضه الآخر ولم يقيموا أنفسهم بجملة دين معين وتفضيله.

وهذا الوجه أقوى الوجوه، وأرجح ما تحمل عليه الآية الشريفة.

1. وقيل: إن الواو عاطفة والصابئون معطوف على موضع اسم (إن) لأنه قبل دخول (إن) كان في موضع رفع وهذا مذهب الكسائي والفراء.
2. وروي عن الكسائي أيضا أنه مرفوع عطفا على الضمير المرفوع في قوله (هادوا).
3. وقيل: (إن) هنا بمعنى نعم، أي حرف جواب وما بعده مرفوع بالابتداء، وعليه فالصابئون معطوف على ما قبله. والأرجح الاول كما سبق القول بذلك.

وبعد، فهذه هي الآيات الثلاثة التي وردت في رواية عائشة -رضي الله عنها-، وقد بان توجيهها وظهر لنا أن لها أكثر من وجه في العربية، فكيف يدَّعى بعد ذلك أن فيها أخطاء نحوية؟ واستخلص مما سبق ملاحظة أستقيها من قول ابن الحاجب عن اجتراء النحاة على بعض القراءات وادعاء أن الصورة التي جاءت عليها غير جائزة من جهة العربية.

قال ابن الحاجب: "والأولى الرد على النحويين في منع الجواز، فليس قولهم بحجة إلا عند الإجماع، ومن القراء جماعة من أكابر النحويين، فلا يكون إجماع النحويين حجة مع مخالفة القراء لهم، ثم ولو قدر أن القراء ليس فيهم نحوي، فإنهم ناقلون لهذه اللغة وهم مشاركون للنحويين في نقل اللغة، فلا يكون إجماع النحويين حجة دونهم، وإذا ثبت ذلك

كان المصير إلى قول القراء أولى؛ لأنهم ناقلوها عمن ثبتت عصمته من الغلط في مثله؛ ولأن القراءة تثبت متواترة، وما نقله النحويون، ثم لو سلم أنه غير متواتر، فالقراء أعدل وأكثر دقة، والرجوع إليهم أولى، والله أعلم[1].

ومن الملاحظ أن الزمخشري استدرك على الباقلاني أنصاف الحروف في جدولته الواردة في فواتح السور إلا أن الزمخشري قد وسعها تفصيلا وترك الإجمال وأورد المسميات. وبعد هذا التقسيم تعقب الزمخشري حكمة هذا التركيب وغاية هذا الذكر معقبا إياه بفلسفة هذه الأصوات فقال: "ثم إذا استقريت الكلم وتركيبه، ترى الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكور مها، فسبحان الذي دقت حكمته، وقد علمت أن معظم الشيء وجلّه ينزل منزلة كلمة، وهو المطابق للطائف التنزيل، واختصاراته، فكان الله عز اسمه عدّد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما ذكرت... وألزام الحجة إياهم"[2].

وقد رصد الزمخشري أماكن استعمال هذه الأصوات، وكثرتها بحسب الجاري على ألسنة العرب في تكاثر بعض الحروف دون بعض، وغرض الفائدة التكرار في جملة منها وتناول مسألة تفريقها على السور دون جمعها في أول القرآن وكأنه يشير إلى الحكمة المتواخاة من كل جانب فيقول: "ومما يدل على أنه تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيب الكلم، إن الألف واللام مما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح. مكررتين وهي فواتح سورة البقرة، وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والأعراف والرعد ويونس وإبراهيم وهود ويوسف والحجر فإن قلت فهلاً عددت بأجمعها في أول القرآن، وما لها جاءت مفرقة على سورة؟ قلت: لأن إعادة التنبيه على أن المتحدّى به مؤلف لا غير، وتجديده في غير موضع واحد، أوصل إلى الغرض، وأقواه

---

[1]- ينظر فضلاء البشر، ص 39.

[2]- المصدر السابق، ج2، ص 103.

في الأسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن مطلوب به تكرير المكرر في النفوس وتقريره.

فإن قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة، ولما اختلفت أعداد حروفها قلت هذا على عادة افتتاحهم بهذه الأساليب وتصرفهم فيها وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف لم تتاجوز ذلك، سلك بهذه الفتواح المسلك[1].

كما نجد الزركشي (ت794هـ) عند الصدى الصّوتي للحروف المتعلقة في فواتح هذه السور من عدة وجوه صوتية، يمكن رصد أبعادها على النحو التالي:

أولا: عرض الزركشي لأعداد هذه الأصوات في فواتح السور ووقف عند ابتدائه بثلاثة حروف، واعتبر ذلك سرا صوتيا علله بقوله عن "ألم" في تركيبها.

وقد تابع الزمخشري الباقلاني أن في هذه الحروف من حيث صفاتها في نصفها وعددها، وفي منهج الزمخشري يمكن جدولتها على النحو التالي[2]:

الحروف المهموسة	الحروف المجهورة	الحروف الشديدة	الحروف الرخوة	الحروف المطبقة	الحروف المنفتحة
– الصّاد	– الألف	– الألف	– اللام	– الصاد	– الألف
	– اللام	– الكاف	– الميم		– اللام
– الكاف	– الميم	– الطاء	– الراء	– الطاء	– الميم
	– الراء	– القاف	– الصاد		– الراء
– الهاء	– العين		– الهاء		– الكاف
	– الطاء		– العين		– الهاء
– السين	– القاف		– الحاء		– الياء
	– الباء		– الياء		– العين
– الحاء	– النون		– النون		– الحاء
– الثاء					– النون

---

[1]– الوافي في شرح الشاطبية، ص 167.

[2]– ينظر كتاب الكشاف، للزمخشري، ج1، ص 101.

الحروف المستعلية	الحروف المنخفضة		حروف القلقلة
– القاف	– الألف	– الياء	– القاف
– الصاد	– اللام	– العين	– الطاء
– الطاء	– الميم	– السين	
	– الراء	– الحاء	
	– الكاف	– النون	
	– الهاء		

فنبه بقوله الألف على هذين الشكلين قائلا: "الهمزة والألف حرف واحد عند الفقهاء وحرفان في عرف العامة[1] وسواء أكان حرفا أو حرفين فإنهما صوتين لاشك في ذلك، لأن الألف تكون للمدّ مثل قوله تعالى: **(وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا)**[2] كما جاء عند حمزة ونحو **(فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا)**[3] عن خلاد، ونحو **(فَلَا أَنسَابَ)**[4] بنيهم وعند رويس نحو: والكتاب بأيدهم[5]، فإن هذه الألفات للمد عموما والمدّ أنواع في القراءات السبع منها ألف الإمالة والتي تدخل معها الفتحة القصيرة الممالة، وهي صوت طليق يحدث من ارتفاع مقدم اللسان والإمالة ليس لها رمز في العربية، إلا ما جاء في مصحف عثمان بقراءة ورش. وهي صوت فرعي والإمالة لغة عامة العرب إلا أهل الحجاز. وألف التفخيم وهي التي تدخل معها فتحة مفخمة وهي صوت طليق يحدث مع مؤخر اللسان ارتفاعا نحو مؤخر الحنك ارتفاعا، وهي التي تدل على أصوات الاستعلاء.

---

[1]– ينظر للزمخشري، في كتابه الكشاف، ج1، ص 101.

[2]– سورة الصافات، الآية [01-03].

[3]– سورة العاديات، الآية [03].

[4]– سورة الحج، الآية [101].

[5]– ينظر السابق، ص 103.

ولذلك نجد المصحف المكتوب المتداول في رواية ورش عن قراءة نافع قد وضعت فيه رموز وعلامات مدققة تمثل الأصوات المنطوقة، فالأصوات الحنجرية لها صفتها في هذا المصحف، فالهمزة مع الحركات الثلاثة التي تمثل جزء منها فالفتحة تعطي للحرف صوته المعتاد الذي يمكن الناطق تأدية الكلام الإنساني المستساغ باللغة التي وصفها الله بالبيان حيث قال: (**الرَّحْمَنُ (1)عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2)خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**)[1]، وقال (**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**)[2] فلا يمكن لناطق بكلام مستساغ دون حركات، إذ هي التي تجعل الصوت متميز عن باقي الأصوات وهي الجزء الخفيف من الهمزة؛ إذ أننا نستشف من خلال تأدية المتلكلم لذلك الصوت في قراءة ورش مع الهمزة التي تصير فتحة فوق الألف مثل قوله تعالى: (**وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى**).

كما وضعت الكسرة مكان الهمزة مثل قوله تعالى: (**خَلَقَ الْإِنسَانَ**)[3]. كما وضعت ضمة مثل قوله تعالى: (**خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى**)[4]، فالحركات هي أصوات أصلية من الهمزة.

لقد قام الدكتور إبراهيم أنيس ﷺ بعملية إحصائية على نصوص قرآنية محاولات الكشف على شيوع كل صوت حبيس من الأصوات فكانت للأصوات الحنجرية النتيجة الآتية:

- فالهاء عدد ست وخمسين مرة والهمزة اثنتين وسبعين مرة.

---

[1]– سورة الرحمن، الآية [01-03]

[2]– سورة يوسف، الآية [02].

[3]– سورة العلق، الآية [02].

[4]– سورة الضحى، الآية[04].

وقبل أن نبحث الأصوات الحنجرية في القراءات السبعة نضع لمسة عساها أن تكون منطلقا للأبحاث الصوتية في القراءات القرآنية، فكثيرا ما نجد أبحاثا تتحدث عن الأصوات الحنجرية لكنها لا تذكر إلا صوتين هما الهمزة والهاء دون أن يتعرضوا لنبراتها المختلفة، وأنواعها عند كل من القراء بدقة، وإغفال الحركات التي تعد جزء كبيرا في أحداث الصوت الحنجري مع جميع الأصوات.

وحين ندرس الأصوات الحنجرية نعلق على الحركات الأصلية والفرعية معا مع وضع شكل يمثل ذلك لما فيها من بيان إيضاحي، وهاهي بعض الأشكال تميز الحنجرة ومقاطعها حتى تكون لنا صورة عن الأصوات الحنجرية ومعرفتها بدقة عن طريق التجربة والتطبيق أن ترتيب البحث في القراءات لصوت المدّ فيها يعرف بالمد العارض للسكون الذي رأى القراء أنه يجوز مده بمقدار حركتين وأربع وست حركات. وقد استطاع هذا البحث أن يتعامل -بدقة- مع هذا المقدار الزمني المعطى لصوت المدّ الذي قرره علماء القراءات بالحركة في ضوء حساب الآلة المقدر بجزء من عشرة آلاف من الثانية وذلك في قراءة أربعة من القراء المجيدين المعاصرين مصنف في الأقسام الآتية:

1. قسم نظري: اشتمل على مقدمة عن المدّ العارض للسكون وأوجهه وأحكام كل وجه منه، والمقدار الذي يجوز مده عند علماء القراءات.

2. قسم تجريبي تطبيقي: قام على إدخال نص من القرآن الكريم (هو سورة هود عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم) كلها برواية حفص عن عاصم بن أبي النجود وبرواية ورش عن نافع وتبيان الفرق في الهمزة. مقروءة بأصوات أربعة من القراء هم على الترتيب (الشيخ محمود خليل الحصري، والشيخ محمد صديق المنشاوي، والشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد، يرحمهم الله جميعا-

والشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي –أمد الله في عمره –) إلى المعمل الصوتي SONA GRAPH MODEL 5500 وذلك بهدف الوقوف – بجلاء.

3. على المتوسط العام للمدة الزمنية محسوبة بجزء من عشرة آلاف من الثانية للمد العارض للسكون في الآيات القرآنية التي وردت في السورة المذكورة في السياقات الأدائية التي تعرض لصوت المد في هذا النوع من المدود في الآداء.

4. أهداف البحث: يتكون النظام الصوتي لأصوات اللغة العربية وسواها من اللغات المنطوقة من دعامتين أساسيتين:

1. فونيمات قطعية (Segmental Phonames) ويقصد بها الصوامت والصوائت في اللغة،.

2. فونيمات فوقطعية (Supra Segmental) وتشمل على الفواصل والنبرات والنغمات، وهي ظواهر غير واضحة في أبجديتها ولكنها متصلة ومصاحبة للنطق والأداء[1] وحينما نتكلم فإننا لا نصدر أصواتا أو فونيمات قطعية ذات أصوات مفردة منعزلة لأن الكلام –في أدائه الصحيح حسب نظام أصوات اللغة المنطوقة– مكون من سلسلة من الأصوات المتعاقبة المتتابعة التي يأخذ بعضها بحجز بعض في تناسق وترتيب دقيقين حتى ليخال للمتأمل في النشاط الكلامي الإنساني أن وضع حواجز وحدود واضحة ودقيقة بين مقطع أو صوت وآخر في النشاط الأدائي للكلام أمر بالغ الصعوبة ذلك لأن المتكلم بأصوات لغته الأم أثناء كلامه يصبغ فونيمات اللغة القطعية جميعها بألوان لا تحصى من الفونيمات الفوقطعية[2] جميعها كالضغط على بعض المقاطع الصوتية دون بعض أو علو درجة الصوت وموسيقاه أو

[1] - Lade Foged, P. (A course in Phonotics). 1975, p:30.
[2] - Fujimora , Osama, Syllables as concatenative Phonotics Units, written in 1977, pp370..

انخفاضهما وكذا اختلاف مواطن الفصل والوصل بين الوحدات الصوتية المتتابعة وكل ذلك يساعد المتكلم والمتلقي على:

أ: أبرز المعاني وتجليتها: لعل من أهم وظائف الفونيمات الفوقطعية في اللغة أنها تعمل على إيضاح كثير من المعاني التي لم يسطع المتكلم بيانها والإفصاح عنها في أحيان كثيرة من خلال أنظمة اللغة الأخرى كالصوامت والصوائت... الخ، وأي إخلال بهذه الطرق الأدائية التي يقتضيها نظام اللغة أو بعضها أو اللحن فيها يؤدي إلى صعوبة فهم المعنى المراد من الكلام أو تعذره، وإذا كان ما يحدد وظيفة الفونيم في اللغة عو قدرته على تغيير المعنى سواء أكان فونيما قطعيا أم فوقطعيا[1] فإننا نرى أن معرفة مواطن الفصل والوصل (الوقف والابتداء) مما يعين على فهم المراد من الكلام ولا يتم إدراك المعاني إلا به فربما وقف المتكلم قبل تمام المعنى ولا يصل ما وقف عليه مما بعده حتى ينتهي إلى ما يصح أن يقف عنده وعندئذ لا يفهم هو ما يقول ولا يفهمه السامع بل ربما يفهم من هذا الوقف معنى آخر غير المعنى المراد وهذا في الكلام العادي فكيف إذا كان ذلك فيما يتعلق بفهم كتاب الله الكريم والوقوف على مراد الله تعالى به، والامثلة على ذلك كثيرة ومنها –مثلا– أن يقرأ أحدهم قوله تعالى: (**يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**) فيقف على (الظلمين). أو أن يقرأ أحدهم قوله تعالى: (**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ**) فيقف على (**وَإِذَا غَرَبَت**).

ب. أهمية الوقفة (المفصل) بين أجزاء الكلام: ولأن الوقفة تغير أحيانا المعنى وقد تضيف معاني أخرى فقد أدرك القدماء من المهتمين بفنون القول والمعنيين بطرق الأداء فيه من الحلفاء والخطباء والكتاب وأئمة القراء ما للوصل والفصل في

[1] – Lass Roger, Phonology (Introduction to basic concepts), 1984. pp248.

اللغة العربية من أهمية في تغير المعنى فحضوا على تفقد مواطنه من الكلام، وأوجبوا على القارئ لأي القرآن الكريم معرفة الوقف والابتداء ما جاء في ذلك من الآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وأئمة البلاغة وأصحاب البيان فقد ثبت أن الغمام عليا كرم الله وجهه لما سئل عن قوله تعالى: **(وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)** قال: الترتل معناه تجويد الحروف ومعرفة الوقوف[1] وما رواه ابن أبي مليكة عن أم سلمة رضي الله عنها حين سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ قالت: كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يقطع قراءته **(الحمد لله رب العالمين)** –ثم يقف– **(الرَّحْمَـــنِ الرَّحِيمِ)** –ثم يقف– وكان يقرأ **(مَـــلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)**[2] وفي رواية أخرى قالت: قراءة رسول الله ﷺ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَـــنِ الرَّحِيمِ (1)الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمـــنِ الرَّحِيمِ (3)مَـــلِكِ يَوْمِ الدِّينِ). يقطع قراءته آية آية[3]، وروى الحافظ ابن الجزري –رحمه الله– قول ابن عمر رضي الله عنهما: لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليُؤتي الإيمان قبل القرآن السورة على النبي ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وأمْرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها. ويعلق على ذلك ابن الجزري –رحمه الله–: ففي كلام علي رضي الله عنه دليل على وجوب تعلمه ومعرفته، وفي كلام ابن عمر برهان على أن تعلمه إجماع من الصحابة رضي الله عنهم...[4] وقال معاوية –رضي الله عنه–: قم يا أشدق عند قروم العرب جحاجحها فسل لسانك في ميادين البلاغة وليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بال فإني شهدت رسول الله ﷺ أملى على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان يتفقد مقطع الكلام كتفقد المصرم

[1]– النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، دار الفكر، 1م، ص 225.
[2]– صحيح الترميذي، رقم 2954.
[3]– جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، عبد القادر الأرناؤوط، ج2، ص 463.
[4]– كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، الأستانة، 1319هـ، ص 346.

صريمته، ونسب إلى الأحنف بن قيس أنه قال: ما رأيت رجلا تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام ولا عرف حدوده إلا عمرو بن العاص رضي الله عنه[1]، وصح بل تواتر -كما يقول الحافظ ابن الجزري (رحمه الله)- عند أهل الاداء وأئمة القراءة تعلُّم الوقف والابتداء والاعتناء به من السلف الصالح كأبي جعفر يزيد القعقاع إمام أهل المدينة الذي هو من أعيان التابعين وصاحبه الإمام نافع بن نعيم، وأبي عمرو بن العلاء، ويعقوب الحضرمي، وعاصم بن أبي النجود وغيرهم من الأئمة[2] وقال يزيد بن معاوية: إياكم وغيركم من أن تجعلوا الفصل وصلا فإنه أشد وأعين لحنا ... وكان أكثم بن صيفي إذا كاتب ملك الجاهلية يقول لكاتبه: افصلوا بين كل منقص معنى، وصلوا إذا كان الكلام معجوبا بعضه ببعض ... ونسب إلى أبي العباس السفاج قوله: قف عند مقاطع الكلام وحدوده وإياك أن تخلط المرعي بالمهمل ومن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل ... وقال المأمون: إن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كالآلي بلا نظام ... وسئل الفارسي ما البلاغة؟ فقال: معرفة الفصل من الوصل، ونسب إلى المأمون أيضا قوله: ما أتفحص من رجل شيئا كتفحصي عن الفصل والوصل في كتابه، ومما قاله الحسن بن سهل لكاتبه. ومما قاله الحسن بن سهل لكاتبه الحراني لما سأله ما منزلة الكاتب في قوله وفعله: أن يكون مطبوعا محنكا بالتجربة عالما بحلال الكتاب والسنة وطريقها وبالدهور في تداولها وتصرفها في سيرها وأيامها مع براعة اللفظ وحسن التنسيق وتأليف الأوصال لمشاكله الاستعارة وشرح المعنى حتى تتصب صدورها

---

[1]- نفس المصدر.

[2]- كتاب الصناعتين، ص 346، وما بعدها، وهداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح المرصفي، دار النصر للطباعة الإسلامية، ط1، ص 369.

بمقاطع الكلام ومعرفة الفصل من الوصل فإذا كان فهو كاتب مجيد ... والقول إذا استعمل آلته واستتم معناه فالفصل عنده[1].

يتبين لنا -بوضوح- من هذه النصوص وغيرها مما لا يعدم الباحث وجودها إن طلبها في مظانها من الكتب والمصادر القديمة -اهتمام المشتغلين بفنون القول- عامة والمعنيين بأداء الكلام العربي -حسب ما تقتضيه أنظمة الأداء في اللغة العربية- بهذه المسألة اللغوية وذلك لما للوصل والفصل من أهمية في تغير المعنى، ومن ثم اعتنى بعلم الوقف والابتداء وتعلمه وعمل به المتقدمون والمتأخرون من أئمة أهل الإقراء فأفردوه بالتصنيف الخاص به منهم الإمام أبو بكر بن الأنباري والغمام أبو جعفر النحاس والحافظ أبو عمرو الداني والحافظ ابن الجزري وابنه العلامة الشيخ أحمد المعروف بابن الناظم وشيخ الإسلام أبو زكريا الأنصاري والعلامة المحقق الشيخ أحمد بن عبد الكريم الأشموني وخلق غير هؤلاء -رحهم الله أجمعين- والأصل في الوقف السكون. أما الروم والإشمام فلبيان الحركة التي هي للحرف وقد أخفاها السكون[2] والملاحظ من جهود هؤلاء القدماء أن جل اهتمامهم كان منصبا على خدمة القرآن الكريم ولهذا نجدهم اجتهدوا في وضع علامات الوقف الواجب والجائز والممتنع في المصحف الكريم وقسموه إلى" وقف اختياري واضطراري[3] لأن الكلام إما أن يتم أولا، فإن تم كان اختياريا، وكونه تاما لا يخلو إما أن لا يكون له تعلق بما بعده ألبتة أي لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى نحو قوله تعالى: (مَـٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) وقوله تعالى: (أُوْلَـٰئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، وأكثر من يوجد هذا النوع في رؤوس الآي، وعند انقضاء القصص، وسمى هذا النوع من

1- هداية القارئ، ص 369.

2- من كلام أحد المحكمين للبحث.

3- النشر 225/1 وما بعدها.

الوقف بالتام لتمامه المطلق يوقف عليه ويبتدأ بم بعده، فإن كان له تعلق لا يخلو هذا التعلق إما أن يكون من جهة المعنى فقط نحو قوله تعالى: (أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (6)خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ) فآخر الآية كلام تام ليس له تعلق بما بعده لفظا زلكنه متعلق من جهة المعنى لأن كلا منهما إخبار عن حال الكفار، فالوقف في هذه الآية على قوله تعالى: (يُؤْمِنُونَ) والابتداء بقوله تعالى: (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ)، وسمي كافيا للاكتفاء به عما بعده واستغناء ما بعده عنه وهو كالتام في جواز الوقف عليه والابتداء بما بعده. أما إن كان التعلق من جهة اللفظ فقط نحو الوقف على قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلّهِ) وعلى (رَبِّ الْعَالَمِينَ) وعلى (الرحمن) يفهم لك الابتداء بقوله تعالى: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) و(رَبُّ الْعَالَمِينَ) و(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) و(الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ) و(غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ) لا يحسن لتعلقه لفظا فإنه تابع لما قبله إلا ما كان من ذلك رأس أية فالابتداء به سنة، ويسمى هذا النوع من الوقف بالوقف الحسن لأنه في نفسه حسن مفيد يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده للتعلق اللفظي إلا أن رأس آية -كما أشرنا- فإنه يجوز في اختيار أكثر أهل الأداء. فإن لم يتم الكلام لتعلق معناه بما بعده لفظا ومعنى كالوقف على المضاف دون المضاف إليه وعلى المبتدأ دون خبرة أو على الفعل دون فاعله كالوقف على (الْحَمْدُ) من (الْحَمْدُ لِلّهِ)، أو على لفظ (بِسْمِ) من (بِسْمِ اللّهِ) وهكذا كل ما لا يفهم منه معنى لأنه لا يعلم إلى أي شيء أضيف، فالوقف عليه قبيح لا يجوز تعمده إلا لضرورة كانقطاع نفس أو عطاس أو نحو ذلك فيوقف عليه للضرورة ويسمى (وقف ضرورة)، فإذا وقف (اختياريا أو اضطراريا) على آخر الكلمة في أي قرآن الكريم، وكان ما قبل هذا الحرف الأخير حرف مد أو لين جاز مد الصوت به أو قصره فالقصر: حركتين، والمد ويشمل: التوسط: وهو بقدار أربع حركات، والإشباع وهو بمقدار ست حرمات -كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق-.(٩)

(٩) ينظر الاتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي،

الباب الثاني

المدّ وأنواعه التعريف بالمد العارض عند القراء

الفصل الأول

المد وأنواعه في القرآن الكريم

1- حده وأقسامه،

2- حكمه

3- الأوجه الجائزة في المد العارض للسكون

4- صور المنع وهي أربع

1ـ حده وأقسامه:

المد العارض للسكون ويقال له أيضا الجائز والعارض[1]، وسمي عارضا لعروض سببه في الوقف وهو السكون، وجائزا لجواز قصره ومده عند كل القراء[2]، ويعنون به: أن يقع سكون عارض للوقف على الحرف بعد حرف المد –قيل– وحده[3] وهو الغالب –أو اللين– عند بعضهم[4]، وذلك بأن يكون الحرف قبل الأخير من الكلمة حرف مد –غالبا– أو لين– على قول، والحرف الأخير متحرك طبعا، فإن درجنا الكلام ووصلنا الكلمة بما بعدها كان طبيعيا، وإن وقفنا على الحرف الأخير بالسكون صار المدّ الذي قبل الحرف الأخير مدا بسبب السكون العارض، فمثال حرف المد قوله تعالى: (يُذْهِبْنَ السَّـــيِّئَاتِ) –سورة هود آية 115–، وقوله تعالى: (بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ) –هود– آية 45–، وقوه تعالى: (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) –هود– آية39– وقوله تعالى: (أَلاَ بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ) –هود– آية 60–، ومثال حرف اللين قوله تعالى: (عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) –هود– آية 37–، ويدخل فيه ما إذا كان الساكن في همز بعد حرف المد نحو قوله تعالى: (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء) –هود– آية 07–، وقوله تعال: (مِّمَّا يَعْبُدُ هَـــؤُلاء) –هود– آية 109.

---

[1]– هداية القارئ، ط1، ص 307.

[2]– مصدر نفسه، ص 307.

[3]– حق التلاوة: حسني عثمان، طباعة شركة المطابع النموذجية، عمان، الأردن، ص77، وانظر أيضا "أسنى المعارج إلى معرفة صفات الحروف والمخارج "لعبد الرقيب مقبنة، دار الروائع، دمشق، سنة 1407هـ، ص 22.

[4]– أسنى المعارج إلى معرفة صفات الحروف والمخارج، ص 22 وما بعدها.

2. حكمه:

وهذا النوع من المد جائز باتفاق أهل الأداء من أئمة فيجوز مده وقصره عند كل القراء، والأفضل فيه الست وهو التام[1]: وفيه ثلاثة أوجه

الأول: القصر ومقداره حركتان، الثاني: التوسط ومقداره أربع حركات، رالثالث: الإشباع ومقداره، ست حركات وتجرى هذه الأوجه الثلاثة على هذا الترتيب في كل مدّ عارض للسكون إلا المدّ العارض للسكون، الذي أصله المد المتصل الموقوف على همز كقوله تعالى: (يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء) –هود– آية –43– فلا يجوز فيه القصر بأي من الأحوال على آخر الكلمة (الْمَاء) بالسكون، وإنما يخيّر القارئ فيه وأمثال الوقف بين التوسط والإشباع وما دونها، وبالنسبة لحفص عن عاصم فيجوز له المد وفقا بقدر أربع حركات أو خمس أو ست[2]. ووجه القصر (وهو حركتان) نظرا لعروض السكون للا يعتد مع الوقف يجوز فيه التقاء الساكنين مطلقا[3]، ومع الوصل يصير مدا طبيعيا[4]، وهذا الوجه يستحب في القراءة مع مرتبة الحذر، ووجه التوسط (أربع حركات) لمراعاة اجتماع الساكنين مع ماحظة كونه عارضا فحط عن الأصل وأصبح لا هو معدوم مطلقا حتى يكون كالمد الطبيعي ولا هو موجود دائما حتى يكون أصليا فيمد ست حركات كاللازم وملاحظة عروضه جعلته في مرتبة متوسطة، وهذا الوجه يستحب في رالقراءة مع مرتبة التدوير، ووجه الإشباع (ست حركات) كاللازم لاجتماع الساكنين اعتدادا بالعارض حيث

---

[1]– النشر، 335/1، وأنظر هداية القارئ، ص 308.

[2]– هداية القارئ.

[3]– النشر 335/1، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي أبي طالب، ط2، 62/1.

[4]–غاية المريد في علم التجويد، عطية نصر، دار الحرمين للطباعة، القاهرة، ط4، سنة 1413هـ، ص 103.

يلتقي ساكنان فليزم المد الطويل للتخلص من التقاء الساكنين، وهذا الوجه في القراءة يستحب مع مرتبة الترتيل[1].

3- الأوجه الجائزة في المد العارض للسكون:

المد العارض للسكون -بالمعنى الذي حدد سابقا- لا يخلوا إما إن يكون سكونه العارض في همز (وهو المد المتصل الموقوف فيه على همزة) نحو قوله تعالى: (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء) سورة هود-آية 07-، وقوله تعالى: (مِّمَّا يَعْبُدُ هَـؤُلاء) هود- آية 109، وهذا بخلاف قوله تعالى: (مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ) مريم- آية 28، أو يكون هاء تأنيث نحو قوله تعالى: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ) إبراهيم- آية 40، أو هاء ضمير نحو قوله تعالى: (ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ) هود- آية 2، أو يكون غير ذلك نحوقوله تعالى: (وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) هود- آية- 12، فإن كان المد العارض للسكون في غير ما آخرره همز فيما يسمى المد المتصل الموقوف على همزة نحو قوله تعالى: (وَلَـكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) هود- آية 29، فإن كان آخر الكلمة التي فيها المد العارض للسكون مفتوحا سواء أكانت فتحة إعراب نحو قوله تعالى: (أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ) هود- آية - 85، وقوله تعالى: (فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ) هود- آية- 98، أم فتحةِ بناء نحو قوله تعالى: (إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) هود -آية- 32، وقوله تعالى: (أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ) هود- آية 68، فقد ورد فيه عن أهل الأداء من أئمة القراءة ثلاثة أوجه 24: الأول: الإشباع بمقدار ست حركات كاللازم. الثاني: التوسط بمقدار أربع حركات، والثالث: القصر بمقدار حركتين كالمد الطبيعي وكلها مع السكون المحض

[1]- شرح الشاطبية، علي محمد الضباع، مطبعة محمد علي صبيح، ص 53، وأنظر أيضا النشر 335/1.

الخالي من الروم والإشمام[1]. وإن كان آخر الكلمة التي فيها المد العارض للسكون مجرورا سواء أكانت حركة الجر للإعراب نحو قوله تعالى: (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) هود- آية -81، وقوله تعالى: (مِّمَّا يَعْبُدُ هَــؤُلاء) هود- آية - 109، ففيه أربعة أوجه للقراء وهي: القصر والتوسط والإشباع وكله بالسكون المجرد ثم الوقف بالروم ولا يكون إلا مع القصرة[2]. فإن كان آخر الكلمة التي فيها المد العارض للسكون مرفوعا سواء أكان للإعراب نحو قوله تعالى: (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ) هود- آية - 40، أم بناء نحو قوله تعالى: (كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ) هود- آية -95، ففيه سبعة أوجه لجميع القراء وهي المدود الثلاثة التي هي القصر والتوسط والإشباع بالسكون المجرد الخالص من الروم والإشمام ثم يؤتي بهذه المدود الثلاثة مرة أخرى بالسكون مع الإشمام ثم الروم ولا يكون إلا مع القصر وذلك لأن الروم مثل الوصل وأصل المد العارض للسكون في حالة الوصل كان طبيعيا ومده حركتان[3]، ولهذا كان الوقف بالروم كالوصل أي على حركتين، أما إن كان آخر الكلمة التي فيها المد العارض للسكون همزة فيما يعرف بالمد المتصل الموقوف على همزة نحو قوله تعالى: (بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ) هود- آية- 64، وقوهل تعالى: (أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء) هود- آية -87، فلا يخلو هذا المد من أحد أمرين: أولا: إما أن يكون مسبوقا بأحد المدين

[1]- الروم: هو إضعافك الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها لها صوت خفي يسمعه القريب المصغي دون البعيد لأنها غير تامة، والمراد بالبعيد الأعم من أن يكون حقيقة أو حكما فيشمل الأصم والقريب غير المصغي، والإشمام: أن تضم شفتيك بعيد الإسكان إشارة إلى ضم وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج منه النفس ولابد من اتصال ضم الشفتين بالإسكان فلو تراخى فإسكان مجرد لا إشمام ولا يدرك لغير البعيد. وفائدة الروم والإشمام بيان الحركة الأصلية التي تثبت في رالوصل للحرف الموقوف عليه ليظهر للسامع أو الناظر كيف تلك الحركة ولذا يستحسن الوقف بهما إذا كان بحضره القارئ من يسمع قراءته أما إذا قرأ في خلوة فلا داعي إلى الوقف بهما، شرح الشاطبية، ص 121.

[2] تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، تح، عبد الفتاح القاضي، دار الرعي بحلب، ط1، سنة 1392هـ، ص 60، وأنظر هداية القارئ، ص 308، وما بعدها.

[3]- شرح المقدمة الجزرية، زكريا شيخ الإسلام الأنصاري، ص 37.

(المتصل أو المنفصل) أو بهما معا ويسمى هذا المد حينئذ بالمد المتصل الموقوف على همزة المجموع مع ما قبله.

ثانيا: أولا يكون مسبوقا بأحد هذين المدين ألبته ويطلق عليه حينئذ بالمد المتصل الموقوف على همزة المنفرد، ولكل منهما في قراءة حفص أحكام أدائية خاصة به تجمل في الآتي[1]:

أولا: المد المتصل الموقوف على همز أو المسبوق بأحد المدين أو بهما معا: المد المتصل الموقوف على همزة المسبوق بأحد اتلمدين –المتصل والمنفصل– –أو بهما معا تختلف أوجه في المد به عن ذلك المد المتصل الموقوف على همزة المنفرد هذا من ناحية وكذلك تبعا لنوع الحركة التي تقع عليه (فتحا أو كسرا أو ضما) من ناحية أخرى، فإن كان مفتوحا (سواء أكانت الفتحة للإعراب أم كانت للبناء) نحو قوله تعالى: **(أُولَـئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء)** هود– آية– 20، ففيه لحفص أربعة أوجه[2]: مد المنفصل في الآية الأولى –مثلا– والمتصل في الثانية مقدار أربع حركات، وعليه يأتي في المتصل الموقوف على همزة أربع حركات فأو ست بالسكون المجرد، مد المنفصل والمتصل في الآيتين بمقدار خمس حركات، وعليه يأتي في المتصل لموقوف على همزة خمس حركات أو ست بالسكون المجرد أيضا. وما ذكر هنا في المتصل الموقوف على همز هو مثال فتوح الذي فتحته فتحة بناء، ومثله بالضبط المتصل الموقوف على همز المنصوب الذي فتحته أعراب، أما المجرد كان آخر الكلمة التي فيها المد المتصل الموقوف على همزة مكسورا وكان هذا المد مسبوقا بالمد المنفصل نحو قوله تعالى: **(وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيدًا)** النساء– آية– 41، أو كان مسبوقا بالمد المتصل تنحو قوله تعالى: **(يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء)** الأحزاب–

[1]– التحبير لابن الجزري، ص 62، وأنظر هداية القارئ، ص 315 وما بعدها.
[2]– شرح الشاطبية، ص 48، وما بعدها.

آية– 32، ففيه لحفص ستة أوجه: مد المنفصل أو المتصل المذكور أولا كما في الآيات القرآنية، أربع حركات وعليه يأتي في المد المتصل الموقوف على همزة أربع حركات أو ست بالسكون المجرد ثم الوقف بالروم مع المد بأربع حركات كذلك فهذه ثلاثة أوجه ثم مد المنفصل أو المتصل المتقدم –كما في الآيات القرآنية– مقدار خمس حركات أيضا وعليه يأتي في المتصل الموقوف على همزة خمس حركات أو ست بالسكون المجرد ثم الوقف بالرورم مع المد بخمس حركات فيهما فهذه ثلاثة تضم للثلاثة الأولى فتصير ستة أوجه، أما إن كان آخر الكلمة التي فيها المد المتصل الموقوف على همز مرفوعا (سواء أكان الرفع للإعراب أو للبناء) وكان مسبوقا بالمد المنفصل أو المتصل نحو قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء) البقرة– آية– 13، وقوله تعالى: (يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء) البقرة، آية 284، لحفص عشرة أوجه في كل كلمة (السفهاء ويشاء) على النحو التالي:

أولا: مد الأول في أمثال الآيتين أربع حركات، وعليه يتأتى في المد المتصل الموقوف على همز نحو (السفهاء ويشاء) أربع حركات أو ست بالسكون المجرد فيهما ثم بالسكون أربع حركات أو ست مع الإشمام مرة أخرى ثم الوقف بالروم مع المد بأربع حركات فقط فهذه –كما نرى– خمسة أوجه أتت على مد الأول أربعا.

ثانيا: مد الأول في أمثال الآيتين المذكورتين سابقا خمس حركات وبناء عليه يأتي في المد المتصل الموقوف على همز في نحو (السفهاء ويشاء) من الآيتين خمس وست بالسكون المجرد فيهما ثم يؤتى بهما بالسكون مع الإشمام خمس حركات أو ست مرة ثانية ثم الوقف بالروم مع المد بخمس حركات فحسب، وهذه –كما نلاحظ– خمسة أوجه أيضا أتت على مد الأول خمسا تضم للخمسة الأوجه السابقة فتصير عشرة أوجه كلها صحيحة لا سقيم فيها ولا فيما سبق من أوجه، فإن آخر الكلمة التي فيها المد العارض للسكون هاء

تأنيت وهي التي في الوصل تاء وفي الوقف هاء نحو قوله تعالى: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ) إبراهيم – آية – 40، وقوله تعالى: (إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً) آل عمران– آية – 28، ففيه قولان:

القول الأول: وهو لكل القراء أن فيه ثلاثة أوجه: القصر وهو بمقدار حركتين، والتوسط: وهو بمقدار أربع حركات، والإشباع، وهو بمقدار ست حركات، ويستوي في ذلك ما كان منصوبا نحو قوله تعالى: (وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ) البينة– آية– 5، أو مجرورا قوله تعالى: (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ) يوسف– آية– 88، أو مرفوعا نحو قوله تعالى: (مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ) آل عمران– آية – 93، من غير إشمام ولا روم لأن هاء التأنيت ضمن المواضع التي لا يدخلها روم ولا إشمام[1]، والعلة في ذلك أن الهاء مبدلة من التاء كانت في الوصل والروم والإشمام لا يدخلان في حرف كانت الحركة في غيره ولم تكن فيه، وم يأت هذا العارض مفتوحا ولا مكسورا ولا مضموما لأن هاء التأنيث معربة دائما وليست مبنية[2].

القول الثاني: وهو لبهضهم، أن فيه الإشباع فقط وجها واحدا كالمد اللازم وحجتهم في ذلك أن السكون لازم في الحرف الموقوف عليه لعدم تحرك الهاء في الوصل والوقف، أما عدم تحركها في الوصل فلعدم وجودها فيه، وأما عدم تحركها في الوقف فظاهر وحينئذ تندرج فيما سكونه لازم وتمد الألف قبلها مدا طويلا في الوقف ولا يجوز فيه –عندهم– القصر ولا التوسط3. فإن كان المد الجائز العارض للسكون الذي وقع سكونه العارض في هاء الضمير نحو قوله تعالى: (اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) النحل– آية 121، وقوله تعالى: (مَّا فَعَلُوهُ) رالأنعام –آية–

---

[1]– شرح الشاطبية، ص 122.

[2]– المصدر السابق، ص 122 وما بعدها.

[3]– هداية القارئ، ص 38 وما بعدها.

112، وقوله تعالى: (لاَ رَيْبَ فِيهِ) البقرة- آية- 2، وقوله تعالى: (وَالَّذِي قَالَ وَالِدَيْهِ) الأحقاف- آية- 17، فقد وقع الإجماع فيه من جميع القراء على المد به قصرا وتوسطا وإشباعا. واختلفوا في جواز الروم والإشمام فيه على ثلاثة مذاهب:

الأول: منع الروم والإشمام فيهامطلقا قياسا على هاء التأنيث لما بينهما من التشابه في الوقف.

الثاني: جواز الروم والإشمام فيها مطلقا بشروطها المعروفة.

الثالث: التفصيل، وهو مذهب أكثر المحققين وأعدل المذاهب عند الحافظ ابن الجزري في النشر[1]، وحاصله منع الروم والإشمام فيها في أربع صور، وجوازهما فيما عداها وذلك على النحو التالي:

4ـ صور المنع: وهي أربع:

الأولى: أن يقع قبل الهاء ياء ساكنة سواء كانت مديه نحو قوله تعالى: (أَنْ أَرْضِعِيهِ) القصص- آية- 7، أو لينة نحو قوله تعالى: (وَالِدَيْهِ) الأحقاف- آية- 17.

الثانية: أن يقع قبلها واو ساكنة ويستوي في ذلك الواو المدية نحو قوله تعالى: (أَوْ حَرِّقُوهُ) العنكبوت- آية- 24، أو اللّيّنة نحو قوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَوْهُ) الأحقاف- آية- 24.

الثالثة: أن يقع قبلها كسرة نحو قوله تعالى: (إِلَى أَهْلِهِ) الداريات- آية- 26. وقوله تعالى: (حَقَّ قَدْرِهِ) الحج- آية- 74.

[1]- النشر 122/1.

الرابعة: أن يقع قبلها ضمة نحو قوله تعالى: (قُلْتُهُ) المائدة- آية- 116. وقوله تعالى: (فَمَا جَزَآؤُهُ) يوسف- آية- 75، وفيما يوى هذه الصور الأربع يجوز الوقف بالروم والإشمام وذلك في:

الأولى: أن يقع قبلها فتحة نحو قوله تعالى: (فَقَدْ عَلِمْتَهُ) المائدة- آية- 116.

الثانية: أن يقع قبلها ساكن صحيح نحو قوله تعالى: (فَلْيَصُمْهُ) البقرة- آية- 185، وقوله تعالى: (اسْتَأْجِرْهُ) القصص- آية- 26.

الثالثة: أن يقع قبلها ألف المد نحو قوله تعالى: (فَبَشَّرْنَاهُ) الصافات- آية- 101، وقوله تعالى: (عَلَّمْنَاهُ) الأنبياء- آية- 68.

الفصل الثاني

1- المد المتصل الموقوف على همز المنفرد

2- طريقة إدخال واستخراج النتائج من المحلل (الصوتي)

3- ملاحظات عامة حول النتائج

4- حروف المد الطويلة (الصوائت)

1- المد المتصل الموقوف على همز المنفرد:

ونعني به ذلك المد المتصل الموقوف على همزة الذي لم يسبق بمد متصل ولا بمنفصل في النص القرآني المقروء، وفيه لحفص عن عاصم عدة أوجه تجمل في الآتي:

1. فإن كان آخر الكلمة التي فيها المد المتصل الموقوف على همزة مفتوحا سواء أكانت الفتحة للإعراب كأن يكون منصوبا نحو قوله تعالى: **(نَسُوقُ الْمَاءَ)** السجدة- آية- 27، أم للبناء نحو قوله تعالى: **(فَقَدْ بَاءَ)** الأنفال- آية- 16، ففيه ثلاثة أوجه لحفص عن عاصم: وهي الوقف بمقدار أربع حركات أو خمس أو ست بالسكون المجرد فقط.

2. وإن كان آخر الكلمة التي ورد المد المتصل الموقوف على همزة مكسورا سواء أكانت الكسرة لإعراب نحو قوله تعالى: **(عَلَى سَوَاءٍ)** الأنبياء- آية- 109، وقوله تعالى: **(وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)** هود- آية- 7، أم للبناء نحو قوله تعالى: **(لاَ إِلَى هَـؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَـؤُلاءِ)** النساء- آية- 143 ففيه خمسة أوجه لحفص عن عاصم وهي: الوقف بأربع أو خمس أو ست بالسكون المجرد، ثم الروم مع المد بأربع حركات وخمس فقط ذلك لأن الروم كالوصل وحينئذ بمد المتصل في الوصل أربع حركات وخمس.

3. أما إن كان آخر الكلمة التي ورد فيها المد المتصل الموقوف على همزة مضموما سواء أكان الضم حركة إعراب نحو قوله تعالى: **(وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ)** البقرة- آية- 261، وقوله تعالى: **(فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ)** البقرة- آية- 284، للبناء نحو

قوله تعالى: (وَيَا سَمَاءِ) هود– آية– 44، لحفص عن عاصم ثمانية أوجه وهي: الوقف بأربع حركات أو خمس او ست وكلها بالسكون المجرد، ثم يؤتى بهذه الأوجه الثلاثة مرة أخرى بالسكون مع الإشمام ثم الروم مع المد بأربع حركات وخمس فحسب فهذه هي الأوجه الثمانية[1].

أحاول من خلال هذا البحث وما أشبهه من البحوث التطبيقية لأصوات اللغة التي خصصت لدراسة طول الصوت اللغوي كما يقرره أصحاب المباني (الصرفيون) ويعترف به نظام اللغة مقارنا بذلك الزمن للصوت اللغوي الذي يستغرقه النطق به مقدار بجزء من الثانية أن يقف –بطريق التطبيق– على المدة الزمنية التي يستغرقها النطق بصوت المد –عامة– فيما يعرف عند القراء بالمد العارض للسكون وذلك من خلال نص من القرآن الكريم (هو سورة هود –عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم) مقروءة برواية حفص عن عاصم على طريقة الترتيل بأصوات أربعة من القراء المجيدين المعاصرين هم على الترتيب (الشيخ محمود خليل الحصري –ت1980م، والشيخ محمد صديق المنشاوي –ت1969م والشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد –ت1988م، رحمهم الله، والشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي –أمد الله في عمره–وكانت مادة النص مسجلة على شرائط من الكاسيت، وهي من تسجيلات (الدارين الإسلامية، والإصلاح الإسلامية)، وبعد تسجيل أصوات المقرئين الأربعة –بصفة عامة– تسجيلا نقيا خاليا من المؤثرات الصوتية الأخرى، وقد روعي في اختيار مادة النص (سورة هود –عليه السلام–) من القرآن الكريم عدة اعتبارات أهمها:

---

[1]– هداية القارئ، ص 308 وما بعدها.

1. أن تكون ممثلة لمعظم صور المد العارض للسكون، ومتضمنة معظم قواعده، إذ تنوعت نهايات أي سورة المباركة بين الحروف الوقفية والاحتكاكية والمتوسطة، واشتملت على أنواع المد العارض للسكون جميعها في حروف مد أو لين بما في ذلك المد المتصل الموقوف على همزة، وقد أتى فيها المد العارض للسكون منفردا في آيات كثيرة، كما جاء مسبوقا بمد متصل أو بآخر منفصل أو بهما معا في آيات أخرى.

2. ظل أداء القراء الأربعة للآيات القرآنية –موضوع البحث– وما يزال يلتزم بطرق الاداء الصحيح لأصوات اللغة العربية التي نول بها على رسول الله ﷺ كونه النص اللغوي الوحيد الذي نقل إلينا متواترا بالمشافهة على ألسنة القراء كل يأخذ قراءته عن شيوخه السابقين له إلى أن تنتهي بهم السلسلة إلى رسول الله ﷺ وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف –بطريق التجريب– على ما يأتي:

أ. المتوسط العام للدة الزمنية للمد بصوت المد وما في حكمه (حروف اللين) –صورة عامة– في قراءة هؤلاء القراء الأربعة للآيات القرآنية من سورة (هود عليه السلام) التي أخضعت للدراسة في هذا البحث وذلك في ضوء التأثيرات الأدائية التي تطرأ على المدة الزمنية للنطق بصوت المد فيما يعرف عند القراء بالمد العارض للسكون.

ب. المتوسط العام للمدة الزمنية للحرف الصامت المؤلف مع الصائت الطويل في المد (العارض للسكون) الموقوف عليه والآتي قبله.

ج. المتوسط العام للمد بحرف الصائت الطويل في المد (العارض للسكون) تبعا لنوع الصائت المؤلف معالحرف الصامت الموقوف عليه والمجاور له في السياق الأدائي.

المتوسط العام للمدة الزمنية للنطق بحرف المد (في المد العارض للسكون) في النص المشتمل على مد أو أكثر سواء أكان هذا المد متصلا أو منفصلا وورد من مرة

أو مع غيره، في آية واحدة أو في النص المقروء بشرط أن يؤدي كل ذلك في نفس واحد حسبما تقره قواعد الأداء التي ذكرت في المقدمة.

بالإضافة إلى أمور أخرى تتعلق بحساب المدة الزمنية لهذا المد والأوجه المدية الجائزة فيه وطرائق القراء الأربعة في الالتزام بذلك من عدمه.

2ـ طريقة الادخال واستخراج النتائج:

أ. بعد اختيار مادة البحث الممثلة للظاهرة وهي –كما ذكرنا سابقا– سورة (هود وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم) مقروءة بأصوات أولئك القراء الأربعة سبقت الإشارة إليهم وتم تحديد الأهداف على النحو الذي ذكر سابقا ... رمز إلى كل مقرئ –حسب ماورده في الترتيب السابق– برقم من الأرقام (1–4) فالشيخ محمود خليل الحصري –مثلا– رمز إليه بالرقم (1) ورمز إلى الشيخ المنشاوي بالرقم (2) بينما رمز إلى الشيخ عبد الباسط بالرقم (3) وإلى الشيخ الحذيفي بالرقم (4)، ثم قامت بإدخال قراءة كل مقرئ على حدة في جهاز التسجيل الخاص بالجهاز الصوتي (Sona –Graph Model 5500) تبعا لطريقة الادخال المرفقة صورتها مع هذا البحث.

ب. بدأت بعد ذلك باستقراء صور المد العارض للسكون تبعا لورودها في الآيات الكريمة في قراءة المقرئ رقم (1) ورصدت نتائجها على حدة، ثم نظرت بعد ذلك إلى قراءة المقرئ رقم (2) وفعلت بها مثل ما فعلت بسابقتها ... الخ، ثم صنفت عينيات كل مقرئ على حدة وجرى استخراج المتوسط العام لكل عينة من المد العارض للسكون لدى القراء الأربعة مجتمعين على النحو الذي نراه في الجداول المرفقة، وقد تحصلت بعد هذا الاستقراء على (540) عينة هي حاصل ضرب (135) عينة في عدد القراء وهم أربعة (4)، وهناك (23) عينة وردت في الجداول هي موضع خلاف بينهم، فمن هؤلاء القراءؤ وقف عندهم اضطرارا، ومنهم من وصل كلامه دون توقف لعدم توفر دواعيه -كما أشرنا إلى ذلك في موضعه من الجداول المرفقة-. وبالتأمل في هذه الجداول نرى أنها قد توزعت إلى خمس مجموعات وهي:

1. الرقم: ونقصد به الرقم المتسلسل للعيّنان المدروسة حسب ورودها في النص القرآني.

2. الآية: ونقصد به النص القرآني الذي اشتمل على المد العارض للسكون منصوصا عليه بخط من تحته يوضح موقعه في النص.

3. الزمن وقد قسّمته إلى ثلاث مجموعات:

أ. المتوسط العام لمدة المد كاملا: ويقصد به المتوسط العام لزمن المد العارض للسكون الذي ورد في النص القرآني الأدائي وذلك مثل المقطع الوصتي (ذاب) من النص (لَّهُمْ عَذَابٌ) ذي الرقم المتسلسل (27) في الجداول المرفقة، ونقصد به في هذا الحث: الحرف الساكن (الصامت) الذي يسبق حرف المد وحرف المد (الصائت) والحرف الساكن

(الصامت) الذي يأتي بعد حرف المد، وقد بلغ متوسط مدته الزمنية عند المد به لكونه عارضا للسكون (2.490) من الثانية.

ج. المتوسط العام لومن حرف المد (الصائت) ونقصد به ذلك المتوسط العام لزمن حرف المد (الصائت) الطويل الذي اشتمل عليه المد العارض للسكون في النص القرآني المنصوص عليه وذل مثل حرف المد (الصائت) الطويل في المقطع الصوتي (ذاب) من قوله تعالى: (لَهُمْ عَذَابٌ) ذي الرقم المتسلسل (27) في الجداول المرفقة، وقد بلغ متوسط مدته الزمنية عند المد به بسبب الوق في النص المقروء (1.863) من الثانية.

هــ. المتوسط العام لزمن حرف الساكن (الصامت) الأول: ونقصد به ذلك المتوسط العام لزمن الحرف الساكن (الصامت) الأول من المقطع الصوتي الموقوف عليه للسكون العارض مثل "الحرف الساكن (الصامت)حرف "ذ" من المقطع الصوتي (ذات) من قوله تعالى: (لَهُمْ العَذَابَ) ذي الرقم المسلسل 27 في الجداول المرفقة، وقد بلغ 2082 من الثانية.

هــ المتوسط العام لزمن الحرف الساكن (الصامت) الثاني ونقصد به ذلك المتوسط العام لزمن من الحرف الساكن الصامت الأخير الموقوف عليه السكون العارض مثل (ب) من المقطع الصوتي (ذاب) من كلمة العذاب في قوله تعالى: (لَهُمْ العَذَابَ) ذي الرقم المسلسل27. في الجداول المرفقة، قد بلغ (2.145) من الثانية، وبناء عليه فإن المتوسط العام لزمن العارض للسكون في قوله تعالى: (لَهُمْ العَذَابُ) ذي الرقم المسلسل 27. في الجداول المرفقة قد بلغ (2490) من الثانية موزعة هكذا (1.863) من الثانية هو المتوسط العام لزمن حرف المد في المقطع الصوتي ذاب، و(2082) من الثانية هو المتوسط العام لزمن الحرف الساكن الصامت الأول (ذال) من المقطع الصوتي (ذاب) 4521 من الثانية هو المتوسط العام لزمن الحرف الأخير (ب) من المقطع (ذاب).

ز. يلاحظ من صورة الادخال المرفقة أنه قد تمت تهيئة الجهاز الصوتي (Sona Graph Model 5500) على الموجتين الواسعة (Wide Band) والضيقة (Narrow Band)، ويتردد قدره أربعة كيلوهيرتز (4KHZ) لتصبح المسافة بين كل مكون والمكون الذي يأتي بعده من المكونات الأساسية للحرف المشار إليها بالخطوط الأفقية على الصورة الطيفية خمسمائة (500) تزدد في الثانية (د/ت) في كلتا الموجتين، ووزع الوقت المشار إليه بالخطوط الأفقية في الصورة –موضوع الدراسة– إلى أربع ثواني لتصبح الفترة الزمنية بين كل خط والخط الذي بعده –على وجه الدقة– (2000) من الثانية، وكان نمط القوة المقدر بالديسبل (27) على الموجة الاولى و(32) على الموجة الثانية)، وبهذه الكيفية تم إدخال مادة البحث (النص القرآني) في جهاز التسجيل الخاص بالجهاز الصوتي وعرضت الصورة الطيفية لكل لفظ اشتمل على مد عارض للسكون على شاشة العرض التي زود به هذا الجهاز وبعد تحديد موقع هذا المد من اللفظ (بداياته ونهاياته) –عن طريق السهمين الرأسيين الذين زود بهما الجهاز اتلصوتي– والتعرف على الحروف التي تسبقه أو تلك الأخرى التي تأتي بعده وتأثيرها فيه ... تم رصد قيمته الزمنية التي يتم حسابها مباشرة عن طريق الجهاز الصوتي –كما هو مبين على الصورة المرفقة– وقد تم استخراج نتائج عينات هذه الدراسة جميعها –كما نراها في الجداول– من الجهاز الصوتي وليس عن طريق الصور.

نماذج من صور الأسبكتروجراف: l'espectrographie:

(1) p 420

(2) P 420

(1) P 421

(2) P 421

(3) P 421

(1) p 422

(2) P 422

(3) P 422

بيانات لعينات من الكلام القرآني وتحليله على الاسبكتروجراف: l'espectrographe:

الكلمة في النص	المتوسط العام للمد	المتوسط العام لزمن الصائت	المتوسط العام للصامت	المتوسط العام للصامت 2
1. حكيم خبير	2.073	1.689	1770	3582
2. إلا الله	1.963	1.368	1666	3497
3. نذير وبشير	1.843	1.470	4518	1937
4. يوم كبير	2.114	1.509	2707	2436
5. شيء قدير	1.776	1.096	1957	3207
6. وما يعلنون	1.804	1.339	2540	2749
7. الصدور	2.096	1.647	2061	2624

8. حتاب مبين	2.174	1.739	1.791	2666
9. على الماء	3.193	2.668	2187	3062
10. سحر مبين	1.834	1.416	1790	2645
11. يستهزؤون	1.952	1.520	1332	3082
12. كفور	2.062	1.589	2207	2812
13. فخور	2.307	1.786	1970	2978
14.كبير	2.591	2.127	1791	2645
15. أنت مدير	2.276	1.732	1957	3376
16. وكيل	2.871	2.336	2395	2999
17. افتراه 37	2.038	1.491	1457	4062
18. صادقين	2.684	2.038	2311	4145
19. مسلمون	2.482	1.892	3103	3832
20 لا يبخسون	2.763	2.039	2561	4749
21. النار 38	2.130	1.518	1812	4374
22. يعلمون	2.550	1.905	1374	4624
23. لا يؤمنون	2.613	2.093	1499	3936
24. الظالمين	2.238	1.755	1541	3582
25. كافرون	2.386	1.849	1332	4040
26. أولياء	3.229	2.675	2332	3207

4521	2082	1.863	2.490	27. العذاب
3811	1416	1.830	2.534	28. يبصرون
4582	1332	2.041	2.566	29. يفترون
3478	1541	2.111	2.601	30.الأخسرون
4728	1957	2.036	2.692	31. خالدون
4041	1853	1.878	0.544	32. والسميع
4187	1624	1.753	2.307	33. تذكرون
3280	1874	1.783	2.270	34. نذير مبين
4218	1968	1.699	2.299	35. إلا الله
2936	1603	1.797	2.218	36. يوم أليم
3728	1961	1.520	2.038	37. كاذبين
3978	2166	1.651	2.269	38. كارهون
3270	1499	1.722	2.190	39. على الله
3353	1457	1.813	2.280	40. تجهلون
1445	1353	1.745	2.273	41. تذكرون
3624	1456	1.793	2.341	42. الظالمين
3520	2207	1.738	2.500	43. الصادقين
3853	2853	1.993	2.660	44. بمعجزين
4499	2267	2.267	2.823	45. ترجعون

4666	1290	1.489	2.253	46. اقتراه
3770	1582	1.996	2.598	47. مما تجرمون
3520	1562	2.023	2.531	48. يفعلون
4270	2499	2.178	2.848	49. مغرقون
4416	1540	1.836	2.432	50. تسخرون
5041	2291	2.213	2.929	51. مقيم
2957	1332	1.911	2.296	52. قليل
3499	2561	2.242	2.830	53. رحيم
4624	1415	1.849	2.417	54. الكافرون
3749	2124	2.630	3.219	55.من الماء 39
3957	2416	2.282	2.890	56. المغرقين
4561	1457	1.697	2.285	57. الظالمين
4395	1541	1.983	2.533	58. الحاكمين
4832	1520	1.846	2.476	59. الجاهلين
4082	1457	2.240	2.774	60. الخاسرين
4020	1228	2.221	2.732	61. أليم
3936	2416	2.508	3.129	62. للمتقين
3832	1520	2.046	2.632	63. مفترون
3957	1665	2.209	2.732	64. تعقلون

65. مجرمين	2.597	1.961	1936	4437
66. بمؤمنين	2.584	2.057	1541	3228
67. بسوء	3.307	2.680	2436	3853
68. تشركون	2.515	1.918	2206	4041
69. تنظرون	2.082	1.518	1665	3624
70. مستقيم	2.976	2.485	2166	2895
71. حفيظ	2.996	2.411	2411	3644
72. غليظ	2.538	1.007	1728	3665
73. عنيد	2.180	1.784	1499	3457
74. هود	2.423	1.932	1853	3728
75. توبوا إليه	2.155	1.453	1969	5207
76. مجيب	2.692	2.118	2395	3957
77. مريب	2.342	1.792	1353	3957
78. تخسير	2.731	2.144	2370	3561
79. قريب	2.681	2.132	1603	3749
80. أيام 40	2.574	1.792	2093	4718
81. مكذوب	2.610	1.930	2207	4186
82. العزيز	2.527	2.005	2395	2978
83. جاثمين 41	2.267	1.908	2061	3030

84. لثمود	2.586	1.834	2124	4312
85. سلام 42	2.735	1.142	1374	4780
86. حنيذ	2.282	1.826	1520	2874
87. لوط	2.667	2.067	1812	4228
88.يعقوب	2.401	1.860	2478	3207
89. عجيب	2.605	2.038	2499	3624
90. الله 43	1.706	1.081	1499	4812
91. البيت	2.353	1.861	1710	4020
92. مجيد	2.546	2.038	2332	3811
93. لوط	2.349	1.760	1832	3978
94. منيب	2.750	2.234	1978	3541
95. كردود	2.955	2.359	2166	3707
96. عصيب	2.926	2.271	2686	4023
97. السيئات	2.586	2.051	1436	4790
98. رشيد	2.659	2.032	2791	3957
99. ما نريد	2.688	2.152	1457	4082
100. شديد	2.643	2.106	2124	3791
101. إليك 44	2.467	1.836	1874	5373
102. بقريب	2.676	2.161	1249	3874

3062	2499	2.042	2.594	103. منضود
4166	2637	1.666	2.316	104. ببعيد
5062	1999	2.085	2.812	105.الميزان45
4144	2020	2.032	2.642	106. محيط
3645	2541	1.913	2.509	107. مفسدين
4311	1811	1.932	2.553	108. مؤمنين
3436	2811	2.281	2.892	109. بحفيظ
3166	2624	2.660	3.239	110. نشاء
3624	2978	2.2058	2.857	111. الرشيد
3812	1937	1.587	2.230	112. بالله 46
3624	2436	2.375	2.982	113. أنيب
3686	2449	2.003	2.630	114. ببعيد
2905	1687	1.677	2.127	115. إليه 47
4249	2603	1.944	2.617	116. ودود
5312	3562	2.011	2.917	117.لرجمناك48
4416	3061	2.173	2.877	118. بعزيز
4270	2707	2.317	2.980	119. محيط
3666	2207	2.270	2.823	120. رقيب
3007	2062	2.310	2.836	121. جاثمين49

3936	1629	2.317	2.939	122. ثمود
3405	1749	2.221	2.726	123. مبين50
3790	2499	2.444	2.994	124. يرشيد
2437	2187	2.031	2.492	125. النار 51
4020	1749	2.343	3.088	126. المورود
3707	2416	2.342	2.953	127. المرفود
3926	2457	2.225	2.861	128. وحصيد
3603	3249	2.383	3.054	129. تتبيت
3457	1916	2.541	3.069	130. شديد
3916	3142	2.270	3.098	131. مشهود
4437	2249	2.095	2.811	132. معدود52
4644	2749	1.713	2.494	133. وسعيد
3374	1937	2.277	2.799	134. شهيق53
3895	1374	1.998	2.471	135. لما يريد
3332	2166	2.135	2.675	136. مجذوذ
3582	1436	2.657	3.159	137. هؤلاء
3249	2666	2.094	2.673	138. منقوص
3218	2624	2.055	2.605	139. فيه 54
5746	1270	2.036	2.867	140. مريب

3332	2332	1.869	2.432	141. خبير
2728	2645	2.200	2.748	142. بصير
3937	1187	1.980	2.499	143. النار 55
3374	1749	2.623	3.136	144. أولياء 56
3499	1520	1.855	2.328	145. تنصرون
3103	2478	1.682	2.279	146. الليل
4042	1249	1.832	2.334	147. السيئات
3311	1916	1.815	2.294	148. الكرين
3624	1812	2.324	2.874	149. بصير
3145	1645	2.180	2.644	150. المحسنين
3353	1499	1.982	2.450	151. مجرمين
4061	1978	2.290	2.888	152. مصلحون
2436	2468	2.055	2.551	153.مختلفين57
3791	2686	1.951	2.529	154. أجمعين
3749	2061	2.361	2.865	155. للمؤمنين
3343	1780	2.117	2.630	156. عاملون58
4270	1499	1.907	2.492	157. منتظرون
3280	3187	2.146	2.917	158. عليه 59
3832	1770	2.061	2.618	159 تعلمون

3ـ ملاحظات عامة للنتائج:

يعد المد العارض للسكون من المدود الجائزة –بصفة عامة– لعروض سببه؛ وهو الوقف عليه بالسكون ولجواز قصره ومده عند القراء جميعهم فالقصر حركتان والمد يشمل التوسط (وهو بمقدار أربع حركات) والإشباع (وهو بمقدار ست حركات) وتجري هذه الأوجه الثلاثة على الترتيب في كل مد عارض للسكون ونحوه مما سبق ذكره إلا المد المتصل الموقوف على همزة نحو قوله تعالى: (يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء) هود– آية– 43 فلا يجوز فيه القصر أبدا بحالة الوقف، وإنما الجائز فيه –عموما– لمعظم القراء هو التوسط والإشباع وما دونهما وبالنسبة لحفص عن عاصم فيجوز له المد وقفا بقدار أربع حركات أو خمس أو ست وذلك من الطيبة، وقد ما تقدم إلى عدة أمور نجملها فيما يلي:

1. اتضح بعد الاستقراء لنتائج العينات المرفقة وجود خلاف بين القراء الأربعة حول مواضع يجوز فيها المد العارض للسكون فمنهم من وقف عندها اضطرارا ومنهم من وصل الكلام دون توقف لعدم توفر دواعيه عنده وقد أشرنا إلى ذلك في موضعه من الجداول المرفقة.

2. تفاوت قيم المتوسط لزمن المد العارض للسكون الكامل (بالمعنى الذي شرحناه سابقا) بين هؤلاء القراء الأربعة، وقد تبين بعد استقراء نتائج عينات مقرئ على حدة هناك تفاوتا بينهم في المتوسط العام لزمن المد العارض للسكون الكامل على النحو التالي:

أ. بلغ المتوسط العام لزمن المد العارض للسكون الكامل (بالمعنى الذي حددناه سابقا) في قراءة الشيخ الحصري (المشار إليه بالرقم 1 في هذا البحث) (2.5429) من الثانية.

ب. بلغ المتوسط العام لزمن المد العارض للسكون الكامل (بالمعنى الذي حددناه سابقا) في قراءة الشيخ المنشاوي (المشار إليه بالرقم 2 في هذا البحث): (2.4316) من الثانية.

ج. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للمد العارض للسكون الكامل (حسبما حددناه سابقا) في قراءة الشيخ عبد الباسط (المشار إليه بالرقم 3 في هذا البحث): (2.7091) من الثانية.

د. بلغ المتوسط العام لزمن المد العارض للسكون الكامل (كما حددناه سابقا) في قراءة الشيخ الحذيفي (المشار إليه في هذا البحث بالرقم 4): (1.767) من الثانية -كما نلاحظ ذلك في الجدول التالي:

اسم المؤلف	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
الشيخ الحصري	146		371.247
الشيخ المنشاوي	143	347.718	2.4316
الشيخ عبد الباسط	153	414.503	2.7091
الشيخ الحذيفي	145	256.215	1.7270

نستنتج مما تقدم ذكره أن المتوسط العام للمدة الزمنية لزمن المد العارض للسكون الكامل (بالمعنى الذي حددناه سابقا) في قراءة عبد الباسط محمد عبد الصمد -يرحمه الله- يعد الأطول زمنا بين تلك القراءات -موضوع الدراسة- جميعا، وتقاريت قراءتا كل من الشيخ محمود خليل الحصري والشيخ محمد صديق المنشاوي -يرحمها الله- في قيمة المتوسط العام لزمن المد العارض للسكون في حين مال

المتوسط العام لزمن المد العارض للسكون في قراءة الشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي –أمد الله في عمره– إلى أن يكون الاقصر زمنا بين تلك القراءات للقراء الأربعة الذي أخضعت قراءتهم للملاحظة.

3. تقارب المتوسط العام لزمن المد العارض للسكون بكامله (بالمعنى الذي شرحناه سابقا) في قراءة الشيخ محمود خليل البصري –كما نراه في الجدول السابق– من قيمة المتوسط العام لزمن المد العارض للسكون (بالمعنى الذي حددناه سابقا) في قراءة هؤلاء القراء الأربعة مجتمعين –الذين أخضعت قراءتهم لدراسة – حيث بلغ (2.558) من الثانية مما جعلنا نميل إلى جعل قراءة الشيخ محمود خليل الحصري هي المقياس الزمنية الأساسي الذي نرجع إليه –في هذا البحث– للمقارنة بين أداء هؤلاء القراء الذي أخضعت قراءتهم للملاحظة على صفحات هذه الدراسة كما يتضح لنا من هذا الجدول:

اسم المقرئين	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
الحصري، المنشاوي، عبد الباسط، الحذيفي	160	409.28	2.558

4. تقاربت –إلى حد ما– قيم المتوسط العام لزمن بحرف المد (الصائت الطويل) في المد العارض للسكون في قراءات القراء الثلاثة (الشيخ الحصري– الذي بلغ (2.028 من الثانية– والشيخ المنشاوي– الذي بلغ 1.845 من الثانية– والشيخ عبد الباسط– الذي بلغ 2.124 من الثانية) بينما مالت قراءة الشيخ الحذيفي إلى أن تكون الأقصر زمنيا إذ بلغ المتوسط العام لزمن حرف المد (الصائت الطويل) في المد العارض للسكسون أقل من قيمته لدى القراء الثلاثة الآخرين حيث بلغ عنده

(1.2608) من الثانية، مما يعني أن قراءة الشيخ عبد الباسط –يرحمه الله– تميل إلى إطالة زمن المد بحرف المد (الصائت) الطويل في المد العارض للسكون أطول من زمنه لدى القراء الثلاثة الآخرين، في حين مالت قراءة كل من المشايخ: الحصري والمنشاوي والحذيفي إلى الاعتدال في إشباع حرف المد (الصائت) عند المد به في المد العارض للسكون، ولكل وجه عند القراء من الاداء المقبول.

اسم المقرئين	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
الشيخ الحصري	146	296.14	2.028
الشيخ المنشاوي	143	263.941	1.845
الشيخ عبد الباسط	153	324.99	2.12
الشيخ الحذيفي	145	182.822	1.2608

5. تقارب المتوسط العام لزمن المد بحرف المد (الصائت) الطويل في المد العارض للسكون في قراءة الشيخ محمود خليل الحصري –يرحمه الله– حيث بلغ (2.028) من الثانية من قيمة المتوسط العام لزمن المد بحرف المد (الصائت) في المد العارض للسكون في قراءة هؤلاء القراء الأربعة مجتمعين حيث بلغ (1.957) من الثانية، مما يجعلنا نميل أيضا إلى جعل قراءؤة الشيخ الحصري هي المقياس الزمني الأساس –في هذا البحث– الذي تعود إليه قيم المتوسط العام لزمن المد بحرف المد (الصائت) الطويل في المد العارض للسكون في قراءة القراء الثلاثة الآخرين كما نراه في الجدول التالي:

اسم المقرئين	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
الحصري، المنشاوي، عبد الباسط، الحذيفي	160	313.221	1.957

6. إنما زيد في إطالة مد زمن جريان الصوت بحروف المد (الصوائت) – الواو والياء والألف– قبل الوقف على الحرف الساكن (الصامت) في نهاية المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) 60 فيما يسمى بالمد العارض للسكون لأن حروف المد (الصوائت) عند المد بها ساكنة –أصلا– فتقصر كميتها إن تليت بحروف ساكنة (صوامت) فبولغ في زادة المد بها إن أتت قبل حرف ساكن (صامت) موقوف عليه حتى يفرق بذلك الطول بين الحركة القصيرة والمد، ولئلا تفقد طولها إن تليت بالحرف الساكن (الصامت) الموقوف عليه، وكان بيان حرفي اللين (الواو والياء) إذا سكنتا وفتح ما قبلهما في المد العارض للسكون) دون البيان في حرفي المد واللين، التي حركة ما قبلها منها فقويت في المد لتمكينها يكون حركة ما قبلها منها وضعف حرف اللين في المد لكون حركة ما قبله ليست منه، وتمتاز حروف المد واللين (الصوائت) بالإضافة إلى ذلك بميزة الوضوح السمعي وسهولة نطقها وهو ما جعلها أصواتا موسيقية منتظمة قابلة للقياس خالية من الضوضاء لها القدرة على الاستمرار بجريان الصوت بها وهي بهذا تختلف عن الحروف الساكنة الصحيحة (الصوامت) التي هي عبارة عن ضوضاء ناتجة عن الاحتكاك.

7. تبين–بعد استقراء نتائج البحث المرفقة– أن المتوسط العام للمدة الزمنية للمد بالمقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) –ويقصد الباحثون في علم الأصوات المحدثين بـــ (ص) للحرف الصامت، وبـــ (ح) للصامت أو لحركة –بكامله

الموقوف عليه بالسكون فيما يعرف بالمد العارض للسكون- على اختلاف أنواعه وأقسامه -قد بلغ- بصفة عامة- (2.558) من الثانية، وقد توزعت قيمة على النحو التالي:

أ. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للمد بحرف المد (الصائت الطويل: ضمتين، كسرتين، فتحتين) في المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) الموقوف عليه بالسكون فيما يعرف بالمد العارض للسكون (1.957) من الثانية.

ب. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للحرف الساكن (الصامت) السابق لحرف المد (الصائت) في المقطع الصوتي -الطويل (ص ح ح ص) الموقوف عليه بالسكون فيما سماه القراء بالمد العارض للسكون -صفة عامة- (2003) من الثانية.

ج. بلغ المتوسط العام للمدة الومنية للحرف الساكن (الصامت) التالي لحرف المد (الصائت) في المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) الموقوف عليه بالسكون فيما عرف عند القراء بالمد العارض للسكون -بصفة عامة- (3742) من الثانية.

نوع الصوت المقيس	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
الحرف 1 للمقطع	160	32.0509	2003
الحرف 2 للمقطع	160	59.882	3742
الحرف للمقطع	160	313.221	1.957

8. بمقارنة نتائج العينات في المد العارض للسكون الواردة في الآيات القرآنية- موضوع الدراسة -في كل من الانواع التي ذكرناها- إجمالا فيما سبق نجد اختلافا ملحوظا بين نتائج العينات وبعضها الآخر، وهذا الاختلاف يأخذ صورا

ومناحي متعددة نتيجة لنوع المد العارض للسكون (كأن يكون متصلا أو غيره) ووروده في النص المقروء (كأن يكون ورد مفردا أو مشتركا مع غيره من المدود) ونوع الحروف (الصوامت والصوائت) التي كونت هذا النوع من المدود ... الخ، وذلك على النحو التالي:

أ. عندما ورد هذا المد مفردا في النص المقروء دون أن يصحبه مد آخر (أيا كان نوعه) كما نراه في الأرقام (1، 3، 7، 8، 13، 16، 27، 30، 33، 41، 45، 51، 54، 61، 69، 74، 76، 81، 89، 92، 102، 127، 133، 142، 149، 157، 160) بلغت قيمة متوسطة العام (2.484) من الثانية.

ب. عندما ورد هذا المد في النص المقروء متصاحبا مع مد فقط (أيا كان نوعه) كما نراه في الأرقام (2، 10، 14، 15، 22، 26، 34، 35، 40، 42، 44، 47، 55، 59، 72، 91، 93، 97، 100، 101، 102، 106، 107، 109، 115، 118، 128، 130، 130، 156، 158) بلغت قيمة متوسطة العام (2.486) من الثانية.

جـ. عندما ورد هذا المد في النص المقروء متصاحبا مع مدين أو أكثر (أيا كان نوعهما) كما نراه في الأرقام (24، 29، 31، 52، 60، 66، 68، 77، 79، 88، 96، 110، 124، 146) بلغت قيمة متوسطة العام (2.545) من الثانية.

ورود المد في النص	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
ورد مفردا في النص	28	69.955	2.484
ورد مع مد آخر	30	74.58	2.486

ورد مع أكثر من مد	15	38.175	2.545

9. تظهر نتائج البحث المرفقة أن المتوسط العام للمدة الزمنية للمد بالمقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) الموقوف عليه بالسكون في الآيات القرآنية – موضوع البحث– فيما يسمى –عند القراء– بالمد العارض للسكون تختلف قيمه الزمنية تبعا لنوع المد (كأن يكون متصلا أو غيره) الموقوف عليه بالسكون العارض على النحو التالي:

أ. إذا كان المد الموقوف عليه بالسكون العارض اصله المد المتصل –فيما سميناه سابقا– المد المتصل الموقوف على همزة (9، 26، 55، 67، 110، 137، 145) فإن المتوسط العام لمدته الزمنية قد بلغ في هذه الدراسة (2.573) من الثانية.

ب. إذا كان المد الموقوف عليه بالسكون العارض ليس أصله المد المتصل (7، 10، 35، 42، 50، 63، 73، 82، 93، 89، 109، 116، 130، 132، 135، 142، 149، 156، 160) فإن المتوسط العام لمدته الزمنية –تبعا لنتائج البحث المرفقة– قد بلغ (2.506) كما نرى ذلك في الجدول التالي:

نوع المد العارض	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
أصله المد المتصل	7	18.011	2.573
ليس المد المتصل	20	50.12	2.506

10. بدا من استقراء نتائج عينات البحث المرفقة أن النص المقروء المشتمل على المد العارض للسكون عندما يطول زمن النطق به يؤثر سلبا بالنقص على المتوسط العام للمدة الزمنية للمد بالمقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) الموقوف

عليه بالسكون فيما يعرف بالمد العارض للسكون (10، 11، 14، 18، 20، 22، 24، 25، 29، 31، 37، 38، 43، 48، 51، 54، 57، 58، 65، 66، 72، 79، 88، 96، 103، 113، 121، 146، 159) حيث بلغ (2.498) من الثانية مقارنة بذلك المتوسط العام للمدة الزمنية للمد بالمد العارض للسكون الوارد في النص المقروء –موضوع الدراسة– الذي لم يطل زمن النطق به بسبب قصره (7، 8، 16، 33، 41، 45، 52، 64، 70، 84، 92، 94، 102، 109، 113، 127، 130، 135، 141، 142، 149، 158، 160) حيث بلغ (2.581) من الثانية –كما نراه في الجدول التالي:

موقع المد العارض	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
طال النص المقروء	30	74.941	2.498
لم يطل النص المقروء	24	61.952	2.581

11. اتضح بعد استقراء نتائج عينات البحث المرفقة –أن المتوسط العام للمدة الزمنية للمد بالمقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) الموقوف عليه العارض فيما يعرف –عند القراء– بالمد العارض للسكون يختلف زمنه باختلاف نوع الحروف (الصوامت والصوائت) المؤلفة لهذا النوع من المد وذلك على النحو الذي سنفصله فيما يلي:

أولا: الحروف الساكنة (الصوامت) المؤلفة للمد العارض للسكون:

أ. عندما أتى الحرف الساكن الأول من المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) الموقوف عليه بالسكون العارض وقفيا شديدا أو انفجاريا (1، 4، 5، 7، 8، 10، 11، 14، 31، 34، 37، 43، 49، 51، 56، 62، 68، 70،76، 79، 88،

89، 91، 92، 95، 97، 100، 107، 116، 120، 123، 129، 132، 139، 142، 148) استغرق المتوسط العام للمدة الزمنية للنطق بالمقطع الصوتي كاملا عند الوقف عليه بالسكون العارض (أ). (ب) عندما كان الحرف الساكن الأول من المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) المؤلف للمد العارض للسكون احتكاكا أو رخوا (1، 4، 5، 7، 8، 10، 11، 14، 31، 34، 37، 43، 49، 51، 56، 62، 68، 70،76، 79، 88، 89، 91، 92، 95، 97، 100، 107، 116، 120، 123، 129، 132، 139، 142، 148) استغرق المتوسط العام للمدة الزمنية للنطق بالمقطع الصوتي كاملا عند الوقف عليه بالسكون العارض(2.535) من الثانية.

ب. عندما كان الحرف الساكن الأول من المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) المؤلف للمد العارض للسكون احتكاكيا أو رخوا (3، 12، 13، 15، 20، 27، 38، 44، 45، 50، 67، 71، 74، 78، 81، 82، 96، 105، 104، 106، 109، 110، 114، 118، 119، 124، 127، 128، 130، 131، 133، 134، 140، 143، 150، 153، 154) استغرق المتوسط العام للمدة الزمنية للنطق بالمقطع الصوتي كاملا عند الوقف عليه بالسكون العارض (2.675) من الثانية.

ج. عندما كان الحرف الساكن الأول من المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) المؤلف للمد العارض للسكون من الحروف المركبة (92، 89، 79) استغرق المتوسط للمدة الزمنية للنطق بهذا المقطع الصوتي كاملا (2.614) من الثانية –كما نراه في الجدول التالي:

الحرف الأول في المد	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
الحرف 1 وقفي	37	63.803	2.535
الحرف 1 احتكاكي	38	101.655	2.675
الحرف 1 متوسط	38	90.930	2.392
الحرف 1 مركب	3	7.842	2.614

د. عندما أتى الحرف الساكن الثاني من المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) المؤلف للمد العارض للسكون حرفا وقفيا شديدا أو انفجاريا (9، 55، 27، 67، 73، 74، 76، 77، 79، 81، 84، 87-89، 91-104، 106، 111، 113، 114، 116، 117، 119، 120، 122، 124، 126-137، 141، 145، 148) استغرق المتوسط العام للمدة الزمنية للنطق بامقطع الصوتي المؤلف للمد العارض للسكون (2.670) من الثانية.

هـ. عندما ختم المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) المؤلف للمد العارض للسكون بحرف ساكن احتكاكي أو رخو (2، 17، 32، 35، 39، 46، 71، 72، 75، 82، 86، 90، 112، 115، 118، 136، 139، 140، 159) استغرق المتوسط للمدة الزمنية بالمقطع الصوتي كاملا (2.399) من الثانية.

ز. عندما كان المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) المؤلف للمد العارض للسكون مختوما بحرف ساكن متوسط (بين الشدة والرخاوة) كما نراه في أرقام العينات (1، 3-7، 10-16، 18-23، 28، 30، 44، 47، 51، 52، 56، 61،

66، 70، 80، 85، 105، 108، 121، 125، 143، 153، 160، 156) من الثانية –كما هو مبين في الجدول:

الحرف الساكن 2	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
الحرف 2 وقفي	53	141.529	2.670
الحرف 2 احتكاكي	19	45.595	2.399
الحرف 2 متوسط	36	94.744	2.429

4ـ حروف المد الطويلة (الصوائت):

وجد –بعد استقراء نتائج البحث المرفقة– أن هناك تفاوتا ملحوظا في المتوسط العام للمدة الزمنية للمد بالمقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) المؤلف للمد لاعارض للسكون نتيجة لاختلاف نوع حرف المد (الصائت الطويل) –الفتحتين أو الكسرتين أو الضمتين– على النحو التالي:

أ. عندما كان حرف المد (الصائت الطويل) في المقطع الصوتي الطويل (ص ح حر ص) الموقوف عليه بالسكون العارض فتحة طويلة (فتحتين) –منا نراه في عينات البحث المرفقة (2، 9، 17، 21، 26، 27، 35، 39، 46، 55، 80، 85، 90، 97، 105، 110، 112، 117، 125، 137، 125، 144، 145، 148) استغرق المتوسط العام للمدة الزمنية للنطق بالمقطع الصوتي الطويل المؤلف للمد العارض للسكون (2.400) من الثانية.

ب. عندما ورد حرف المد في المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) الموقوف عليه بالسطون العارض كسرة طويلة (كسرتين) –كما هو مبين في عينات

البحث المرفقة- (1، 3-5، 8، 10، 14-16، 18، 24، 32، 34، 36، 37، 43، 51-54، 56، 57) استغرق المتوسط العام للمدة الزمنية للنطق بهذا المقطع الصوتي المؤلف للمد العارض للسكون (2.457) من الثانية.

ج. عندما كان حرف المد في المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) الموقوف عليه بالسكون العارض ضمة طويلة (ضمتين) -كما نراه في عينات البحث المرفقة (6، 7، 11-13، 19، 20، 22، 23، 25، 29-31، 38، 40، 45، 47-50، 63، 64، 67-69، 74، 84، 87، 88، 93، 95، 103، 116، 126، 127، 131، 132، 136، 139، 146، 153، 157، 158، 160) استغرق المتوسط العام للمدة الزمنية للنطق بالمقطع الصوتي الطويل الموقوف عليه بالسكون العارض (2.550) من الثانية -كما يوضحه هذا الجدول:

نوع الصائت في المد	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
فتحة طويلة	23	55.221	2.400
كسرة طويلة	36	88.453	2.457
ضمة طويلة	46	117.332	2.550

د. عندما أتى بعد حرف المد (الصائت الطويل-أيا كان نوعه) في المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) حرف ساكن (صامت) ينطق من مؤخرة الفم كالهمزة والهاء والعين والحاء والخاء والغين والقاف والكاف ... الخ في عينات البحث المرفقة (الأرقام 17، 26، 32، 35، 39، 46، 55، 59، 67، 75، 90، 101، 110، 112، 115، 117، 134، 137، 140، 145، 159) استغرق

المتوسط العام للمدة الزمنية للنطق بحرف المد (الصائت الطويل) في المقطع الصوتي الطويل الموقوف عليه بالسكون العارض (1.996) من الثانية.

هـــ. عندما أتى بعد حرف المد (الصائت الطويل–أيا كان نوعه) في المقطع الصوتي الطويل (ص ح حص) الموقوف عليه بالسكون العارض حرف ساكن (صامت) ينطق من مقدمة الفم بالباء والميم والدال والتاء والسين والذال والثاء ... الخ –كما نراه عينات البحث المرفقة (الأرقام 1، 3، 4–6، 21، 27، 36، 37، 51، 71، 73، 77، 80، 86، 87، 91، 105، 108، 109) استغرق المتوسط العام للمدة الزمنية للنطق بحرف المد (الصائت الطويل) في المقطع الصوتي الطويل الموقوف عليه بالسكون العارض (1.839) من الثانية، كما هو مبين في هذا الجدول:

نوع الحرف المختوم به المد	عدد العينات	مجموع النتائج العينات	المتوسط العام
يخرج من مؤخرة الفم	139	533.277	1.996
يخرج من مقدمة الفم	21	38.627	1.839

12. لم تشتمل مادة النص –موضوع الدراسة– على مد عارض للسكون ختم بحرف ساكن (صامت) وقفي مركب موقوف عله لاليكون العارض غير أن الباحث

قد قام بعدة تجارب على مدود عارضة للسكون من هذا النوع وردت في آيات قرآنية أخرى وقد حصل الباحث الاستكبزوجراف على هذه النتائج:

أ. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية –في عينات مادة الدراسة– للمد بالمقطع الصوتي (ص ح ح ص) المؤلف للمد العارض للسكون –بصفة عامة– (2.623) من الثانية.

ب. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للحرف الساكن (الصامت الأول) مع حركته الطويلة (ص ح ح ص) في المقطع الصوتي (ص ح ح ص) المختوم بصامت وقفي في المد العارض للسكون (1.951) من الثانية.

ج. بلغ المتوسط العام لحرف المد الطويل (ح ح) –ايا كان نوعه– من المقطع الصوتي الطويل الموقوف عليه بالسكون العارض –في عينات مادة الدراسة– (1.548) من الثانية.

د. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للحرف الساكن (الصامت) الأخير في المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) الموقوف عليه بالسكون العارض –في عينات مادة الدراسة– (2588) من الثانية.

هـ. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للحرف الساكن (الصامت) الأول في رالمقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) الموقوف عليه باليكون العارض –في مادة الدراسة– (1704) من الثانية.

الصوت المقيس	عدد العينات	مجموع النتائج	المتوسط العام
(ص ح ح ص)	6	15.743	2.623
(ص ح ح)	=	11.706	1.951
(ح ح)	=	10.836	1.548
ص (2)	=	1.811	2588
ص (1)	=	1.192	1704

13. يذهب أئمة القراءة وأهل الأداء -كما أوضحنا ذلك سابقا- إلى أن اختلاف المدة الزمنية لحرف المد (الصائت) في المد العارض للسكون الذي ليس أصله المد المتصل مما لم يكن آخره همزا أو تاء تأنيث تتحول عند الوقف عليها إلى هاء ضمير يأخذ عدة أوجه:

أ. فإن كان ما آخره مفتوحا (سواء أكانت الفتحة للإعراب أم للبناء) ففيه للعلماء ثلاثة أوجه: القصر بمقدار حركتين، التوسط بمقدار أربع حركات، الإشباع بمقدار ست حركات -كما سبقت الإشارة إلى ذلك- وعند إجراء مقارنة بين بعض العينات التي اشتمل عليها النص مما كان آخره مفتوحا ووقف عليه بالسكون العارض لوحظ وجود اختلاف في المتوسط العام للقيم الزمنية لحرف المد (الصائت) بين هذه العنات على النحو التالي:

1. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد (الصائت) في بعض هذه العينات (الأرقام 2، 6، 11، 37، 69) -كما نتبينه من الجدول- (1.458) من الثانية (من مجموع 5 عينات اشتملت عليها مادة البحث).

2. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد في بعض هذه العينات (الأرقام 19، 24، 25-26، 28-29، 33، 35-38، 40، 41-43، 51، 54، 57، 59، 88، 147) -كما سنراه في الجدول المرفق -(1.796) من الثانية (من مجموع 19 عينة اشتملت عليها مادة البحث).

3. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد في بعض هذه العينات (الأرقام 20، 22-23، 29-31، 44، 47-48، 65، 68، 105، 107، 117، 124، 152، 156، 160) -كما نراه في الجدول- (2.0467) من الثانية (من مجموع 18 عينة اشتملت عليها مادة النص):

نوع المد العارض	عدد العينات	جمع نتائج العينات	المتوسط العام
من مفتوح الآخر	5	7.292	1.485
مد مفتوح الآخر	19	34.1349	1.796
مد مفتوح الآخر	18	36.8409	2.0467

ب. تجري هذه الوجوه الثلاثة (القصر، التوسط، الإشباع) أيضا فيما آخره مجرور (سواء أكانت الحركة للإعراب أم للبناء)، وعند إجراء مقارنة بين نتائج بعض هذه العينات التي اشتملت عليها مادة النص تبين وجود اختلاف في قيم المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد (الصائت) في المد العارض للسكون على النحو التالي: 1. بلغ المتوسط العا للمدة الزمنية لحرف المد (الصائت) في بعض هذه العينات(الأرقام 1، 4، 7، 69-70، 104) -كما نراه في الجدول- (1.618) من الثانية (من مجموع 6 عينات اشتملت عليها مادة النص).

2. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد (الصائت) في بعض هذه العينات (الأرقام 8، 32، 73، 80، 91، 93، 146) -كما سنراه في الجدول- (1.805) من الثانية (من مجموع 8 عينات اشتمل عليها البحث).

3. بلغ المتوسط العال للمدة الزمنية لحرف المد (الصائت) في بعض هذه العينات (الأرقام 70، 72، 81، 86، 87، 95، 97، 100، 102، 106، 109، 114، 118، 123، 128، 131، 135، 137، 139، 159) -كما يشير الجدول المرفق- (2.191) من الثانية:

نوع المد العارض	عدد العينات	جمع نتائج العينات	المتوسط العام
آخره مجرور	6	9.718	1.618
آخره مجرور	8	14.440	1.805
آخره مجرور	23	50.393	2.191

ج. فإن كان آخر الموقوف عليه بالسكون العارض مرفوعا (سواء أكان للإعراب أم للبناء) ففيه للعملاء -إضافة إلى ما ذكر- الوقف بالغشمام (مع القصر والتوسط والإشباع) والوقف مع الروم (بالقصر فقط)، وعند إجراء المقارنة بين العينات التي اشتملت عليها المادة النص -مما كان آخره مرفوعا ووقف عليه بالسكون العارض- اتضح الباحث تنوع المتوسط العام للقيم الزمنية لحرف المد (الصائت) بين هذه العينات -على ما نراه في الجدول:

نوع المد العارض	عدد العينات	جمع نتائج العينات	المتوسط العام

آخره مرفوع	5	7.089	1.417
آخره مرفوع	6	10.203	1.700
آخره مرفوع	33	72.821	2.209

1. بلغ المتوسط العا للمدة الوزمنية لحرف المد (الصائت) في بعض هذه العينات (الأرقام 3، 5، 10، 12، 21) –كما هو مبين في الجدول– (1.417) من الثانية (من مجموع 5 عينات اشتملت عليها مادة التص).

2. بلغ المتوسط العاى للمدة الزمنية لحرف المد (الصائت) في المد العارض للسكون في بعض هذه العينات (الأرقام 13، 27، 15، 34، 132، 140) –كما بينه الجدول– (1.700) من الثانية (من مجموع 6 عينات وردت في مادة النص).

بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد (الصائت) في المد العارض للسكون في بعض هذه العينات (الارقام 14، 16، 51، 61، 79، 89، 116، 133، 163) –كما هو موضح بالجدول– (2.209) من الثانية (من مجموع 33 عينة اشتملت عليها مادة النص).

وهو ما يجعلنا نميل إلى أن قراءة الأربعة لمادة النص قد تراوحت بين طريقة الإشباع لصوت المد والقصر لمدته الزمنة –إلى حد ما– والتوسط بينهما، وهي الأوجه الثلاثة المشهورة التي قررها أئمة القراءة وأهل التجويد في أمثال ذلك.

14. فإن كان المد العارض للسكون أصله المد المتصل (آخر الكلمة الموقوف عليها همزة) وكان آخره محركا (سواء أكانت للإعراب أم للبناء) فلا خلو إما أن يكون مسبوقا بالمد المتصل أو المنفصل (أو بهما معا(ويسمى بالمد العارض

للسكون المتصل المجموع مع ما قبله وحينئذ فلأئمة القراء وأهل التجويد في ذلك مذاهب:

أ. مد المنفصل في الآية الاولى والمتصل في الثانية بمقدار أربع حركات فيما آخره فتحة، وعليه يتأتى في المتصل الموقوف عليه فيهما أربع حركات أو ست بالسكون المجرد.

ب. مد المتصل أو المتفصل بمقدار خمس حركات وعليه يتأتى في المتصل الموقوف عليه خمس حركات أو ست بالسكون المجرد، وعند إجراء مقارنة بين بعض العينات من هذا النوع الذي اشتملت عليها مادة النص تبين للباحث وجود تنوع في المتوسط العام للقيم الزمنية لحرف المد (الصائت) في المد العارض للسكون على النحو التالي:

1. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنة لحرف المد (الصائت) في المد العارض للسكون فيما آخره همزة مفتوحة موقوفا عليها بالسكون العارض في بعض العينات البحث المرفقة (1.8435) من الثانية.

2. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد (الصائت) في المد العارض للسكون فيما آخره همزة مضمومة موقوفا عليها بالسكون العارض في بعض هذه العينات (2.136) من الثانية.

3. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد فيما آخره همزة مكسورة موقوفا عليها بالسكون العارض في بعض هذه العينات (2.0767) من الثانية.

15. فإن كان آخر الكلمة التي ورد فيها المد العارض للسكون هاء الضمير مضموما أو مكسورا أو مفتوحا (سواء أكان للإعراب للبناء) ففيه للعلماء ثلاث

أوجه: القصر بمقدار حركتين. التوسط بمقدار أربع حركات. الإشباع بمقدار ست حركات. وقد لوحظ –بعد استقراء عينات مادة النص– تنوع المتوسط العام للقيم الزمنية لصوت المد العارض للسكون المختوم بهاء الضمير قراءة هؤلاء القراء الأربعة على النحو التالي:

1. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد العارض للسكون المختوم بهاء الضمير المفتوح (سواء أكان للإعراب للبناء) في بعض العينات (الأرقام 2، 35 ... الخ (1.533) من الثانية.

2. بلغ المتوسط العامل مدة الزمنية لحرف المد العارض للسكون المختوم بهاء الضمير المكسور (سواء أكان الكسر للإعراب أم للبناء) في بعض هذه العينات (الأرقام 75، 90، 115، 138 ... الخ (1.566) من الثانية.

3. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد العارض للسكون المختوم بهاء الضمير المضموم (سواء أكن الضم للإعراب أو للبناء) في بعض هذه العينات (الأرقام 17، 46، ... الخ (1.497) من الثانية –كما نلحظ ذلك في الجدول:

نوع المد العارض	عدد العينات	جمع نتائج العينات	المتوسط العام
هاء رالضمير المفتوح	2	3.067	1.533
هاء الضمير رالمفتوح	4	6.266	1.566
هاء الضمير المفتوح	2	2.994	1.497

وبالنظر إلى القيم الزمنية للمتوسط العام لحرف المد في العارض للسكون في (رقم 8، 9) يتبين لنا أن زمن حرف المد في مد العارض للسكون الذي أصله المد

المتصل (آخر الكلمة الموقوف عليها بالسكون العارض همزة) هو الاطول زمنا – بصفة عامة– من نظيره حرف المد في المد العارض للسكون الذي آخره هاء الضمير –مثلا– وهو ما يتوافق مع ما علماء القراءة وأهل الأداء ذهبوا إلى أنه لا يتأتى في حرف المد العارض للسكون الذي أصله الهمزة في القصر (وهو المد بمقدار حركتين) بحال وإنما يخير فيه القارئ بين المتوسط (بمقدار خمس حركات) أو الإشباع بمقدار (ست حركات) فقط.

وبمراجعة نتائج هذه الدراسة على الصفحات السابقة تبين للباحث أن المد العارض للسكون من المدود الجائزة، وتتراوح مدة المد به عند القراء ما بين حركتين إلى ست حركات، وهي تقديرات –وجدها الباحث بعد الوقوف على آراء القراء وأهل الأداء –سماعية ذوقية تتحدد وتستقيم بكثرة السماع وجودة التلقي من القراء المجودين والنطق والرياضة والتمرين. وقد توصل الباحث في بحثه هذا –عن طريق التجريب– إلى أن المدى الزمني المقبول لزمن الصائت في المد العارض للسكون هو ما بين (1.500–2.220) من الثانية، وهو ما يعادل عند علماء القراءات –كما رأينا فيما سبق– مقدار زمن الحركرتين إلى ست حركات، ويقدر المتوسط العام للحركة –بحساب الآلة المستخدمة في قياس الزمن في هذا البحث وأمثاله– حوالي.(3300) من الثانية، وتختلف هذه المدد الزمنية في المد العارض للسكون باختلاف نوع المد الموقوف عليه بالسكون العارض متصلا أو غيره) ونوع الصائت المؤلف مع الصوائت (فتحتين أو كسرتين أو ضمتين) ونوع الصامت الموقوف عليه (وقفيا أو مركبا أو احتكاكيا أو متوسطا) وكذا وروده في رالسياق الأدائي (في نص قصير أو طويل ورد في النص مفردا أو متصاحبا مع غيره) وذلك على النحو التالي:

1. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للمد بالمقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) بكامله الموقوف عليه بالسكون العرض -بصفة عامة- (2.558) وقد توزعت قيمه هكذا:

أ. بلغ المتوسط العلم للمدة الزمنية للمد بحرف المد الطويل (ضمتين أو كسرتين أو فتحتين) في المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) الموقوف عليه بالسكون العارض (1.957) من الثانية.

ب. بلغ المتوسط العام لمدة الزمنية للحرف الساكن الصحيح السابق لحرف المد (الصائت الطويل) في المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) الموقوف عليه بالسكون العارض -بصفة عامة- (2003) من الثانية.

ج. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للحرف الساكن الصحيح التالي لحرف المد (الصائت الطويل) في المقطع الصوتي الطويل (ص ح ح ص) الموقوف عليه بالسكون العارض -بصفة عامة- (3743) من الثانية .

2. ظهرت نتائج الدراسة وجود ملحوظ في المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد (الصائت) الطويل -أيا كان نوعه- نتيجة لنوع المد العارض للسكون الوارد في النص المقروء (كأن يكون متصلا أو غيره)، وكذا وروده في النص المقروء (كأن يكون ورد مفرد أو مشتركا مع غيره من المدود الآخرى في نص طويل أو قصير) بالغضافة إلى نوع الحروف (الصوامت والصوائت) التي كونت هذا النوع من المدود ... وذلك على النحو التالي:

أ. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد العارض للسكون عندما ورد مفردا في رالنص المقروء دون أن يصحبه مد آخر (2.484) من الثانية.

ب. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد (الصائت الطويل) في المد العارض للسكون عندما ورد متصاحبا في رالنص المقروء مع مد آخر (أيا كان نوعه) فقط (2.486) من الثانية.

ج. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد الصائت الطويل) في المد العارض للسكون في النص المقروء عندما ورد متصاحبا مع مدين أو أكثر (أيا كان نوعها(قريبا من (2.545) من الثانية.

3. أظهرت نتائج هذه الدراسة اختلاف قيم المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد في المد العارض للسكون في رالنص المقروء إذا كان أصله المتصل أو غيره على النحو التالي:

أ. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد في المد الموقوف على همز الذي أصله المد المتصل (2.573) من الثانية.

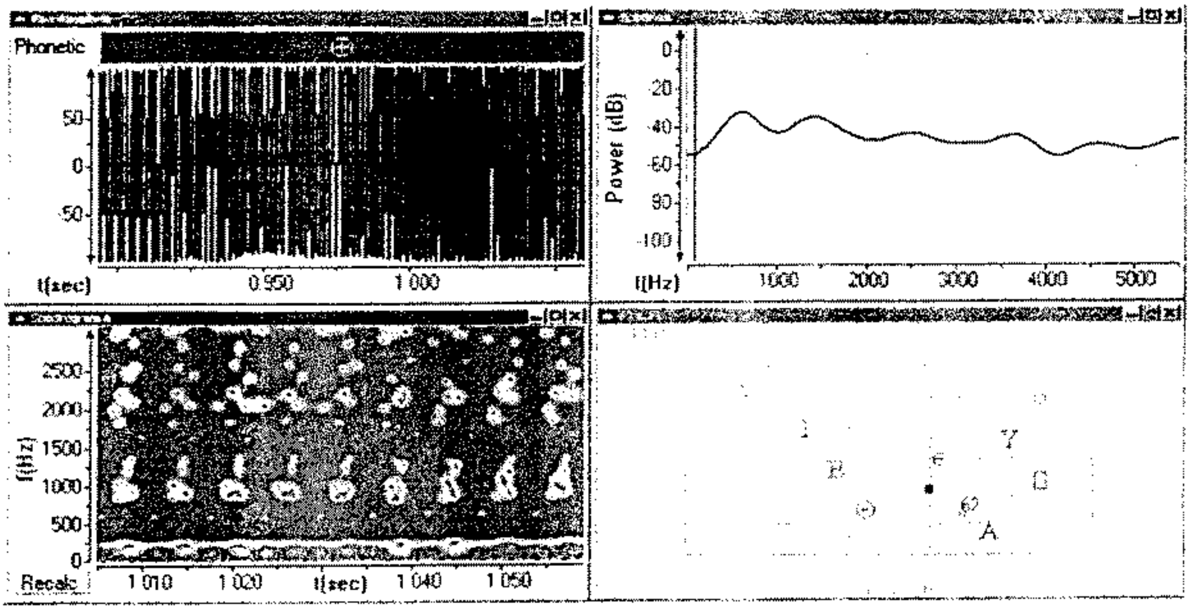
ب. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد في الموقوف على همز الذي أصله ليس المد المتصل الموقوف على همز (2.506) من الثانية.

4. أظهرت نتائج هذه الدراسة اختلافا ملحوظا في المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد في المد العارض لسكون عندما ورد في نص قصير مقارنة بالمتوسط للمدة الزمنية لحرف المد الوارد في نص طويل على النحو التالي:

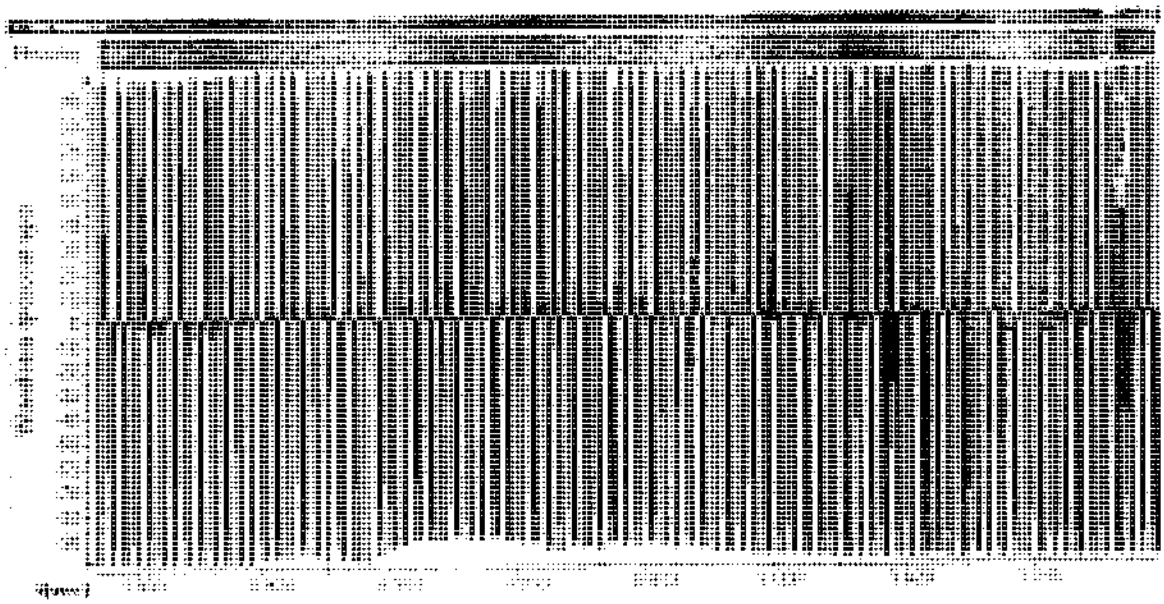
أ. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد في المد العارض للسكون في النص المقروء إذا طال زمن النطق به (2.498) من الثانية.

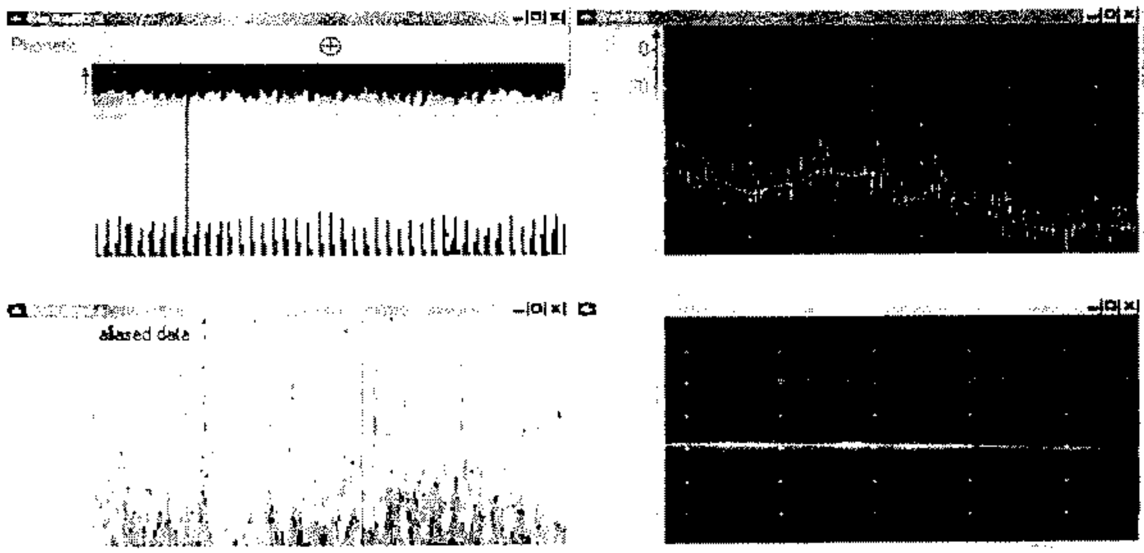
ب. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لحرف المد في العارض للسكون في النص المقروء إذا قصر زمن النطق به (2.581) من الثانية.

وهناك نتائج أخرى غير ما ذكر هاهنا تضمنها هذا البحث تتعلق بحساب المد الزمنية لهذا النوع من المدود.

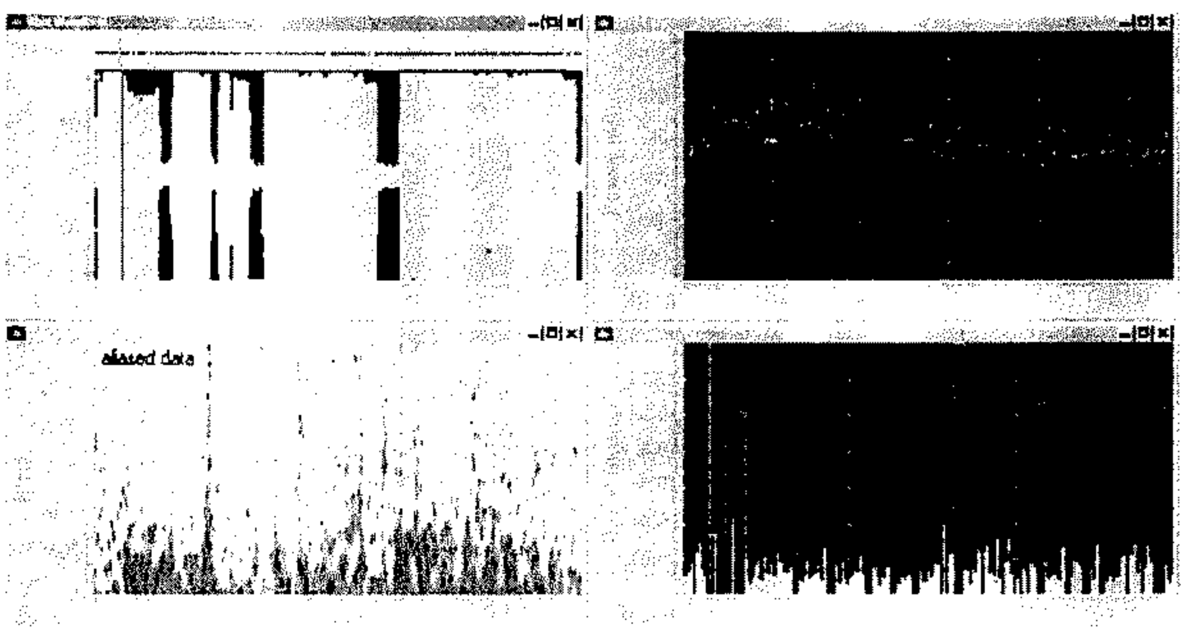


يمثل هذا الرسم التخطيطي بيانات طيفية بقيمها الصوتية والذبذبية طولا وعرضا مع إعطاء رموزها الخاصة بها من جهاز المحلل الصوتي.

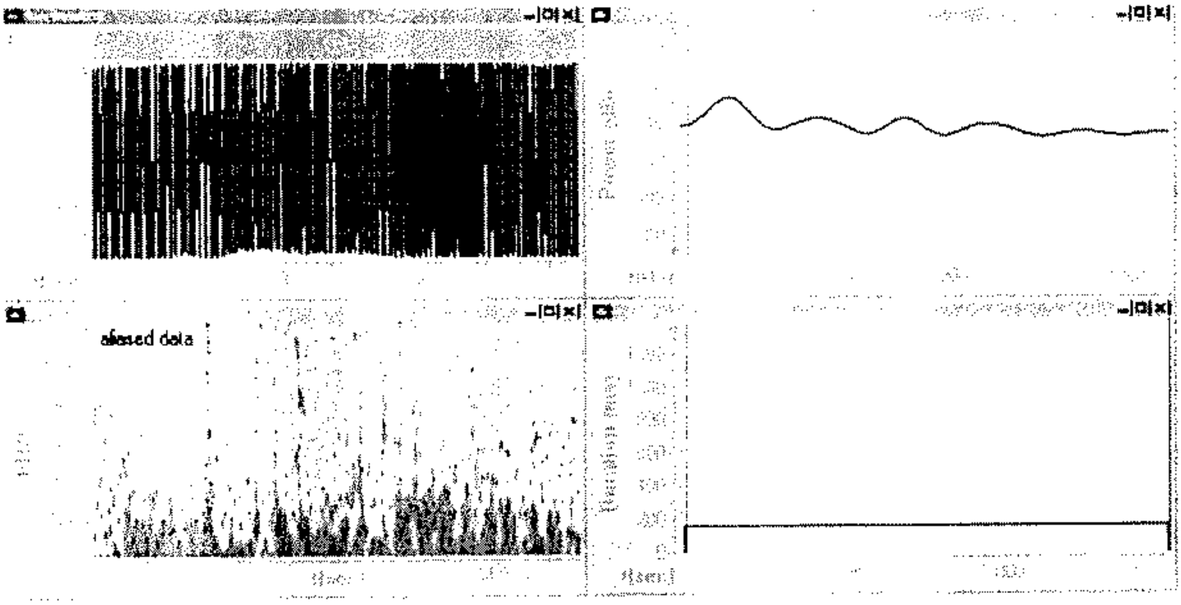




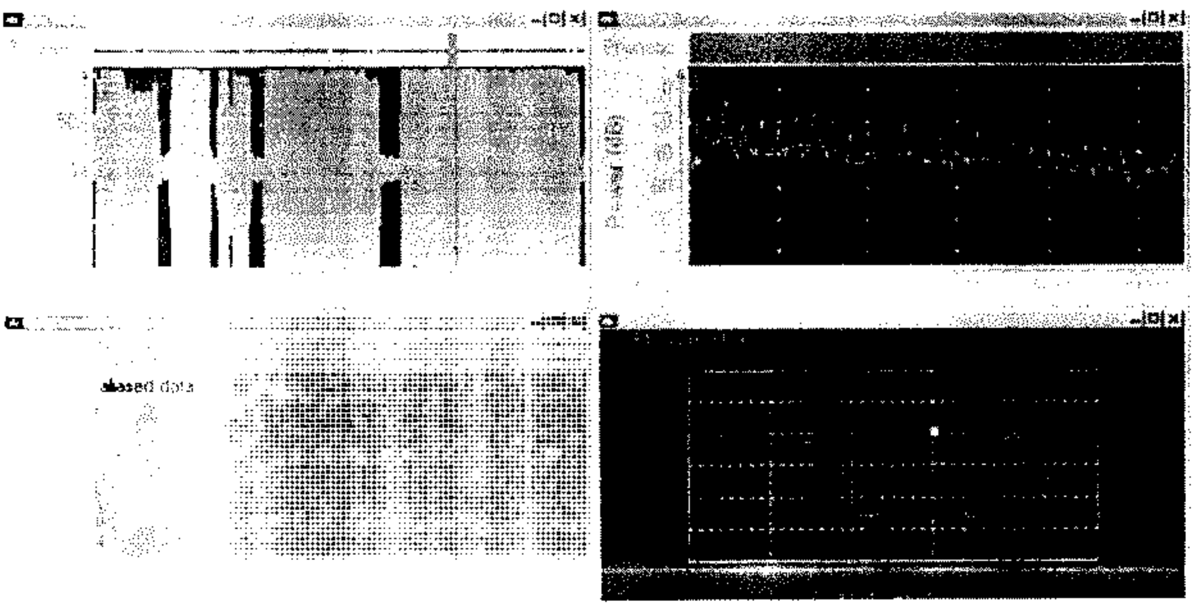
إن الطيف أعلاه يبين صوت الهمزة بذبذباته المتباينة، فالأول على اليمين فهو يمثّل شدة الذبذبة موصوفة بقيم مختلفة والتي جعلت قيمها في الجداول السابقة.



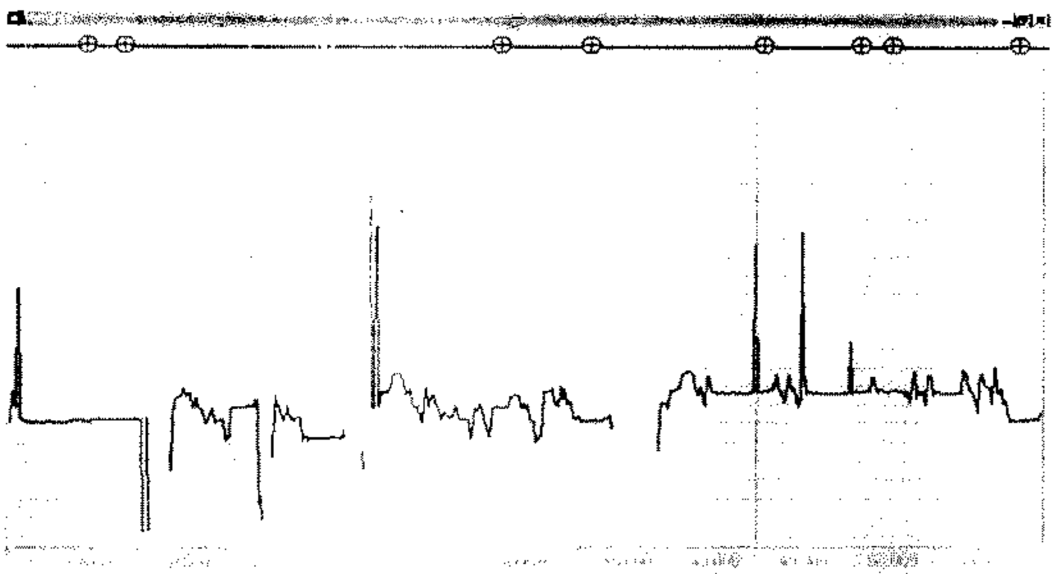
وهذه قيم المدود وأطيافها ممزوجة بالصوت الذبذبي الذي يمثل الشدة في صورها المختلفة والتي جعلنا قيمها فيما سبق في الجداول.



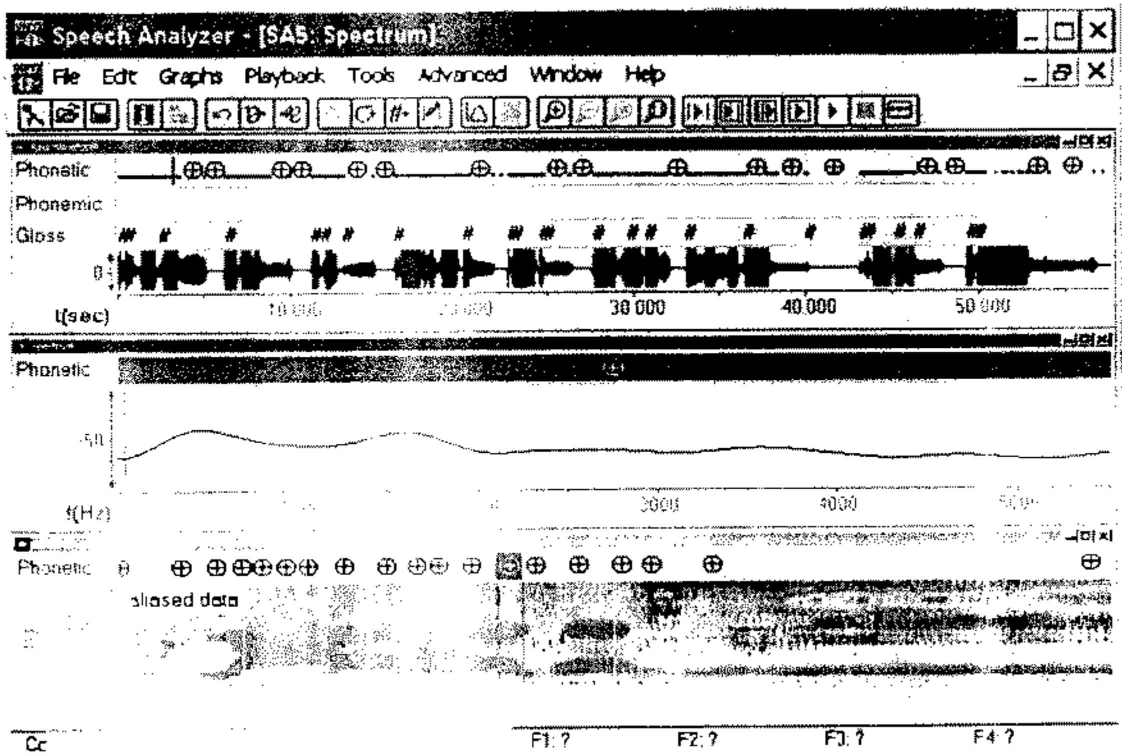
مدود متوسطة في مستوى مختلف كما يبينها في الجدول السابق بقيمها الحسابية.



وقد تكون الأصوات للمدود المتوسطة متباينة من قارئ لآخر، وذلك مـ حتم علينا جعل هذه الأطياف التي تبين ذلك بالرسم الطيفي لها ورموزها المبينة أعلاه.



إن رسم الطيف التخطيطي هو عبارة عن جزيئات بما يسمى "Logatome" وهو جزيئي من هذا التخطيط كما هو مبين أعلاه. والدوائر تمثل بما يسمى "Les molécules" الجزيئيات الصغرى وهذا البيان يحتوي في الكلامي الأسناني فزيائيا وكميائيا من حيث النطق.



الباب الثالث

صدى الصوت في القرآن الكريم

الفصل الأول

جهاز الصوت المتنقل

1- أثر المسموعات في تكوين الأصوات

2- المماثلة

3- المخالفة

4- الألفاظ الدالة على الأصوات

5- اللفظ المناسب للصوت المناسب

6- حكم الجهاز السمعي في معرفة الصوت

إن الغرض في إحداث الصوت يكشف عن مصطلح حديث عند الأوروبيين هو المقطع، ولذا يجب الوقوف عنده، لما استقطبه هذا الاصطلاح، والذي نجده أيضا عند ابن جنّي الذي ناقشه من ناحية صوتيّة بطريقة متميّزة، واضعا إياه في الدلالة الدقيقة على الأصوات والمعاني1.

والواضح أن الأصوات عادة تتجمع في وحدات، تكون تلك الوحدات أكبر من الأصوات بالضرورة، لأنها أطول مسافة صوتية، فتشكل في أكثر من صوت وحده صوتية معينة، وأهم هذه الوحدات هو المقطع الذي تذوقه ابن جنّي، فرأى فيه ما يثني استطالته وامتداده تارة، وتغيّر الصّدى للحرف الواحد والتعريف البسيط للمقطع هو تأليف من أصوات بسيطة بإيقاع التنفس الطبيعي مع نظام اللغة في صوغ مفرداتها[2].

والواضح أن المقطع جرى تأليفه العربي على البدء بحرف صامت ويثنى بحركة، ولا يبدأ بحركة إطلاقا خلافا للغات الأوروبية.

ومن المبادئ الأساسية للغة القرآن الكريم أنها تبدأ بمتحرك واحد، ويختم إما بحركة فهو المقطع المفتوح، وإما بصامت فهو المقطع المقفل ومن غير الممكن أن تبدأ الكلمة بالمجموعة من الصوامت أو أن يتخلل الكلمة أكثر من صامتين متجاورين أو أن تختم الكلمة بمجموعة من الأصوات الصامتة[3].

فالحرف الصامت زائد حركة ينتج مقطعا قصيرا، وإذا أضيف إلى هذا المقطع صوتا آخر سواء كان صائيا أو صامات، فيصير المقطع طويلا. والعربية عادة في معظمها كلماتها مؤلفة من ثلاثة مقاطع في المادة دون اشتقاقها، ففي الثلاثي مثلا

---

[1]- ابني جنّي، سر صناعة الإعراب، ج5، ص 6.

[2]- علم الأصوات، عبد الصبور شاهين، ص 164.

[3]- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص 409.

كلمة [ذهب] في ثلاثة مقاطع هي "ذَ" "هَـ" "بَ" وكل مقطع مكون من حرف وحركة، وكل من الحرف يرمز إلى الصوت الذي يناسبه صوتيا، والحركة هي التي تصيره إلى الصوت المميز [حنجري].

قال ابن جنّي مستندا إلى ما جاء، عند الخليل[1] "إن الأصول ثلاثة ثلاثي، رباعي وخماسي، فأكثرها استعمالا، وأعدلها تركيبا الثلاثي، وكذلك لأنه حرف يبتدأ به، وحرف يحشى فيه، وحرف يوقف عليه وليس اعتدال الثلاثي لقلة حروفه حسب، أو كان كذلك لكان الثنائي أكثر منه لأنه أقل حروفا، وإنما لشيء آخر هو حجز الحشو الذي هو عينه بين فائه ولامه وذلك لتفادي حاليهما، ألا ترى أن المبتدأ إلا متحركا، وأن الموقوف عليه لا يكون إلا ساكنا علما تنافرت حالتهما وشطر العين حاجزا بينهما لئلا يفاجأوا والحس بضد ما كان آخذا فيه[2].

لقد أدرك علماء الأصوات العرب هذا التخطيط المقطعي من ذي قبل وأكدوا عليه ويظهر هذا في التقطيع العروضي للشعر، الذي ابتدعه الخليل بن أحمد الفراهيدي في حدود، وهو ما أثبته ابن جني في برمجته للمقاطع في تفصيله، ولقد أفاد الأوروبيون من هذا المخطط إفادة تامة. فقد كان المقطع تبعا للتفكير التقليدي عند الغربيين، يتكون من حركة تعتبر دعامة أو نواة يحيطها بعض الصوامت consonnes وعليه معنى اسم consonne أي الذي يصوت وحده وأطلق على الحركات اسم مصوتات sonnets لأنها قادرة على التصويت دون الاعتماد على شيء آخر ومن هذاكان المفهوم الوظيفي للمقطع، كما جاءت الحركات والصوامت[3].

1- كتاب العين للتحليل، بن أحمد الفراهيدي، ج1، ص 49.

2- الخصائص، لابن جنّي، ج1، ص 55-56.

3- علم الأصوات، لبرتيل مالبرج، ص 155.

ويرى "otto Jespersen" (أتوجسبرسن) أن الوحدات الأصواتية تتجمع حول الوحدة الأكثر إسماعا بحسب درجة الوضوح السمعي والمقطع طبقا لرأيه هو المسافة بين حدين أدنيين في الوضوح السمعي.

إن نظرية (جسبرسن) من بين ما ارتضاه عالم الأصوات الإنجليزي (دانيال دجونز)، فهي وصف جيد لمقطع المثالي، ولكنها لا تقول شيئا بنا عما هو جوهري في المقطع، ولا تبين لنا أين الحد بين المقاطع وهو ما يطلق عليه الحد المقطعي، ولقد كان (دوسوسور) أقرب إلى الفكر العربي في تصوره لحدود المقطع الصوتي على أساس درجة الانفتاح في الأصوات، إذ تتجمع الأصوات الصوامت حول الحركات تبعا لدرجة الانفتاح، فالحدّ المقطعي يوجد ويتوافر حين يكون التنقل من صوت أكثر انغلاقا إلى صوت أكثر انفتاحا[1].

إن هذا التواصل إلى حدود المقطع وتعريفه عند الأوروبيين هو الذي ذهب إليه ابن جنّي من قبل، وبين ذائقة كل مقطع، قال "وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحروف أن تأتى به ساكانا لا متحركا، لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومسقره، وتجتذبه إلى جهة الحرف التي هي بعضه، ثم تدخل عليه همزة الوصل مسكورة من قبله، لأن الساكنة لا يمكن الابتداء به فنقول: أَكْ، أُقْ، أج، وكذلك سائر الحروف، إلا أن بعض الحروف أشد حصرا للصوت من بعضها[2].

والواضح أن هذا ما نعتبره ابتكارا لم يسبق إليه،إلا ما عند الخليل في ذواقة للأصوات [إب، إت، إع،][3] فإنها مقاطع طويلة تكونت من ثلاثة عناصر في كل منها هي الألف والكسرة والحرف [ب، ت، ع، غ] والذي أدى بابن جنّي إلى أن يهتدي

---

[1]- علم اللغة العام، ديسوسور، ص 77 وما بعدها.

[2]- سر صناعة الإعراب، لابن جني، ج1، ص 7.

[3]- كتاب العين، للخليل، ج1، ص 47.

لهذا السر العجيب المتمثل في المقطع، وهو تصريفه للشؤون الخاصة بالحركات، فهو يعتبر الحركة صوتا تتبع الحرف، فتجد بهما الصوت يتبع الحرف، "وإنما هذا الصوت التابع لهذه الحروف، ونحوها وما وقف عليها لأنك لا تنوي لأخذ في حرف غيرها، فيتمكن الصويت فيظهر، فإنما إذا وصلت هذه الحروف ونحوها فإنك لا تحس معها شيئا من الصوت كنا تجده معها إذا وقف عليها[1].

جهاز الصوت المتنقل:

من الأكيد أن ابن جنّي بحسبه العلمي إلى أن حدثنا عن جهاز الصوت المتنقل، أو مجموعة الأجهزة الصوتية في الحلق، والفم، وسماعنا تلك الأصوات المختلفة، وذلك عند ذائقته للحرف العربي ووجدانه الاختلاف في أجراسه، والتباين في أصدائه، فتشبه الحلق بالمزمار، ووصف مخارج الحروف، ومدارجها بفتحات هذا المزمار، وتتوجه عنايته بمجرى الهواء في الفم عند إحداث الأصوات.

وشبه بمروحة الزامر أنامله على خروق الناي لسماع الأصوات المتنوعة والمتشعبة، بحسب تغييره، توضح أنامله لدى فتحات المزمار، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المسنوقة وراوح بين أنامله، اختلفت الأصوات وسمع لكل منها صوت لا يشبه صاحبه "فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم، فاعتماد على جهات مختلفة، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة[2] ثم يعقب على هذا التمثيل في إحداث الصوت بالنسبة لأوضاع أجهزة الصوت بتشبيه ذلك بوتر العود، وكيفية ضربه ببعض أصابع اليسرى أو جسه في اليمنى مما يحدث أصواتا مختلفة عند تلقي الأذن لذلك فتتذوق من خلاله جوهر الصوت، كما تتذوقه في أصوات الحروف، تبعا

---

[1]- المصدر السابق، نفس الصفحة والجزء.

[2]- سر صناعة الإعراب، لابن جني، ج1، ص 9.

للرقة والصلابة من الوتر وكذلك بالنسبة للوترين الصوتيين في جهاز النطق الصوتي عن الإنسان يقول:

"ونظير ذلك أيضا وترا يعود، فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتا فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه، أدى صوتا آخر، فإن أدناها قليلا، سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كلما أدى أصبعه من أول الوتر غفلاً غير محصور، تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط في صور أملس مهتزا، ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر صلابته، وضعفه ورخاوته كجريان الصوت في الالف الساكنة، وما يعرضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا[1].

فالذي لا مراء فيه أن ابن جنّي قد أحسن تمثيلا دقيقا لجهاز النطق عند الإنسان، وأثر انطلاق الهواء مضغوطا، وغير مضغوط في إحداث الأصوات مختلفة بحسب إرادة الناطق أو المصوت، هو ما تبناه علم الأصوات الفيزيولوجي.

ففي الحديث عن الجهاز التنفسي الذي يقدم الهواء المناسب لتكييف حدوث الأصوات، وعن الحنجرة باعتبارها مفجرة الطاقة الصوتية، وعن التجاويف فوق المزمارية التي تلعب عزف الرئتين في إنتاج غالبية الأصوات المستخدمة في الكلام، وعن دور التنفس في مرحلتين الشهيق والزفير في اتساع القفص الصدري لدى الشهيق فيدعو الهواء الخارجي بسبب هبوط الحجاب الحاجز، وارتفاع الأضلاع إلى الدخول من فتحتي الأنف أو الفم غير القصبة الهوائية إلى الرئتين، فتنتج أصواتا استنائية مسموعة عند الأطفال أو في حالتي النشيج والضحك.

[1]- المصدر نفسه، ج1، ص 9-10.

وأما الزفير فيتمثل في ارتفاع الحجاب الحاجز وهبوط الأضلاع، ونتيجة لهذا يدفع الهواء بكيفية كبيرة من الرئتين، هذا الهواء المندفع بالزفير هو الذي يستخدم في التصويت[1].

إن هذا التحليل الحديث لإحداث الأصوات من وجهة نظر عملية أو تشريحية هو الذي أراده ابن جني في عنايته بمجرى الهواء في عملية إحداث الأصوات، كما أنه بحسبه العلمي استطاع أن يحدثنا عن أجهزة الحبال الصوتية في وقت لم تكن فيه الآلات متوفرة وكأني قد أوجد الصيغة التي عبر عنها أهل زماننا بالجهاز المحلل للأصوات أو المقياس.بما يسميه الغربيون (analyser speecher) أن ما أبداه ابن جني من تفصيل تمثيلي دقيق لجهاز النطق لدى الإنسان وأثر انطلاق الهواء مضغوطا وغير مضغوط في إحداث الأصوات المختلفة.

1ـ أثر المسموعات في تكوين الأصوات:

إن ابن جني قد أثار قضية حقيقة الصوت، ولكنه يعرضها بحذر ويقظة، وقد وقد ينسبها إلى بعض الناس. وقد تكون هذه الأقوال له، أو من استنتاجاته، لأنه من هؤلاء الناس الذين يعيشون معه، وفي عصره: فهو يتحدث عن صدى الصوت في بداية اللغة، وأثر المسموعات الصوتية في نشوء الأصوات الإنسانية، وهو ينقل عن بعضهم، ويذهب إلى ذلك بأنه وجه صالح للتعليل مقدما لنظريته الصوتية التي يربط بها الأشياء والنظائر. ويجشد لها الدلائل والبراهين فيقول: وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات إنما هو من الأصوات المسموعات، كذوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء تشحيج الحمار، ونعيق الغراب وصهيل الفرس، ونحو ذلك. ثم ولدت

[1]- ينظر إلى علم الأصوات لرئيل، ص 43 بتصرف.

اللغات عن ذلك وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل[1]. وفي هذا نجد ابن جني يربط بين الصوت الإنساني وأصداء الطبيعة حينا، وأصوات الكائنات الحيوانية حينا آخر، مما هو من ظواهر الموجودات في الكون، وبين تكوين اللغات التي نشأت من هذه الأصوات في بدايتها الأولى.

والذي يؤيد هذا الرأي معظم المحدثين من علماء اللغة من مثل وتني whitney[2].

بينما نجد الأوروبيين، وتعليلهم الصوتي في أصل نشوء اللغات، وأهمها ما يوافق ابن جني، والقائلين بامتداد الصوت عند الإنسان عن الصوت الطبيعي للأشياء، أو للصوت الحيواني وأن جملة الأصوات انحدرت من تلك الأصوات. وهذا لا يتعارض مع أن الله قد ألهم الإنسان الأصوات كما أشرت في مدخل البحث حيث صرفت قول روجي دنكر الذي قال: "إن الحنجرة التي هي آلة النطق لسيت هي المصوتة وإنما هناك الروح التي تحفزها على ذلك".

ويوجد هناك رأي آخر على أن صدور الأصوات الإنسانية جاءت عن طريق تعبير الإنسان عن آلامه وآماله[3].

وفي ثنايا كتب الباحثين القدامى ودراسة المحدثين لكتب التراث القديم، في علم الأصوات الذي شغل العلماء، إذ نجد كلا منهم إيجاد تعليل لبيان حدوث الصوت؛ ففي هذه الدراسة يمكن أن نحشد دليلا من قول ابن سينا[4] في كتابه أسباب حدوث الحروف. فيقول: "أظن أن الصوت سببه القريب تموج الهواء سرعة وبقوة من أي سبب كان والذي يشترط فيه من أمر القرع عساه ألا يكون سببا كليا للصوت، بل

---

[1]- ينظر كتاب الخصائص، ص 46-47.

[2]- ينظر كتاب علم اللغة لعبد الواحد وافي، ص 95.

[3]- ينظر كتاب دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس، ص 20-35.

[4]- هو بشر بن قنبر أبو علي، عرف بالشيخ الرئيس ولد في أفشنة (980-1038م قرب البيضاء وتوفي في همذان عن المنجد، ص 11.

كأنه سبب أكثري، ثم إن كان سببا كليا فهو سبب بعيد، ليس السبب الملاصق لوجود الصوت.

والذي يراه ابن سينا في حدوث الصوت هو النموذج لما فيه من قرع وقلع، ويتبين لنا ذلك في تشريح الحنجرة عند إحداث الصوت فتباعد، واقتراب الوترين الصوتيين بالشكل التالي:

لقد ميز ابن سينا بين الجانب الفيزيائي والجانب اللغوي في أصوات الكلام. ويقصد بالجانب الفيزيائي كلا من الناحية الفيسيولوجية النطقية والناحية الفيزيائية الأكستيكية في الأصوات، ويقصد بالجانب اللغوي، ذلك الإدراك السمعي المرتبط بنظام اللغة المتعلق بآذان أبناء اللغة، وفي هذا الشأن نلمس الأحرف السبعة المثبوتة بأصواتها المختلفة في كل مصحف عثماني، وفي القراءات الصحيحة العشرة، والسبعة المشهورة. وكما جاء عن الخبر المأثور أن الأصوات التي رمز لها في القراءات السبع، بما جاء في الأحرف السبعة، وإن كان كل قراءة يوجد بها الأحرف السبعة مبثوثة فيها، لأن القراء كل منهم أخذ من مصدر موثوق به إلى أن انتهى إلى رسول الله ﷺ أما علم القراءات هو التفاني في الأداء الصوتي كما أورده أصحاب القراءات وتبعهم في ذلك علماء من مثل ابن الجزري وأبي عمرو الداني، مثل تمييز الترقيق والتفخيم، والإظهار والإخفاء، والغنة، ...الخ من الضوابط التي تمكن القارئ من اتباع القراءة الصحيحة.

إن لغتنا العربية تأبى الأصوات المتنافرة غير المستساغة لدى السامع، لأن السامع العربي له طبع فطري ليس لغيره من الناس، وهذا الذي ميزه على باقي السامعين؛ إذ أن الله عندما أوحى إلى نبيه هذا القرءان في أمة تعي وتدرك هذا الكلام العربي، والذي أعجزهم وهم أهل فصاحة. والصوت قد اتخذته المباحث في

دائرة القرءان الكريم وجعلته أساسا لتطلعاته، وآياته استلهاما لنتائجها، وحين نجد الدراسات تمزج وتقارب بين اللغة والفكر فإنما تتجه بطبيعتها التفكيرية لرصد تلك الأبعاد مسخرة لخدمة القرءان الكريم. فالقرءان كتاب هداية وتشريع لا شك في هذا، ولكن من جانب دراسات الصوت فإن القراءات أحسن مثال في جميع أقسامها وكل ضوابطها التي ذكرناها.

والواضح أن الأصوات في تناسقها، وتآلفها، وتنافر الكلمات وتهافتها قد يعود على الأصوات في قرب مخارجها أو تباعدها، أو في طبيعة تركيبها، أو من تداخل مقاطعها، وتضامها، ذلك أن اللغة أصوات، والصوت الإنساني في معظم الأحيان هو الحنجرة أو بعبارة أدق: الوتران الصوتيان عند اهتزازهما من خلال مرور الهواء[1].

ومن خصائص اللغة العربية ثبات أصوات الحروف فيها، لأن جوهر الصوت العربي بقي واضحا، وهو ما يتمثل في القراءات القرءانية، وإخراج الحروف الصامتة إخراجا يكاد يكون واحدا[2] لأن اللغة العربية تستمد أصواتها من القرءان الكريم، وأولويات هذه الأصول هي الأصوات لأن الأصوات أصل اللغات.

ولا غرو أن يكون استقراء ملامح الظاهرة الصوتية في التراث العربي الإسلامي يؤدي بنا إلى أن القرءان هو الأساس فيها والمنطلق وقد نبه بأهمية باللغة على الصوت في إثارة الإحساس الوجداني عند العرب. وإيقاظ الضمائر الإنسانية، ولقد توالت الدراسات منذ القرن الأول في القراءات إلى عصرنا الحديث، كما أن الغربيين ذهبوا مذاهب عدة وأدخلت الجوانب التشريحية والطبية وذلك لتحديد الصوت وصداه.

---

[1]- ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، ص 8.

[2]- بحوث لغوية لأحمد مطلوب، ص 27.

وذلك للمقارنة بين الصوت العربي مع غيره من الأصوات الأخرى بحسب تركيب الأجهزة الحديثة.

مثل ما جاء في قوله تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"[1]

فإن كلمة :أوهن" تبرز معنى الضعف من خلال بيان صوت الحلق والحنجرة المتمثل في الهاء، وإلحاقه بالنون الذي لا غنة فيه، ولا ضغط ولا إطباق، قال الزمخشري (ت538هـ) وقد صح أن أوهن البيوت بين العنكبوت، وكما أن أوهن البيوت لو استقريتها بيتا بيتا كذلك الأديان استقريتها وجدت أضعفها دينا عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون[2].

ومن ذا وذاك نجد أن القرءان الحكيم قد اختار الأصوات المتناسقة، والتي تنسجم مع ألفاظها وكلماتها. فإنه يرصد بذلك ما لتلك من قوة تعبيرية، بحيث يؤدي لها فضلا عن معانيها العقلية والفكرية.

فالأصوات في اللغة، نابع عن تحولات المجتمعات البشرية من ساذجة إلى متطورة، أو من بدائية إلى متحضرة، وما يرافق هذا التحول من تحول بالعلاقات الاجتماعية، والمناخ القومي العام، مما ينطبع أثره على الظواهر الاجتماعية وأبرزها اللغة لأنها أكبر ظواهره التفاهمية والتخاطبية، فتتحول تدريجيا إلى لغة متطور في كثير من أبعادها المرتبطة بتطور مجتمعها؛ إذ لا يمكن أن ينفصل التفكير في تحول مسار لغة ما عن التفكير في تحول مسار متكلمي تلك اللغة، فاللغة في تطورها جزء لا يتجزأ من المحيط في تطوره، وليس بالضرورة التطور إلى الأفضل بل قد تتطور

1- سورة العنكبوت، الآية [41].

2- ينظر كتاب الكشاف، ج3، ص 206.

اللغة إلى شيء آخر يعود بها التدهور والإنحطاط، تفقد فيه جملة من خصائصها الفنية أو الصوتية أو الجمالية، ونسلخ فجأة عن ملامحها الذاتية وتستبدلها هو أدنى قيمة لغوية.

وقد تزدهر ازدهارا يفوق حد التصور إذا كانت بسبيل من حماية أصالتها كما هي الحال في اللغة العربية إذ يحرسها القرءان العظيم.

التحول التاريخي هذا لا يعنينا الاهتمام بأمره كثيرا في ظاهره اللغوي، وإنما تعني هذه الدراسة بالشق الآخر من التحول وهو التحول التركيبي الذي ينشأ عادة نتيجة لظواهر تغيير أصوات اللغة الواحدة، واستبدال صوت منها بصوت آنيا أو دائميا، فما استجاب للإبدال الصوتي المؤقت يطلق عليه مصطلح المماثلة، وما استجاب للإبدال الصوتي الدائم يطلق عليه مصطلح المخالفة، هذا ما يبدو لي في التحول التركيبي، وهذه علة هذين المصطلحين، وقد يوافق هذ الفهم قوما، وقد لا يرتضيه قوم آخرون، ولكنه ما توصلت إليه في ظاهرتي المماثلة والمخالفة في التراث العربي واللغة منه بخاصة.

2ـ المماثلة:

ظاهرة أصواتية تنجم عن مقاربة صوت لصوت، فكلما اقترب صوت من صوت آخر، اقترب كيفية أو مخرج، حدثت مماثلة، سواء ماثل أحدهما الآخر أو لم يماثله.

والمماثلة أنواع أبرزها:

1. المماثلة الرجعية ومعناها: أن يماثل صوت صوتا آخر يسبقه.
2. المماثلة التقدمية: ومعناها: أن يماثل الصوت الأول الصوت الثاني.

3. المماثلة المزدوجة: ومعناها: أن يماثل صوت الصوتين اللذين يحوطانه[1].

والمماثلة في أنواعها متناسقة الدلالة في اللغة العربية في حالات الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والانطباق والانفتاح، مما يتوافر أمثاله في مجال الصوت، وتنقل مجراه.

إن انتقال حالة الجهر في الصوت العربي إلى الهمس في المماثلة الرجعية شائع الاستعمال في أزمان موقوتة لا تتعداها أحيانا إلى صنعة الملازمة والدوام، وإنما تتبع حالة المتكلم عند الممازحة بين الأصوات أو في حالة الإسراع، وهناك العديد من الكلمات العربية قد أخضعت لقانون المماثلة الرجعية، وهي أوضح فيما اختاره عبد الصبور شاهين، فالكلمة (أخذت) مثلا مما نظر له عنها، (أخذت) حينما تنطق آنيا (أخت) فقد آثرت التاء في (أخذت) وهي مهموسة، في الذال قبلها وهي مجهورة، فأفقدتها جهرها، وصارت مهموسة مثلها، وتحولت إلى تاء، ثم أدغم الصوتان.

أما عن المماثلة التقدمية، فإن العربية باب تقع فيه هذه المماثلة بصورة قياسية، في صيغة "افتعل-افتعالا" حيث يؤثر الصامت الأول في الثاني، قال تعالى: "وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ"[2]. لافعل: هو ذكر، وصيغة (افتعل-افتعالا) منه (إذتكر-إذتكارا) إذ تزاد الألف في الأول، والتاء تتوسط بين فاء الفعل وعينه، فيكون الفعل (إذتكر) والذال مجهورة، والتاء مهموسة، فتأثرت التاء بجهر الذال، فعادت مجهورة، والتاء إذا جهر بها عادت دالا، فتكون: (إذكر) والدال تؤثر في الذال

---

[1] - أنظر: مالبرج، علم الأصوات: 141 بتصرف واختصار.

[2] - سورة يوسف، الآية [45].

بشدتها، فتتحول الذال من صامت رخو إلى صامت شديد (دال) ثم تدغم الدالان، فتكون "إدَّكَرَ"[1].

3ـ المخالفة:

فتطلق عادة على أي تغيير أصواتي يهدف إلى تأكيد الاختلاف بين وحدتين صواتيتين، إذا كانت الوحدات الأصواتية موضوع الخلاف متباعدة[2] أو تؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين[3].

وقد وهم الدكتور إبراهيم أنيس رحمه الله بعدة علماء العربية القدامى لم يفطنوا لظاهرة المخالفة في الأصوات ولم يعنوا بها عناية بالغة[4].

بينما الاستقراء المنهجي لعلم الأصوات عند العرب أن قوانين علم الصوت العربي لم تفتها ظاهرة المخالفة بل تابعتها بحدود متناثرة في كتب اللغة والنحو والتصريف، وهو ما فعله علماء العربية في التنظير للمخالفة تارة، وبدراستها تارة أخرى، منذ عهد الخليل بن أحمد (ت: 175 هـ) حتى ابن هشام الأنصاري (ت: 761 هـ).

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين "عرفت العربية ظاهرة المخالفة في كلمات مثل: تظنن، حيث توالت نونات، فلما استثقل الناطق ذلك تخلص من أحدها بقلبها صوت علة فصارت: تظنى .. ولها أمثلة في الفصحى مثل: المخ: أنفثته نفثا، لغة في نقوته، إذا استخرجته، كأنهم أبدلوا الواو تاء"[5].

---

[1]- أنظر: عبد الصبور شاهين، علم الأصوات الدراسة: 145 بإضافة وتصرف.

[2]- أنظر: مالبرج، علم الأصوات: 148.

[3]- أنظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة: 134.

[4]- أنظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: 211.

[5]- أنظر: مالبرج، علم الأصوات: 148.

وهذا ما ذهب إليه الأستاذ فندريس في ظاهرة المخالفة صوتيا، وكأنه يترجم تطبيق العرب بأن "يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة، وكان من حقها أن تعمل مرتين"[1]. فإذا تركنا هاتين الظاهرتين إلى مصطلحين صوتيين آخرين يعنيان بمسايرة تطور الصوت في المقطع أو عند المتكلم، وهما: النبر والتنغيم، لم نجد العرب في معزل عن تصورهما تصورا اوليا إن لم يكن تكامليا، وإن لم نجد التسمية الاصطلاحية، ولكننا قد نجد مادتها التطبيقية في شذرات ثمينة.

النبر يعنى عادة متابعة العلو في بعض الكلمات لأنه لا يسم وحدة أصواتية واحدة، بل منظومة من الوحدات الأصواتية[2].

والتنغيم قد يعني عادة بمتابعة صوت المتكلم في التغيرات الطارئة عليه أصواتيا بما يلائم توقعات النفس الإنسانية للتعبير عن الحالات الشعورية واللاشعورية.

وكان المستشرق الألماني الدكتور براجشتراس قد وقف موقف المتحير حينا، والمتسائل حينا آخر، من معرفة علماء العربية بمصطلح النبر، فهو لم يعثر على نص يستند عليه، ولا أثر يلتجئ إليه في إجابة العربية عن هذا الأمر[3].

والحق أن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود كما يقال، غير أن القدماء من العرب لم يدرسوا النبر في تأثيره في اللغة، بل لأنه يعني بضبط المتكلم على الحرف، وبذلك ربطوه بالتنغيم أحيانا، وبالإيقاع الذي يهز النفس، ويستحوذ على التفكير، وقد اختار عبد الصبور شاهين مقطعا من خطبة تُروَى لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أثبتها وعقب عليها، قال الإمام علي فيما رُوي عنه: "من وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزاه، ومن

---

[1]- أنظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة: 134.

[2]- أنظر: مالبرج، علم الأصوات: 187.

[3]- أنظر: براجشتراس، التطور النحوي: 46.

جزاه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال: فيم؟ فقد ضمنه، ومن قال: علام؟ فقد أخفى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزاولة" وللقارئ أن يتخيل أداء هذه الجمل المتتابعة موقعة على نحو يشد إليها أسماع الناس، ويستأثر بإعجابهم"[1].

الحق أن اللاحاظ المشترك بين النبر والتنغيم عند العرب القدامى يجب أن يكون موضع عناية النظرية، مع فرض توافره تطبيقا.

قرآنيا في سور متعددة، وخطابيا عند النبي عليه السلام والأئمة والصحابة وفصحاء العرب في جملة من الخطب.

اتضح أن ابن جني (ت: 392 هـ) في عبارته (التطويح والتفخيم والتعظيم)[2] يمكن أن يشار عنده بها إلى مصطلحي النبر والتنغيم، بما تتفق ماعني العبارة من دلالات لغوية فقال:

"وتشير ألفاظ التطويح والتطريح والتفخيم من خلال معانيها اللغوية إلى رفع الصوت وانخفاضه والذهاب به كل مذهب، وهي على هذا إشارة إلى النبر، وليس النبر غير عملية عضوية يقصد فيها ارتفاع الصوت المنبور وانخفاضه، كما أن تمطيط الكلام، وروي الوجه وتقطيبه، مظهر من المظاهر التي تستند عليها ظاهرة التنغيم"[3].

---

[1]- ينظر عبد الصبور شاهين: علم الأصوات الدراسة: 200.

[2]- ينظر ابن جني، الخصائص: 370/2.

[3]- ينظر خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب: 67 وما بعدها.

فإذا نظرنا إلى تعريف التنغيم عند الأوروبيين بأنه "عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حد كلامي معين"[1]، ثبت لدينا أن هذا التعريف الفضفاض لا يقف عند حدود في التماس ظاهرة التنغيم وضبطها، لأن تتابع النغمات والإيقاعات بإضافتها إلى الحدث تختلف في هبوطها وصعودها نغما وإيقاعا فهي غير مستقرة المستويات في صنف مداها عند الدكتور تمام حسان إلى أربعة منحنيات: "مرتفع وعال ومتسوط ومنخفض"[2].

ومعنى هذا أن ليس بالإمكان قياس مسافة التنغم ليوضع له رمز معين، أو إشارة معلمة عند العرب، لهذا فقد كان دقيقا ما توصل إليه الدكتور طارق الجنابي باعتباره التنغيم "قرينة صوتية لا رمز لها، أو يعسر أن تحدد لها رموز، ومن ثم لم يكن موضع عناية اللغويين القدامى، ولكنه وجد من المحدثين اهتمام خاصا بعد أن أضحت اللغات المحكية.

موضع دراسة في المختبرات الصوتية[3]:

وفقدان موضع العناية لا يدل على فقدان الموضوع، فقد كان التنغيم مجال دراسة لجملة من فنون العربية في التراكيب والأساليب، في تركيب الجملة لدى تعبيرها عن أكثر من حالة نفسية، وأسلوب البيان لدى تعبيره عن المعنى الواحد بصور متعددة، وهذا وذلك جزء مهم في علمي المعاني والبيان نحوا وبلاغة؛ وهي معالم أشبعها العرب بحثا وتمحيصا، وإن لم يظهر عليها مصطلح التنغيم.

---

[1]- ينظر ماريو باي، أسس علم اللغة: 93.

[2]- ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: 229.

[3]- ينظر طارق عبد العون، قضايا صوتية في النحو العربي: "يرحث".

نظرية الصوت اللغوي:

وليس جديدا القول بسبق العرب إلى تأصيل نظرية الصوت اللغوي، واضطلاعهم بأعباء المصطلح الصوتي منذ القدم، لقد كان ما قدمناه في "منهج البحث الصوتي عند العرب" وإن كان جزئي الإثارة، فإنه كاف–في الأقل– للتدليل على أصالة هذا المنهج، وصحة متابعته الصوتية في أبعاد بها اثنان.

نضيف إلى ذلك ظاهرة صوتية متميزة في أبحاث العرب لم تبحث في مجال الصوت، وإنما بحثت في تضاعيف التصريف، ذلك أن صلة الأصوات وثيقة في الدرس الصرفي عند العرب في كل جزيئاته الصوتية، فكان ما توصل إليه العرب في مضمار البحث الصرفي في عبارة عن استجابة لمفاهيم الأصوات قبل أن تتبلور دلالتها المعاصرة، فإذا أضفنا إلى ذلك المجموعة المتناثرة لعناية البحث النحوي بمسائل الصوت خرجنا بحصيلة كبيرة متطورة تؤكد النظرية الصوتية في التطبيق مما يعد تعبيرا حيا عن الآثار الصوتية في أمهات الممارسات العربية في مختلف الفنون.

"ولقد كان للقدماء من علماء العربية في بحوث في الأصوات اللغوية شهد المحدثون الأوروبيين أنها جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم، وقد أرادوا بها خدمة اللغة العربية والنطق العربي، ولا سيما في الترتيل القرآني، ولقرب هؤلاء العلماء من عصور النهضة العربية، وإيصالهم بفصحاء العرب كانوا مرهفي الحس، دقيقي الملاحظة، فوصفوا لنا الصوت العربي وصفا آثار دهشة المستشرقين وإعجابهم"[1].

وهذه البحوث الصوتية التي سبق إليها علماء العربية فأثارت دهشة المستشرقين، وأفاد منها الأوروبيين في صوتياتهم الدقيقة التي اعتمدت أجهزة التشريح، وقياس

---

[1]– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: 5.

الأصوات في ضوء المكتشفات، قد أثبتت جملة من الحقائق الصوتية، كان قد توصل إليها الأوائل عويا، في حس صوتي تجربته الذائقة الفطرية، وبعد أن تأصلت لديهم إلى درجة النضج، قدمت منهجا رصينا رسخ فيه المحدثون حيثيات البحث الصوتي الجديد في المفردات والعرض والأسلوب والنتائج على قواعد علمية سليمة.

لقد قدم العرب والمسلمون مفصلا صوتيا مركبا من مظاهر البحث الصوتي يمثل غاية في الدقة والتعقيد، لم يستند إلى أجهزة متطورة، بل ابتكرته عقول علمية نيرة، وأذهان صافية، تجردت للحقيقة، وتمحصت للبحث العلمي، مخلصة فيه النية، وكانت الخطوط العريضة لهذا العطاء على وجه الإجمال عبارة عن مفردات هائلة، ونظريات متراصة، يصلح أن يشكل كل عنوان منها فصلا من باب، أو بابا في كتب، يستقرئ به الباحث ما قدمه علماء العربية من جهد متميز واكبه الغربيون بعد أن عبد طريقه العرب والمسلمون، هذه المفردات في عنوانات ريادية تمثل الموضوعات الآتية في نظريةالصوت:

1. ظاهرة حدوث الصوت.
2. معالم الجهاز الصوتي عند الإنسان.
3. أنواع الأصوات العالمية.
4. درجات الأصوات في الاهتزازات.
5. بدايات الأصوات عند المخلوقات.
6. علاقة الأصوات باللغات الحية.
7. أعضاء النطق وعلاقتها بالأصوات.
8. الأصوات الصادرة دون أعضاء نطق.

9. علاقة السمع بالأصوات.

10. مقاييس الأصوات امتدادا أو قصرا.

11. تسميات الأصوات وأصنافها.

12. الأصوات الزائدة على حروف المعاجيم.

13. الزمان والصوت (مسافة الصوت).

14. المكان والصوت (مساحة الصوت).

15. المقاطع الصوتية بالإضافة إلى مخارج الأصوات.

16. النقاء الصوتي.

17. الموسيقي والصوت.

18. العروض والصوت.

19. النبر والصوت.

20. التنغيم والصوت.

21. التقريب بين الأصوات.

22. الرموز الكتابية والأصوات.

23. إنتلاف الحروف وعلاقته بالأصوات.

هذه أهم مفردات المصطلح الصوتي في نظرية الصوت اللغوي عند العرب توصلنا إليها من خلال عروض القوم في كتبهم، وطروحهم في بحوثهم، وأن لم يشتمل عليها كتاب بعينه، وإنما جاءت استطرادا في عشرات التصانيف، ونحن لا نريد حصرها

بقدر ما نريد من التنبيه، أن هذه الموضوعات التي سبق إليها العرب، هي التي توصل إليها الأوروبيين اليوم، ومنها استقوا، ومنها معلوماتهم الأولية، ولكنهم أضافوا وجددوا وأبدعوا، وتمرست عندهم المدارس الصوتية الجديدة، تدعمها أجهزة العلم، والاموال الطائلة، والخبرات الناشئة، مع الصبر على البحث، والأناة في النتائج.

لقد كان ما قاله المرحوم الأستاذ مصطفى السقا وجماعته في مقدمتهم لسر صناعة الإعراب ملحظا جديرا بالاهتمام ... "والحق أن الدراسة الصوتية قد اكتملت وسائلها وموضوعاتها ومناهجها عند الأوروبيين، ونحن جديرون أن نقفوا آثارهم وننتفع بتجاربهم، كما انتفعوا هم بتجارب الخليل وسيبويه وابن جني وابن سنا في بدء دراستهم للأصوات اللغوية[1]. فالأوروبيين أفادوا من خبراتهم الأصلية. فهل نحن منتفعون؟

لقد توصل العرب حقا إلى نتائج صوتية مذهلة أيدها الصوت اللغوي الحديث في مستويات هائلة نتيجة لعمق المفردات الصوتية التي خاض غمارها الرواد القدامى، وقد أيد هذا التوصل اثنان من كبار العلماء الأوروبيين هما: المستشرق الألماني الكبير الدكتور براجشتراسر، والعالم الإنجليزي اللغوي المعروف الأستاذ فيرث.

أ. يقول الدكتور براجشتراسر في معرض حديثه عن علم الأصوات:

"لم يسبق الأوروبيين في هذا العلم إلا قومان: العرب والهنود"[2].

ب.ويقول الأستاذ فيرث:

---

[1]- مصطفى السقا وآخرون، سر صناعة الإعراب، مقدمة التحقيق: ص9.

[2]- براجستر، التطور النحوي: 57.

"إن علم الأصوات قد نما وشب في خدمة لغتين مقدستين هما: السنسكريتية والعربية"[1].

والعرب مقدمون على الهنود في النص الأول لأنهم أسبق، السنسكريتية في النص الثاني لغة بائدة آثارية، والعربية خالدة ولنقف عند رايين في نظرية الصوت اللغوي:

الأول: توصل الدكتور العطية "أن بعض مباحث العرب في البحث الصوتي داخلة في (علم الصوت: PHONETIC) لاشتماله على دراسة التكوين التشريحي لجهاز النطق والصوت ومكوناته وعناصره وصفاته العامة والخاصة على مستوى المجموعة البشرية. كما أن بعض جوانب (علم الصوت الوظيفي PHONOLOGY) تبدو جلية في دراسة قوانين التأثر والتأثير، واستكناه النبر والتنغيم، وطول الصوت وقصره، سواء أكان طوله صفة دائمة أم آنية عارضة"[2].

الثاني: إن الصوت قد فرض نفسه عند العرب في دراسات قد لا تبدو علاقتها واضحة بالصوت، وقد وقف الدكتور الجنابي ند جملة (من المسائل النحو عرض لها النحويون وتأولوها، واعتلوا لها بعلل لا تقنع باحثا، ولا ترضي متعلما، ولكن التفسير الصوتي هو الذي يحل الإشكال ويزيل اللبس بمعزل عن القرائن أو العلاقت المعنوية بين المفردات، فلا صلة للتغيير الحركي بالفاعلية والمفعولية مثلا، ولا رابطة له بالأساليب، وإنما هو لون من الانسجام مع التغيير التلقائي الذي أشرت إليه"[3].

هذان الرأيان نلمح بهما تمكن الدرس الصوتي عند العرب، فجملة مباحثهم صوتيا داخلة في علوم الصوت، وما لم يجدوا له تعليلا فيحل إشكاله التفسير الصوتي، وهذان ملحظان جديران بالتأمل.

---

[1]- ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب: 101 وأنظر مصدره.

[2]- ينظر: خليل إبراهيم العطية: في البحث الصوتي عند العرب: 108.

[3]- ينظر: طارق عبد المؤمن، قضايا صوتية في النحو العربي "بحث".

أما خلاصة تجارب الأوروبيين في المصطلح الصوتي فقد كانت نتيجة حرفية لمداليل النظرية الصوتية عند العرب في نتائج ما توصل إليه علمائهم الأعلام.

هذه النظرية الصوتية عند العرب عبارة عما توصل إليه العرب من خلال تمرسهم وتجاربهم بنظريات نحوية وصرفية وبيانية وصوتية وإيقاعية وتشريحية شكلت بمجموعها "نظرية الصوت" وهي في تصور تخطيطي تشمل المنظور الآتي:

أ. النظرية العربية في الأبجدية الصوتية على أساس المخارج والمدارج والمقاطع كما عند الخليل وسيبويه والفراء.

ب. النظرية العربية في أجهزة النطق وأعضائه، وتشبيهه بالناي تارة، وبالعود في جس أو تاره تارة أخرى كما عند ابن جني.

ت. النظرية العربية في التمييز بين الأصوات عن طريق إخفاء الصوت.

ث. النظرية العربية في ربط الإعلال والإبدال، والترخيم والتنمغيم، والمد والأشمام بعملية حدوث الأصوات وإحداثها.

ج. النظرية العربية في التلاؤم بين الحروف وأثره في سلامة الأصوات، والتنافر فيها وأثره في تنافر الأصوات.

ح. النظرية العربية في أصول الأداء القرآني، وعروض الشعر والإيقاع الموسيقي، وعلاقة ذلك بالأصوات.

خ. النظرية العربية في التوصل إلى معاجلة التعقيدات النحوية، والمسوغات الصرفية في ضوء علم الأصوات.

هذا العرض الإشاري لنظرية الصوت اللغوي، يكفي عادة للتدليل على أصالة النظرية عند العرب، دون حاجة إلى استجداء المصطلحات الأجنبية، أو استحسان

الجنوح إلى الموارد الأوروبية، فبحوث العرب في هذا المجال متوافرة، وقد يقال إن التنظيم يعوزها، وأنها تفتقر إلى الترتيب الحديث، للإجابة عن هذه المغالطة نضع بين أيدي الباحثين المنصفين: الفصل الثاني من هذاالكتاب بين يدي الموضوع، والذي أطمح أن يكون مقنعا بأمانة وإخلاص في إثبات تنظيم البحث الصوتي، وسلامة مسيرة الصوت اللغوي، وموضووعية العرض دون تزيد أو ابتسار في علم الأصوات وعالمها.

إن الخليل أول من التفت إلى صلة الدرس الصوتي بالدراسات اللغوية الصرفية والنحوية، ولذلك كان للدراسة الصوتية من عنايته نصيب كبير، فقد أعاد النظر في ترتيب الأصوات القديمة، الذي لم يكن مبنيا على أساس منطقي، ولا على أساس لغوي فرتبها بحسب المخارج وقد وضع لكل صوت حيزه داخل جوية الفم، وهذا العمل يعتبر أول فتح جديد في الدراسات الصوتية، إذ انطلق من معرفة خصائص الحروف وصفاتها[1].

لم تكن هذه الأولية اعتباطية، ولا الحلم بها مفاجئا، فهما يصدران عن رأي رصين لأن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) هو أول من وضع الصوت اللغوي موضع التطبيق بطريقة فنية في دراسته اللغوية التي انتظمها كتابه الفريد (العين) بل هو أول من جعل الصوت اللغوي أساس اللغة المعجمي، فكان بذلك الرائد والمؤنس.

يبدأ الخليل مقدمته بالصوت اللغوي عند السطر الأول بقوله "هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصري من حروف أ، ب، ت، ث[2] وأضاف أنه لم يمكنه "أن يبتدأ

---

[1]- مقدمة التحقيق لكتاب العين، 10/1.

[2]- كتاب العين للخليل، ج1، ص 47.

التأليف من أول أ، ب، ت، ث وهو الألف لأن الألف حرف معتل فلما فإنه الحرف الأول فكرة أن يبتدأ بالثاني وهو الباء إلا بعد حجة واستقصاء النظر، فدبر ونظر فدبر ونظر إلى الحروف كلها، وذاقها فوجد الكلام مخرج كله من الحلق، فصير أولاها بالابتداء أدخل في الحلق[1].

وقد جاء كتاب المزهر علوم اللغة وأنواعها.

ولما صنع إسحاق بن إبراهيم كتابه في النغم واللحون عرضه على إبراهيم بن المهدي، فقال له: لقد أحسنت يا أبا محمد، وكثيرا ما تحسن فقال إسحاق، بل أحسن الخليل، لأنه جعل السبيل إلى الإحسان، فقال إبراهيم ما أحسن هذا الكلام ! فممن أخذته؟ قال من ابن مقبل، إذ سمع حمامة فاهتاج، فقال [من الطويل].

وَلَو قَبلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً * إِذَا لَشُفِيتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ

وَلَكِن بَكَتْ قَلْبِي فَهَاجَ لِي البُكَا * بكاها فقلت: الفضل للمتقدم[2]

ومعنى هذا أنه مع الحروف مختبرية استقرائية، ابتداء من أقصى الحلق، فالحلق، ومرورا بفضائه، فالأسنان وانتهاء بالشفة فالميم عندها، لأن الميم أرفع حروف الشفة.

هذا يدل على ذائقة حسية فريدة، وصبر عنيف على الاستنتاج، حتى توصل إلى ما توصل إليه ابتداعا وابتكارا، دون الاستعانة بأي جهاز علمي؛ إذ ل جهاز

1- المصدر السابق، نفس الصفحة والجزء.

2- ينظر كتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها بعبد الرحمن أبي بكر محمد جلال الدين السيوطي لتحقيق محمد عبد الرحيم، دار الفكر، ص 83.

آنذاك، وهو مالم يثبت العلم التشريحي الحديث بكل أجهزته الدقيقة، ومختبراته الضخمة خلافا له فيما يبدو إلا يسيرا[1].

إن الخليل في ذائقته الصوتية هذه، قد قلب حروف العربية، فوضعها في منازل معينة ضمن مخارج صوتية معينة بحسب مدارج مقدرة من أقصى الحلق حتى إطباق الشفة في الميم.

واتضح أن الخليل رحمة الله تعالى قد صنف هذه المخارج إلى عشرة أصناف كالآتي:

1. ع، ح، هـ، خ، غ.
2. ق، ك.
3. ج، ش، ض.
4. ص، س، ز.
5. ط، د، ت.
6. ظ، ث، ذ.
7. ر، ل، ن.
8. ف، ب، م.
9. و، ا، ي.
10. همزة[2]

---

[1]- ينظر: المؤلف، منهج البحث الصوتي عند العرب: نقد وتحليل: "بحث".

[2]- الخليل، كتاب العين: 48/1.

ولم يكتف الخليل بهذا التقسيم الفيزيولوجي الدقيق بحسب تذوقه الخاص، بل نص على تسمية كل قسم من هذه الأقسام، وأفاد اللغات العالمية جمعاء، بأصل من الأصول الأولى في الاصطلاحات الصوتية دون أن يسبقه إلى ذلك سابق، بل عول عليه فيه كل لاحق.

لقد حدد الخليل كل صنف من أصناف الحروف المعجمية على بنية صوتية متميزة، تحسها كيانا مستقلا، وتذوقها قاعدة صلبة، وعلل ذلك على أساس صوتي متكامل، ووعي بأبعاد هذا الأساس، فَكوَّن بذلك نظاما فريدا غير قابل للرد إذ جاء فيه بضرس قاطع لا يختلف به اثنان، وسير ذلك مسيرة نابضة بالحياة لا يلحقها الهرم، ولا تعزوها النضارة، فهي غضة طرية في كل حين، قال الخليل: "فالعين والحاء والغين والخاء حلقية، لأن مبدأها من الحلق. والقاف والكاف لهويتان، لأن مبدأها من شجر الفم. والجيم والشين والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم. والصاد ةالسين والزاء أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان. والطاء والتاء والدال نطعية لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى.

والظاء والذال والثاء، لأن مبدأها من اللثة.

والراء واللام ولانون ذلقية، لأن مبدأها من ذلق اللسان

والفاء والباء والميم شفوية، لأن مبدأها من الشفة.

والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد، لأنها لا يتعلق بها شيء[1].

[1] - الخليل، كتاب العين: 58/1.

إن هذه التسميات التشخيصية قد نهضت بكيان كل صوت وعادت به إلى نقطة انطلاقه، واهتداء الخليل إليها بذهنه المتوهج فطنة وذكاء، دون مثال يحتذيه عند من سبقه من علماء العربية كنصر بن عاصم الليثي وأبي عمرو بن العلاء لدليل ناصع على موسوعية فذة، وعبقرية لا تقاس بالأشباه، كيف لا وبداية إفاضته الصوتية مبكرة ومبتكرة.

ختم الخليل هذه المقدمة بما بدأه من ملحظ صوتي ليس غير: "بدأنا في مؤلفنا هذا بالعين، وهو أقصى الحروف ونضم إليه ما بعده حتى نستوعب كلام العرب الواضح والغريب، وبدأنا الأبنية بالمضاعف لأنه أخف على اللسان، وأقرب مأخذا للمتفهم"[1]. ولما كانت هذه المقدمة مشتملة على الإفاضة الصوتية الأولى عند العرب، فإننا نشير إلى بعض ملامحها بإيجاز وتحديد:

1. لقد أدرك الخليل بفطرته الصافية، وحسه المتوقد، أهمية الصوت اللغوي في الدراسات اللغوية المتخصصة، فأشار إلى أبعادها من ينابيعها الاولى، فوضع يده على الأصول في انطلاق الأصوات من مخارجها الدقيقة، وأفرغ جهده الدؤوب في التماس التسميات للمسميات فطبق بها المفصل، وتمكن من استنباط طائفة صالحة من الأسرار الصوتية من هذا الخلال، لذلك فقد كان صحيحا ما توصل إليه محققا العين أن في المقدمة منه "بواكير معلومات صوتية لم يدركها العلم فيما خلا العربية من اللغات إلا بعد قرون عدة من عصر الخليل"[2].

ووقع المصاب، وفرط الأذى، واللفظ فيها رفيق رقيق، ولكن المعنى شديد غليظ. وللدلالة على هذا الملحظ، فقد وردت المادة في صوتها الحالم هذا مقترنة

---

[1]- المصدر نفسه: 60/1.

[2]- ينظر: مقدمة التحقيق لكتاب العين: 10/1.

بالمس الرفيق لاستخلاص الأمرين في حالتي، السراء والضراء، الشر والخير، كما في كل من قوله تعالى:

"وَقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء"[1].

"إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا"[2].

فالضراء تمسهم إذن، والسراء تمسهم كذلك، والشر يمسهم والخير كذلك، ولم يشأ العظيم تغيير المادة بل اللفظ عينه في الحالتين، وذلك للتعبير عن شدة الملابسة والملامسة والالتصاق.

وكما ورد اللفظ في مقام الضر منفردا في أغلب الصيغ، وورود مثله جامعا لمدركي الخير والشر، فقد ورد للمس الجميل خاصة في قوله تعالى: "إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ"[3].

وقد ينتقل هذا اللفظ بدلائله إلى معان أخر، لا علاقة لها بهذا الحديث دلاليا، وإن تعلقت به صوتيا، كما في إشارة إلى المس بمعنيين مختلفين آخريين.

الأول: كنى فيه بالمس عن النكاح في كل من قوله تعالى:

أ. " قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ "[4]

ب. " لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ "[5]

1- سورة الأعراف: الآية [95].

2- سورة المعارج: الآية [19-21].

3- سورة آل عمران: الآية [120].

4- سورة مريم: الآية [20].

5- سورة البقرة: الآية [236].

الثاني: وقد عبر فيه بالمس عن الجنون كما في قوله تعالى:

" الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ "[1].

وقد اجتمعت كلها في طبيعة الصوت.

4. الألفاظ الدالة على الأصوات:

توافرت طائفة من الألفاظ الدقيقة عند إطلاقها في القرآن، وتتميز هذه الدقة بكون اللفظ يدل على نفس الصوت، والصوت يتجلى فيه ذات اللفظ، بحيث يستخرج الصوت من الكلمة، وتؤخذ الكلمة منه، وهذا من باب مصابقة الألفاظ للمعاني بما يشكل أصواتها، فتكون أصوات الحروف على سمت الأحداث التي يراد التعبير بها.

يقول ابن جني (ت: 392 هـ) "فأما مقابلة الألفاظ بما يشكل أصواتها من الاحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره، ومن ذلك قولهم: "خضم، فالخصم لأكل الرطب ...والقضم لأكل اليابس"[2].

ونضع فيما يأتي أمثلة لهذا الملحظ في بعض ألفاظ القرآن العظيم:

مادة "خر" توحي في القرآن بدلالتها الصوتية بأن هذا اللفظ جاء متلبسا بالصوت على سمت الحديث في كل من قوله تعالى:

---

[1]- سورة البقرة: الآية [275].

[2]- ابن جني، الخصائص: 65/1.

"وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ"[1].

" فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ "[2].

"فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ"[3].

"فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ"[4].

فإن هذا اللفظ وقد جاء بصيغة واحدة في عدة استعمالات، يدل بمجملة على السقوط والهوي، وهذا السقوط، وذلك الهوي: مصحوبان بصوت ما، وهذا الصوت هو الخرير، والخرير هو صوت الماء، أو صوت الريح، أو صوتهما معا، فالحدث على هذا مستل من جنس الصوت، ومن هنا يستشعر الراغب (ت: 502هـ) دلالة اللفظ الصوتية فيقول:

"فمعنى خر سقط سقوطا يسمعة منه خرير، والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو؛ وقوله تعالى: "خَرُّوا سُجَّدًا"[5] فاستعمال الخر تنبيه على اجتماع أمرين: السقوط، وحصول الصوت منهم بالتسبيح، وقوله من بعده "وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ"[6]. فتنبيه أن ذلك الخرير كان تسبيحا بحمد الله لا بشيء آخر"[7].

ووجه الدلالة فيما يبدو أن الخر يأتي بمعنى السقوط من شاهق، وأن الخرير إنما يستعمل لصوت الماء أو الريح أو الصدى محاكيا لهذا اللفظ في ترديده، فلم يرد مجرد السقوط "خر" وإنما أراد الصوت مضافا إليه الوقوع والوجبة في إحداث هذا

---

[1]- سورة الحج، الآية [31].
[2]- سورة النحل، الآية [26].
[3]- سورة سبأ، الآية [14].
[4]- سورة ص، الآية [24] 15.
[5]- سورة السجدة، الآية []
[6]- سورة السجدة، الآية [15].
[7]- كتاب المفردات: 144.

الصوت، وكانت هذه الإضافة الدلالية صوتية سواء أكانت في صوت الماء، أم بالوقوع والسقوط، أم بالتسبيح، والله أعلم.

2. مادة "صرّ" في كلمة "صر" من قوله تعالى: "كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ"[1].

أو كلمة "صرصر" في كل من قوله تعالى: "وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ"[2].

" إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ"[3].

هذه المادة في هذه الصيغ الثلاث: مرفوعة، مجرورة، منصوبة، وردت في القرآن وأنت تلمس فيها اصطكاك الأسنان، وترديد اللسان، فالصاد في وقعها الصارخ، والراء المضعفة، والتكرار رللمادة في صرصر، قد أضفا صيغة الشدة، وجسد صورة الرهبة، فلا الدفء بمستنزل، ولا الوقاية متيسرة، وذلك ما يهد كيان الإنسان عند التماسه الملجأ فلا يجده، أو النجاة فلا يصل شاطئها، أو الوقاية من البرد القارس فلا يهتبلها.

في لفظ "الصر" ذائقة الشتاء، ونازلة الثلوج، وأصوات الرياح العاتية، مادة الصر إذن: عبر عنها الراغب (ت:502هـ) "ترجع إلى الشدة لما في البرودة من التعقد"[4].

قال الزمخشري (ت: 538 هـ): "الصر الريح الباردة نحو الصرصر، وفيه أوجه:

---

[1]- سورة آل عمران، الآية [117].

[2]- سورة الحاقة، الآية [6].

[3]- سورة القمر، الآية [19].

[4]- كتاب الرائد في المفردات: 279.

أحدهما: أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة، فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر، كما تقول: برد بارد على المبالغة.

الثاني: أن يكونالصر مصدرا في الأصل بمعنى البرد فيجيء به على أصله.

الثالث: أن يكون شبه ما كانوا ينفقون بالزرع الذي جسه البرد فذهب حطاما[1].

ولكننا نضع أيدينا على الحس الصوتي في اللغة، فيعطينا دلالة خاصة، مواكبة لسياق الحدث في هذا الصوت، فريح صر وصرصر شديدة البرودة، وقيل: شديدة الصوت، وصر وصرصر: صوت الصرير.

قال بن الأنباري في قوله: "**كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ**"[2]. فيها: أحدها: فيها صر أي برد، والثاني فيها تصويت وحركة.

والصرة أشد الصياح تكون في الطائر والإنسان. وصر صماخه صريرا: صوت من العطش، وصرصر الطائر: صوت.

وفي حديث جعفر بن محمد الصادق عليه السلام والصر عصفور أو طائر في قده، أصفر اللون سمي بصوته؛ يقال صر العصفور إذا صاح وصر الجندب يصر صريرا، وصر الباب يصر، وكل صوت شبه ذلك فهو صرير إذا امتد، فإذا كان فيه تخفيف وترجيع في إعادة ضوعف كقوله: صرصر الأخطب، كأنهم قدروا في صوت الجندب المد، وفي صوت الأخطب الترجيع فحكوه على ذلك[3].

فالصوت هنا ملازم لـ (صر) و(صرصر) تارة في الشدة، وأخرى في صوت الريح، ومثلها في أشد الصياح، وتارة في التصويت من العطش، وسواها في

---

[1]- الزمخشري، الكشاف، 457/1.

[2]- سورة آل عمران، الآية [117].

[3]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب: مادة: صرر.

تصويت الطائر، وأهمها (الصر) سمي بصوته، ويليه العصفور إذا صاح، ومن ثم صرصر الباب، وصر الجندب، وكل صوت يشبه ذلك في التخفيف أو الترجيع.

و"صر" في الآيات ليست بمعزل عن هذه المصاديق في الشدة والصوت والتصويت، وتسمية الشيء باسم صوته والذكر الحكيم حافل بالألفاظ دالة على الأصوات، جريا على سنن العرب في تسمية اللفظ باسم صوته.

5. اللفظ المناسب للصوت المناسب:

كل لفظ في القرآن الكريم أختير مكانه وموضوعه من الآية أو العبارة أو الجملة فإن غيره لا يسد مسده بداهة، فقد اختار القرآن اللفظ المناسب في الموقع المناسب من عدة وجوه، وبمختلف الدلالات، إلا أن استنباط ذلك صوتيا باستقلالية الكلمة المختارة لدلالة أعمق، وإشارة أدق، بحيث على أية جهة فنية استبدال بغيره، إذ لا يؤدي غيره المراد.

الواعي منه، وذلك معلم من معالم الإعجاز البياني في القرآن.

1. في قوله تعالى: "يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ"[1]. جرس موسيقي حالم، وصدى صوتي عميق، زوإطلاق للأصوات من أقصى الحلق وضمنها للشفة ثم إعادة إطلاقها، فيما به يتعين موقع "أوبي" بحيث لا يسد مسدها غيرها من الألفاظ، فالمراد بها ترجيع التسبيح من آب يؤوب، على جهة الإعجاز بحيث تسبح الجبال، وهو خلاف العادة، وخرق لنواميس الكون في ترديد الأصوات من نفس واحد باختلاف النبرات.

ولقد ظل النفس جاريا مستطيلا في اللام عند مجاورتها للكاف، وزاد التشديد في استطالتها، لتوحي الكلمة بأبعدها الصوتية: بأن هذا العبد شؤم لا خير معه،

---

[1]- سورة سبأ، الآية [10].

وبهيمة لا أمل بإصلاحه، فهو عالة وزيادة، بل هو "كل" بكل التفصيلات الصوتية لهذا اللفظ.

لقد كان اختيار اللفظ المناسب للصوت المناسب حقلا يانعا في القرآن لا للدلالة الصوتية فحسب، بل لجملة من الدلالات الإيحائية واللغوية والهامشية، وتلك ميزة القرآن الكرين في تخير الألفاظ.

بعد هذه الجولة الفسيحة في أبعاد الصوت اللغوي في القرآن الكريم، يجرد في خاتمة المطاف أن أضع أبرز النتائج والكشوفات العلمية التي يسرها البحث.

1. مصطلح الصوت اللغوي، فأفضنا الحديث عن الصوت لغة، والصوت ذبذبة، والصوت غنائيا، والصوت عند الأصواتين العرب، وانتهينا أن الصوت بوصفه لغويا يعني في هذه الدراسة المتخصصة: تتبع الظواهر الصوتية لحروف المعجم العربي، وتطبيقها تنظيرنا في القرآن العظيم بخاصة لأنه حقل البحث، وموضوع تفصيلاته اللغوية، فيما أثبت البحث: أن مصطلح علم الأصوات: مصطلح عربي أصيل سبق إليه علماء الإسلام والعربية وخصوصا القراءات القرآنية.

2. وعرض الفصل إلى تقسم الصوت بين العربي والأوروبيين، فكانت دقة العرب أن توصلوا إلى تقسيم الحروف إلى طائفتين صوتيتين هما: الأصوات الصائتة والأصوات الصامتة، وكانت هذه التسمية دليل الأوروبيين –فيما بعد– في التقسيم إلى الأصوات الساكنة وأصوات اللين.

وتوصل العرب إلى صفات هذه الأصوات في مخارجها، وقسموا الصوت بعد ذلك إلى مجهور ومهموس، وشديد ومطبق، وسواهما، وهو ما توصل إليه المحدثون بعد دراسات تشريحية لأجهزة اتلنطق.

وكان تقفسيم العرب والمسلمين للأصوات باعتبار مخارجها مخططا تفصيليا لعملية إحداث الأصوات مع تسمياتها في المصطلح الصوتي ذلك ما قاربه وحقق القول فيه علماء الأصوات المحدثون، وهم يسخرون لذلك أجهزة العلم الفيزيولوجية، بينما اكتشفه المسلمون والعرب بذائقتهم الفطرية الخالصة.

3. أما عرضنا لتطور الصوت اللغوي في التحول التاريخي لنظام الأصوات، ووقفنا عند التحول التركيبي الذي ينشأ عادة نتيجة لظواهر تغيير أصوات اللغة الواحدة، واستبدال صوت منها بصوت آخر، مما نشأ عنه مصطلح المماثلة عند استجابته للإبدال الصوتي المؤقت، ومصطلح المخالفة فيما استجاب للإبدال الصوتي الدائم، وبحثنا المصطلحين في شذرات أحسبها مفيدة، وعرضنا بعد هذا الجزء -في ضوء تطور الصوت في المقطع أو عند المتكلم- لظاهرتي النبر والتنغيم، وهما موضع عناية عند العرب من الناحية النظرية، مع فرض توافر اللفظ المشترك في التطبيق القرآني.

4. وتناولنا نظرية الصوت اللغوي عند العرب فيما شهد بأصالته المحدثون من الأوروبيين والمستشرقين، فكان ما توصل إليه العرب: عبارة عن المادة التخطيطية لمئات الجزيئات، وعشرات الموضوعات الصوتية المتخصصة مما أشاروا إليه في كتبهم مفردات: منظمة متناسقة مثلت نظرية الصوت في جميع المستويات الصوتية المعقدة، ابتداء من أجهزة النطق، ومرورا بكل التفصيلات المضنية للأصوات، وانتهاء بأقسية الزمان والمكان للصوت.

وتطرقت إلى منهجية البحث الصوتي وقد عرضنا لتاريخية البحث الصوتي في منهجتيه العربية المقارنة بالفكر الأوروبي الحديث مما توصل معه للبحث إلى أصالة المنهجية الصوتية عند العرب بدء من:

1. الخليل بن أحمد الفراهيدي ومدرسته الصوتية، فرأينا الخليل (ت: 175 هـ) أول من وضع الصوت اللغوي موضع التطبيق الفني في مقدمة العين باعتبارها مادة صوتية وصلت إلينا في كتب اللغة، وتتبعنا ذلك في أبرز إفاضات الخليل فوجدناه قد نص على تسمية كل نوع من الأصوات، وقد تذوق الحروف من مخارجها، وحدد كل صنف من أصناف الحروف المعجمية على بنية صوتية متميزة عن سواها، ووضع مخططا شاملا لمخرج كل صوت إنساني مضاف إلى حيزه الخاص، وعرض إلى التمايز الصوتي في اللغة، فهو يرى في اللغة امتدادا طبيعيا للأصوات من خلال حصره للمعجم العربي بأبعاد صوتية لم تخطئ ولا مرة واحدة.

2. ووجدنا سيبويه (ت: 180 هـ) قد تأثر بمدرسة الخليل الصوتية فسا على نهجه في كثير من الأبعاد، واجتهد في القسم الآخر، وكان له قدم سبق في قضايا الإدغام، وتمييزه الدقيق بين صفتي الجهر والهمس، ورأينا ابن دريد -وهو امتداد لهما- يصدر في جمهرة عن علم الخليل ومنهجية سيبويه، ويضيف بعض الإشارات الصوتية في ائتلاف الحروف.

3. ووقفنا عند الفكر الصوتي لأبي الفتح عثمان بن جني (ت: 392 هـ) باعتباره أول من استعمل مصطلحا فنيا للدلالة على الأصوات سماه: "علم الأصوات" وكان منهجه الصوتي مثارَ إعجاب للبحث بما صح أن يطلق عليه اسم الفكر الصوتي، لأنه يتمحص لهذا العلم، ويعرض فيه عصارة تجاربه الصوتية دقيقة منظمة، ويتفرؤغ لبحث أصعب المشكلات الصوتية بترتيب حصيف في بحوث قيمة عرضت لجوهر الصوت فيمتابيه: سر صناعة الإعراب والخصائص.

وكان منهجه يضم تتبع الحروف من مخارجها وترتيبها على مقاطع، وإضافته ستة أحرف مستحسنة بأصواتها إلى حروف المعجم، وثمانية أحرف فرعية مستقبحة

بأصواتها، ويحصر مخارج الحروف في ستة عشر مخارجا تشريحيا منظرا بأمثلته، فكان فكر ابن جني الصوتي قد حقق نظاما أصواتيا قارناه بالفكر الصوتي العالمي من خلال هذه الظواهر:

أ. مصدر الصوت ومصطلح المقطع.

ب.جهاز الصوت المنتقل.

ت.أثر المسموعات في تكوين الأصوات.

ث.محاكاة الأصوات.

وكان ما قدمه ابن جني تأصيلا صوتيا لكثير من الملامح والخصائص المكتشفة في ضوء العلم الفيزيولوجي الحديث.

4. وعالجنا موضوع: القرآن والصوت اللغوي، فوجدنا المباحث عند العرب قد اتخذت القرآن أساسا لتطلعاتها، وآياته مضمارا لاستلهام نتائجها، فهي حينما تمازج بين الأصوات واللغة، وتقارب بين اللغة والفكر، فإنما نتجه بطبيعتها التفكيرية لرصد تلك الأبعاد مسخرة لخدمة القرآن العظيم.

ووجدنا أن جوهر الصوت العربي قد اتسم بالوضوح لأنه يتمثل في قراءة القرآن، فكان القرآن هو المنطلق الأساس لعلم الأصوات في مجموعتين دراسيتين هما:

الدراسات القرآنية + الدراسات البلاغية.

وأعطينا مجملا صوتيا المنهجين.

أما ما قدمناه في الصوت اللغوي في فواتح السور القرآنية.

وقد بحث بشكل دقيق المفردات الآتية:

1. توجيه القرآن الكريم اهتمام العرب والمسلمين اللغوي منذ عهد مبكر للإفادة من الزخم الصوتي في اللغة، وهو يستهل بعض السور القرآنية بجملة محددة من الحروف الهجائية التي تنطق بأصواتها أسماء، لا بأدواتها حروفا للإفادة من صوتيتها لدى الاستعمال دون حرفيتها، وقد شغل علماء الإعجاز القرآني بالتصنيف الصوتي لهذه الحروف في دلائلها الصوتية، وأسرارها التركيبية، واستيعابها لأنواع الأصوات وتقسيماتها كافة مجهورها ومهموسها، شديدها ورخوها، مطبقها ومنتفحها ... الخ.

2. وعرض البحث لما أفاض الباقلاني في تقسيمه أصناف هذه الأصوات، فجعلها مشتملة على كل الأصناف الصوتية في النطق.

3. وتناول اهتمام الزمخشري بجدولة فواتح السور القرآنية، وعدد المهموس والمجهور، والشديد والرخو، والمطبق والمنفتح، والمستعلي والمنخفض، وحروف القلقلة، فسبرها تفصيلا وأورد المسميات تخصيصا بعد تعقب حكمة هذا التركيب، وفلسفة هذه الأصوات، فكان الله سبحانه وتعالى قد عدد على العرب الأصوات التي منها تركيب كلامهم إلزاما للحجة.

4. ووجد البحث أن الزركشي قد وقف عند الصدى الصوتي لهذه الحروف من عدة وجوه منها:

أ. عدد هذه الأصوات فيما ابتدأ به ثلاثة أحرف وعلل ذلك صوتيا في المخرج واعتماد اللسان، واعتبر ذلك مجاريا لأصل مخارج الحروف: الحلق، اللسان، الشفتين.

ب. تعقب ملاءمة بعض الأصوات لبعضها في فواتح السور.

جـ. تنبه إلى علاقة بدء السورة بصوت ما، واشتمال السورة على صورة ذلك الصوت في حروف كلماتها، أو دلائل عبارتها.

5. ولم يفت الفصل أن يستقري المراد في ذلك، وانتهى أنها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه، ولكن هذا لا يخرجها من جوهرها الإنصاتي فهي من جنس أصوات القرآن، وذلك من جملة الفوائد المترتبة على أسرار هذه الحروف.

وأما الصوت اللغوي في الأداء القرآني. وقد تناول الموضوعات الآتية:

1. أصول الأداء القرآني في أول إشارة إليه عند أمير المؤمنين الإمام علي رضي الله عنه في معرفة الوقف وتجويد الحرف.

فتحدث عن الوقف في مختلف الوجوه، وشتى الأحوال، لا سيما مصطلحاته الفنية عند علماء الأداء.

وكان الحديث عن خصائص كل صوت، وسمات كل حرف، تنفيذا عمليا للأداء القرآني على الوجه الأكمل.

الصوت الأقوى في الأداء القرآني، وقد عرض لظاهرة الإدغام عرضا وافيا لمقاربتها من ظاهرة المماثلة عند الأصواتيين المحدثين، فأبان حدّه وتفريعه وتقسيمه وتنظيره، وربط بين ذلك وبين شقي المماثلة الرجعية والتقدمية، وقد ظهر من بين ذلك: أن الصوت القوي هو الذي يحتل مساحة النطق، بدل الصوت الضعيف، فالصوت الأقوى هو المسيطر على النطق. وعرض لدور ابي عمرو بن العلاء في إرساء قواعد الإدغام وبقوله به، وتحدث عن الحروف التي تدغم في أمثالها، والحروف التي تدغم في مجانسها ومقاربها، ونظر لذلك تطبقا بكوكبة من آيات

القرآن العظيم لكلا النوعين المماثل والمجانس. وقام برصد النتائج الصوتية في حصر الحروف التي دغم في أمثالها وأجناسها، وكشف الحروف التي تتدغم ويدغم فيها، وخلص إلى رصد طائفة من الضوابط الصوتية، وألحق ذلك بدراسة عن الإظهار، والإقلاب، وتوسع في التنظير للإخفاء لكونه حالة بين الإظهار والإدغام.

توظيف الأداء القرآني في الأحكام، وقد وجد البحث أن أداء القرآن في ضوء التلاوة قد عاد موضوعا للأحكام الشرعية الدقيقة في ملحظ القراءة بالذات، وذلك بأداء الحروف من مخرجها، وأن تكون هيئة كل كلمة موافقة للأسلوب العربي في حركة البنية والسكون والإعراب والبناء والحذف والقلب والإدغام والمد الواجب، وأمثال هذا في عدة ملاحظ، أمكن رصدها بالآتي:

6- حكم الجهاز السمعي في معرفة الصوت:

إن حكم الجهاز السمعي في معرفة الأصوات وأثر تذبذبها. وأما الدراسات القرآنية، فقد انطلقت إلى دراسة الأصوات من خلال الفصول القادمة في الرسالة ضمن موضوعاتها الدقيقة المتخصصة، وكانت على نوعين كتب إعجاز وكتب القراءات. أما كتب إعجاز القرآن، فقد كان المجلى فيها بالنسبة للصوت اللغوي على بن عيسى الرماني (ت: 386 هـ) فهو أبرز الدارسين صوتيا، وأقدمهم سبقا إلى الموضوع، وأولهم تمرسا فيه، إلا أنه بالضرورة قد مزج بين دراسة الأصوات وعلم المعاني مطبقا تجاربه في باب التلاؤم تارة، وتخصصا لدراسة فواصل الآيات كما سيأتي في موضعه.

أما التلاؤم الصوتي عند الرماني فهو نقيض التنافر، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف، لأن تأليف الكلم على ثلاثة أوجه: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا[1].

ويعود الرماني بالتلاؤم إلى تجانس الأصوات، ولما كانت أصوات القرآن متجانسة تماما، فإن القرآن كله متلائم في الطبقة العليا، وذلك بين لمن تأمله، والفرق بين لاقرآن وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف على تحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى، وبعض الناس أشد إحساسا بذلك وفطنة له من بعض[2].

ويحث الرماني التلاؤم في أصوات القرآن من وجوه:

1. السبب في التلاؤم ويعود به إلى تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤما.

2. والفائدة في التلاؤم، يعود بها إلى حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة.

3. وظاهرة التلاؤم، ويعود بها إلى مخارج الحروف في اختلافها.

فمنها ما هو أقصى الحلق، ومنها ما هو من أدنى الفم، ومنها ما هو في الوسط بين ذلك.

"والتلاؤم في التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد. وذلك يظهر بسهولته على اللسان، وحسنه في الأسماع، وتقبله في الطباع، فإذا انضاف إلى ذلك حسن

[1]- الرماني: النكت في إعجاز القرآن: 94.
[2]- المصدر نفسه: 95.

البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات؛ ظهر الإعجاز الجيد الطباع لابصير بجواهر الكلام"[1].

وأما كتب القراءات، فقد انتهى كثير منها بإعطاء مصطلحات صوتية اقترنت بالنحو تارة وباللغة تارة أخرى، وتمحضت للصوت القرآني بينهما، وكان ذلك في بحوث متميزة برز منها: الإدغام الإبدال، الإعلال، الإخفاء، الإظهار، الإشمام، الإمالة، الإشباع، المد، التفخيم، الترقيق مما اصطنعه علماء الأداء الصوتي للقرآن كما سيأتي بحثه في حينه.

والحق أن الصوت اللغوي في القرآن قد بحث متناثرا هنا وهناك في مفردات حية، تتابع عليها جملة من الأعلام المبرزين الذين اتسمت جهودهم بالموضوعية والتجرد وبيان الحقيقة، كان منهم: علي بن عيسى الرماني (ت: 386 هـ) وأبو بكر الباقلاني (ت: 403 هـ) وأبو عمر الداني (ت: 444 هـ) ومحمد بن الحسن الطوسي (ت: 460 هـ) وجار الله الزمخشري (ت: 538 هـ) وأبو علي الطبرسي (ت: 548 هـ) وعبد الله بن محمد النكزاوي (ت: 683 هـ) وإبراهيم بن عمر العكبري (ت: 732 هـ) وبدر الدين الزركشي (ت: 794 هـ) وجلال الدين السيوطي (ت: 911 هـ).

وأما الدراسات البلاغية التي اشتملت على خصائص الأصوات قد بحثت على أيدي علماء متمرسين كالشريف الرضي (ت: 406 هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت: 471 هـ) وابن سنان الخفاجي (ت: 466 هـ) وأبي يعقوب السكاكي (ت: 626 هـ) وأضرابهم:

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن: 96.

وكانت مباحثهم طبقا لتوجه علم المعاني، وتزاحم الأصوات في قبول ذائقتها النطقية أو السمعية ورفضها، من خلال: تنافر الحروف، تلاؤم الأصوات، التعقيد اللفظي، التعقيد المعنوي، فصاحة اللفظ المفرد؛ مما هو معلوم في مثل هذه المباحث مما يتعلق بالصوت منها، وخلصت إلى القول بخلو القرآن العظيم من التنافر في الكلمات، أو التشادق في الألفاظ، أو العسر في النطق، أو المجانبة للاستماع، وكونه في طبقة العليا من الكلام في تناسقه وتركيبه وتلاؤمه.

أما ما يتعلق بالأصوات من مخارجها في موضوع التنافر بذلك رأيان:

الأول: أن التنافر يحصل بين البعد الشديد أو القرب الشديد وقد نسب الرماني هذا الرأي إلى الخليل "وذلك أنه إذا بعد الشديد كان بمنزلة الطفرة، وإذا قرب الشديد كان بمنزلة مشي المقيّد، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال، ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال"[1].

الثاني: أن التنافر يحصل في قرب المخارج فقط وهو ما يذهب إليه ابن سنان الخفاجي (ت: 466 هـ) بقوله: "ولا أرى التنافر في بعد ما بين مخارج الحروف وإنما هو في القرب. ويدل على صحة ذلك الاعتبار، فإن هذه الكلمة "ألم" غير متنافرة، وهي مع ذلك مبنية من حروف متباعدة المخارج لأن الهمزة من أقصى الحلق، والميم من الشفتين، واللام متوسطة بنهما. فأما الإدغام والإبدال فشاهدان على أن التنافر في قرب الحروف دون بعدها، لأنهما لا يكادان يردان في الكلام إلا فرارا

[1] – الرماني: النكت في إعجاز القرآن: 96.

من تقارب الحروف، وهذا الذي يجب عندي اعتماده لأن التتبع والتأمل قاضيان بصحته"[1].

وقد يتبعه بالرد على هذا الرأي ابن الأثير (ت: 637 هـ) فقال: "أما تباعد المخارج فإن معظم اللغة العربية دائر عليه ... ولهذا أسقط الواضع حروفا كثيرة في تأليف بعضها مع بعض استثقالا واستكراها، فلم يؤلف بين حروف الحلق كالحاء والخاء والعين، وكذلك لم يؤلف بين الجيم والقاف، ولا بين اللام والراء، ولا بين الزاي والسين، وكل هذا دليل على عنايته بتأليف متباعد المخارج، دون المتقارب"[2].

وبعيدا عن هذا وذاك، فإن الطبيعة التركيبة في اللغة العربية قد تمرست في تعادل الأصوات وتوازنها، مما جعل لغة القرآن في الذروة من طلاوة الكلمة، والرقة في تجانس الأصوات، لذلك فقد استبعد العرب جملة من الألفاظ لا تنسجم صوتيا في تداخل حروفها، وتنافر مخارجها، سواء أكانت قريبة أم بعيدة "فإن الجيم لا تقارب الفاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا بتأخير.

والزاي لا تقارب الظاء ولا السين ولا الضاء ولا الذال بتقديم ولا تأخير"[3].

وفي هذا دلالة على "امتياز اللغة العربية في مجموع أصوات حروفها بسعة مدرجه الصوتي سعة تقابل أصوات الطبيعة في تنعها وسعتها، وتمتاز من جهة أخرى بتوزعها في هذا المدرج توزعا عادلا يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات"[4].

---

[1]- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: 91.

[2]- ابن الأثير، المثل السائر: 152.

[3]- الجاحظ: البيان والتبيين: 69/1.

[4]- أحمد مطلوب: بحوث لغوية: 28.

وكان التنافر في أصوات الكلمة موضع عناية عند السكاكي (ت: 626 هـ) ومن بعده القزويني (ت: 739 هـ) عند مباحث فصاحة المفرد، وهي خلوصه من تنافر الحروف والغرابة، ومخالفة القياس اللغوي، وعند فصاحة الكلام، وهي خلوصه من ضعف التأليف، وتنافر الكلمات، والتعقيد بشقيه اللفظي والمعنوي، وهي موضوعات جرى على إدراجها في الموضوع علماء المعاني والبيان بعد السكاكي والقزويني إدراجا تقليديا للقول بسلامة القرآن من التنافر[1].

ولا حاجة بنا إلى تأكيد هذا القول فهو أمر مفروغ منه في القرآن، وبقيت مفردات الصوت اللغوي فيه موضوع عناية البحث.

يبدو أن القرآن الكريم قد وجه اهتمام العرب -منذ عهد مبكر- ولفت نظرهم إلى ضرورة الإفادة من الزخم الصوتي في اللغة العربية وهو يستهل بعض السور القرآنية بجملة محددة من الحروف الهجائية التي تنطق بأصواتها أسماء، لا بأدواتها حروفا، للإفادة من صوتيتها لدى الاستعمال دون حرفيتها.

وكان القرآن العظيم قد افتتح عامة سوره بعشرة أنواع بيانية من فن القول شملت طائفة متميزة من معاني النحو وأساليب البلاغة حتى حصر أرباب علوم القرآن بذلك تزيد عليها أو نقصان منها، فلا يخرج شيء من فواتح السور عنها، وقد يتداخل بعضها ببعض تارة.

ولعل من المفيد حقا الإشارة على سبيل النموذج بأصل قرآني واحد لكل نوع تمهيد بين يدي النوع المراد.

---

[1]- ظ: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: 72-79.

الفصل الثاني

الابتداء والوقف

1- الابتداء والوقف

2- علة الوقف على الكلمة بسكون الحرف

1- الابتداء والوقف:

فإن الابتداء والوقف في اللغة العربية، لأمر صعب تحديده، وبيانه بسهولة، بل يجب التنويه به فيما جاء في القراءات السبع المتواترة، وعند علماء اللغة العربية من باب الأصوات، وما اختلف فيه، ووضع ضوابط فالوقوف عند القراء السبع كل حسب ما اهتدى إليه من رواية وطريق.

وقبل الخوض في هذا المبحث لابد من تعريف كل من الابتداء والوقف في الدراسات الصوتية القديمة والحديثة، فالابتداء عند القدامى هو الشروع في القراءة ابتداء أو بعد التنفس عند القراءة، والابتداء لا يكون إلا اختبارا، بخلاف الوقف لا يكون إلا اضطراريا، وهذا معناه أن الابتداء لا يكون إلا بكلمة مستقلة المعنى، ويقول صاحب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر وإنما خُصَّت الابتداءات بالاختيار، لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام. فإذا كان الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استماعه[1].

والابتداء أنواع ومنهم من قسمه إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الابتداء التام وهو الذي لا علاقة له بما قبله لفظا أو معنى مثل قوله تعالى: " خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ"[2]، وقوله تعالى: "مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي"[3].

---

[1]- ينظر كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تأليف ضياء الدين نصر الدين أبي الكرم محمد بن عبد الكريم ابن الإثير الجزري (ت 637 هـ) تحقيق وتعليق الشيخ كامل محمد محمد عويضة، ط. دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، ص 210.

[2]- سورة البقرة، الآية [7-8].

[3]- سورة الإسراء، الآية [15].

القسم الثاني: الابتداء الكافي وهو ما يحسن الابتداء به، وله علاقة بما قبله لفظا ومعنى، مثل ما جاء في قوله عز وجل: " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ"[1].

كأن المستمع الذي ينصت بدقة للآيتين الكريمتين تنفذ في أذنه رنّات الصوت المبتدأ به في قوله تعالى"ختم" أن الكلمة تالية للصوت الفائت، ويدرك بالذوق الحسن المستساغ.

ثم حشد بمجموعة من الأمثلة قائلا: "ويكفيك من هذا الباب الابتداءات الواردة في القرآن الكريم، كالتحميدات المفتتح بها أوائل السور، وكذلك الابتداءات بالنداء كقوله تعالى في مفتتح سورة النساء "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ"[2] وكقوله تعالى:"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ"[3]. وكذلك الابتداءات بالحروف كقوله تعالى: "ألم" و"طسم" و"حم" وغيرها...وقد استسغت كلام ابن الجزري في القول عن الابتداء فيقول: "وأما الابتداء ضرورة، فهو في أقسامه كأقسام الوقف الأربعة، ويتفاوت تماما وحسنا وكفاية وقبحا بحسب التمام عدمه وفساد المعنى احتالته نحو الوقف على (ومن الناس) فإن الابتداء بالناس قبيح"[4].

ومن هذا الآنف ذكره نستلهم أن الابتداء هو الصوت الذي يستسيغه السامع برنة ملائمة وذات ذائقة حسنة.

1- سورة البقرة، الآية [6-7].

2- سور النساء، الآية [1].

3- سورة الحج، الآية [1].

4- ينظر كتاب النشر في القراءات العشر، ص 181.

والقسم الثالث: هو الابتداء الحسن: هو الابتداء بما يكون معناه حسنا، وله علاقة بما قبله مثل قوله تعالى: "فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"[1] وقوله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا"[2]. وهذا يدل على التناسق لما له من رنات بحسن الابتداء بها.

أما الرابع: فهو الابتداء القبيح: وهو ما يفسد المعنى لشدة تعلقه بما قبله بما يقابله مثل ما جاء في آي الذكر الحكيم في قوله تعالى:

"وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ"

"إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ"

"وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ"

"لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء"

فالآيات الآنفة إذا أنفذت أصواتها للآذان لا تبلغ المراد المقصود الإلهي وكنهه بل هي متعلقة بما قبلها أو بما بعدها. ولقد قسم العلماء القدامى الابتداء إلى نوعين هي كالآتي:

النوع الأول: الابتداء الجائز: هو الابتداء بكلمة مستقلة بالمعنى، تبين معنى إرادة الله تعالى ولا تخالفه. ومنه الابتداء بعد الوقف المتعين، إذ كل ما ورد في القرآن الكريم من ذكر "الذي" "الذين" يجوز الابتداء به، ويجوز وصله بما قبله"[3].

---

[1]- سورة البقرة، الآية [7].

[2]- سورة البقرة، الآية [8].

[3]- ينظر كتاب التبيين أحكام تلاوة الكتاب المبين للشيخ عبد اللطيف، ص262، الشيخ محمد سيد راغب قباني، ص 506-507، بيروت، لبنان، 1999.

فالصوت المنبعث من الحلق داخل جوية الحنجرة يحدد النبر في الابتداء وإلا فالصوت لا يحدث، ولذا كان لزاما أن تكون جميع الحروف في جميع صفاتها في الابتداء لابد أن تضع سلما ألا وهو الهمزة للنطق بالحرف.

وقد وضع المحدثون أجهزة تحدد حدوث الصوت وبيان أشكاله المتفاوتة كما سيأتي في الشكل.

أما ما جاء في تعريفه عند المحدثين فهو من الأصوات التي تجعل لها سلما للتمكن من النطق بالحرف الذي يتكون من [ص، س،] أي أن النشاط الحنجري الذي يؤهل الناطق بالحرف مثل حروف الهجاء أ، ب، ت...الخ فإن نطقها تطبيقا يكون بهمزة لنمكن الناطق من إخراج الصوت وتبيين ذلك في الأطياف التالية المستخرجة من الجهاز الآلي "l'analyser speesher".

والواضح أن ما توصل إليه العلماء حديثا الذين حلّلوا الصوت على مستويات الدرس اللغوي هو ما يعرف بالتحليل الصوتي – الصرفي" بما يسمى بالأجنبية "morphonemie analysis" إنه مستوى معنى في الأساس بدراسة التغيرات الصوتة السياقية"[1].

وللابتداء ضوابط ذكرها بعض الباحثين من مثل محمد الإنطاكي في كتابه المحيط، قال "ليس في العربية من هذا النوع سوى اثني عشرة كلمة، عشرة منها من فصيلة الأسماء، واثنان من فصيلة الحروف، فأما الأسماء فهي "بن" و"بنة" فلا يظهر الصوت إلا باثبات الألف، فتنطق ابن، ابنة، سم، ست، نان، ثنتان، مرؤ، مرأة، يمن

---

[1]- ينظر علم الأصوات للدكتور كمال بشير، ص 311.

وأما الحرفان فهما لام التعريف في لغة الشمال وميم التعريف في لغة حمير خاصة مثل ما جاء في قولهم امباب في الباب"[1].

وفيما يخص الوقف قد عرفه القدامى في القراءات القرآنية بأنه الحق على القول أو الفعل في اللغة أما في الاصطلاح: هو قطع النطق على الكلمة زمنا يتنفس منه عادة بنية اسئناف القراءة، وكيفية الوقف على رؤوس الآية وأوساطها ولا يجوز الوقف على الكلمة سوى الحرف الأخير وفي ما اتصل رسما فكلمة "فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ"[2] هي كلمة واحدة فلا يجوز الوقف فيها إلا على حرف "الهاء" الأخير منها. ومثل كلمة "لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم"[3] "أَنُلْزِمُكُمُوهَا"[4] ومثل هذا كثير عند القراء في القراءات السبع كان أهل القراءات الصحيحة المتواترة بالسماع والمشافهة، لأن هذا العلم لم يكن أحد مؤهل من اجتهاد فقط أو علم من العلوم التجريبية والقياسية بل كان وحيا دقيقا من الله إلى الروح الأمين إلى الرسول الكريم محمد ﷺ، والرسول بدوره أدى الامانة، وكان من أحرص الناس على نطق أي حرف، مع مراعاة الوقوف، وما اختلف العلماء، وإنما كل اتبع قراءة عن الصحابة ملتزما الحروف التي تحدث عنها رسول الله ﷺ وكما ذكرت الأركان الثلاثة، اللغة والسند والرسم العثماني.

---

[1]- ينظر كتاب المحيط لمحمد الانطاكي، ص 56-57.

[2]- سورة الحجر، الآية [22].

[3]- سورة النور، الآية [55].

[4]- سورة هود، الآية [28].

2ـ علة الوقف على الكلمة بسكون الحرف:

الأصل أن يوقف على الكلمة بسكون الحرف الأخير، لأن العرب لا يبتدئون بساكن، ولا يقفون على متحرك لأن السكون أخف من الحركة، والوقف موضع استراحة وتخفيف. ولأن الوقف هو ضد الابتداء...فكما اختص الابتداء بالحركة فإن الوقف اختص بالسكون والذي يعبر عنه بتفريغ الحرف من الحركات الثلاث. مثل ما جاء في سورة الفاتحة عند جميع القراء السبعة فلا يوقف على متحرك[1].

أما الوقف في القراءات السبع القرآنية يتجلى في أول السكون الذي ينقطع فيه عمل اللسان، ويسكن كما كان الذي يبتدأ به إلا متحركا، لأن الابتداء أول الكلام الذي هو بحركة اللسان وتصرفه فأجروا أول الطرفين مجرى سائرهما، ولقد استعمل العرب في الوقف الروم والإشمام، والتضعيف والنقل.

فالروم هو أن تضعف الصوت لا تشبع ما ترومه، ويكون في المرفوع، وفي المضموم، وفي المنصوب غير المنون، والمفتوح، والمجرور بالكسرة أو الفتحة والمكسور نحو "عدو، وبريء، ونتسعين، ويعلم، ومن قبل ومن بعد، وبني الأعداء، ويعلمون، وجعل، ومن عاصم ومن الهاء، وعلى إبراهيم، وإسماعيل، هؤلاء، "جئت" وما جاء مثله في جميع القراءات القرآنية.

والإشمام: هو إضمام الشفتين بعد الإسكان، وتهيئهما للفظ بالرفع أو بالضم، وليس بصوت يسمع، إنما يراه البصير دون الأعم، ولا يكون في المجرور والمنصوب،

---

[1] – ينظر كتاب التبيين في أحكام تلاوة الكتاب المبين، ص 262.

لأن الفتحة من الحلق والكسرة من وسط الفم، فلا يمكن الإشارة لموضعها، فالإشمام في النصب والجر لا آلة له[1].

ولقد أورد الرواة عن القراء قضية الوقف على الرسم أو خط الكتاب المبين إلا ابن كثير، ولم يرد عن ابن كثير إلا ما يقتضي ترك التزام ذلك وما يتعلق بهؤلاء القراء ما يأتي:

نافع: أبي داود أبي عمر عن أبي مسلم عن أبي الانباري عن الضبي عن محمد بن سعدان عن نافع، فالحديث عن الوقف كان متواترا متسلسلا لا فجوة الشك في الأصوات المتناقلة إلا ما كان من النسج الصوتية التي يعتبرها تبدلات طبيعية، ولا فرار منها، ولكن الصوت المؤدى هومن الأحرف السبعة، لأن العناية التي قام بها العلماء الأجلاء في خصوص الصوت كانت جد دقيقة[2].

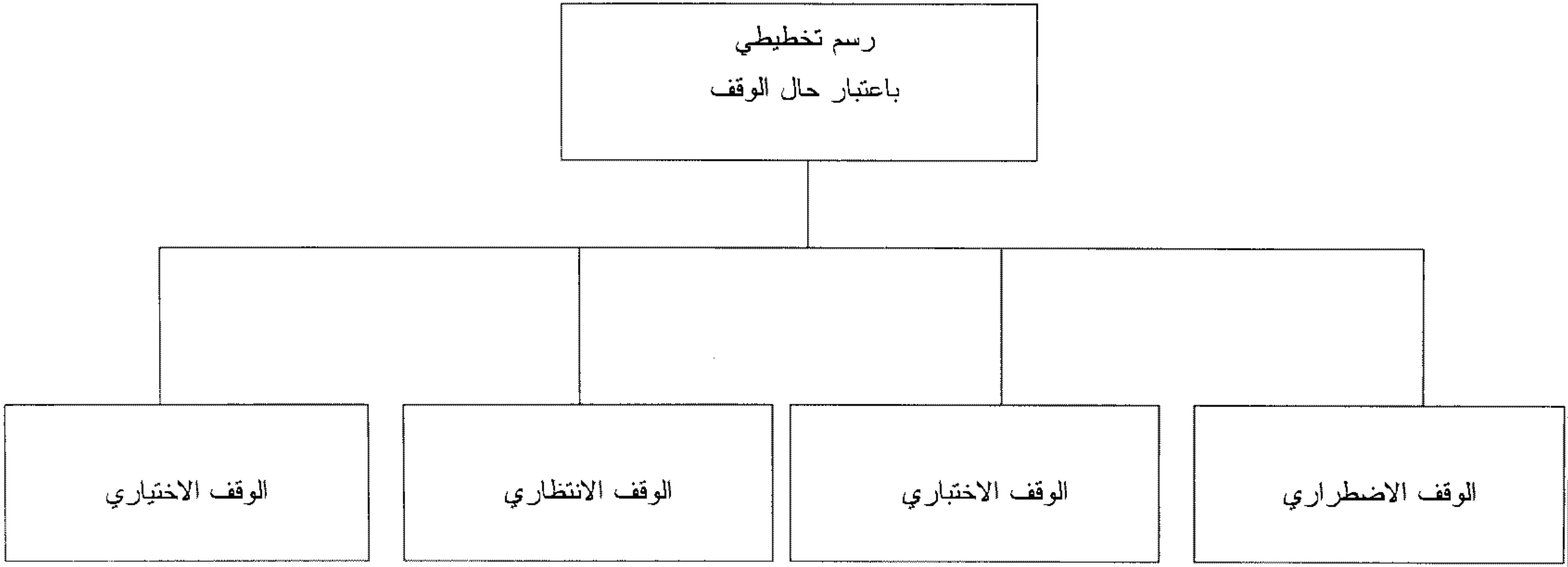
أبوعمرو: لقد تبع نفس المسلك في الوقف على الخط في الكتاب العزيز كان الخط هو الرمز الصوتي الذي يقيد هذا العلم. وقد كان عاصم يقرأ (الصراط) بالصاد من أجل الكتاب، أي ما رسم في المصحف الشريف.

وعن طريق الحلواني كان ابن عامر يتبع رسم المصحف في الوقف، وقد سلك حمزة نفس المسلك إلا بعض الأحرف نحو قوله تعالى: "أَنُلْزِمُكُمُوهَا" و(الرسولا) و(السبيلا) و(قواريرا).

كما كان الكسائي يقول: السين في (الصراط) سين في كلام العرب ولكني أقرأ بالصاد اتباعا للكتاب.

1- ينظر الاقناع في القراءات السبع للشيخ الإمام أبي جعفر.

2- ينظر كتاب الإقناع القراءات حلف الأنصاري، ص 320.


رسم تخطيطي
باعتبار حال الوقف
الوقف الاضطراري
الوقف الاختباري
الوقف الانتظاري
الوقف الاختياري

الخاتمة:

إن الدراسات الصوتية منذ القديم كانت محل نقاش وبحث عميق منذ صدر الإسلام، وحين اتسعت رفعة الدولة الإسلامية دخل الناس الدين الجديد أفواجا أفواجا لما وجدوا فيه ما تستسيغه الآذان فأردت أن أجمع ما توصل إليه القدامى ما للصوت الحنجري من قوة في حدوث الحروف من خلال القراءات القرآنية السبع المشهورة المرجحة بإدخال ما توصل إليه العلم الحديث من تشريح وفيزياء لما لها من علاقة وطيدة بهذا العلم، وما توصل إليه بعض العلماء من رصد الصوت بأجهزة مختلفة، كنا لها الأثر البالغ في الدراسات، وإخراج الباحثين من الركود الذي كرروه في بدايته، لأن الطبع الإنساني لابد له من تغير حسب ما تقتبصه طبيعة البحث المستجد.

ولذا قد وضعت بعض اللمسات مستخلصا إياه من الكتب القديمة والحديثة، مضيفا بعض النتائج التي استلهمتها من المطالعة، والتي اقتنيتها من بعض المكتبات العربية مثل مكتبة الأسد بسوريا ومكتبة محمد الخامس بالمغرب كما جعلت نصب عيني أن هذا البحث عساه أن يكون اللبنة الاولى للطلبة الباحثين في هذا الميدان.

وكان من أهم ما جاءت به قريحتي هو أن علم الأصوات الأولى، كان كامن في القراءات السبع، التي جاء بها العلماء الأفاضل، ولما كان القرآن هو الكتاب الذي لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلقه" التفت أن الدراسة الصوتية في قراءته الجديدة بالدراسة في جميع أنواعه، ولابد للباحث أن يجد مادته الغزيرة من كل صنف، ولقد سار البحث على شكل متدرج، مستهلا بمقدمة تعد افتتاحا، ومدخلا مبينا فيه الأصوات الحنجرية من خلال العلوم التشريحية، والفيزيائية، والسلوكة النفسية وتمهيد للموضوع. ولقد كان البحث الذي تطرقنا إليه نقطة انطلاق لعلم الأصوات

القرآني في اللغة العربية وماله من جدية وحسن والدليل على ذلك أن الله قد أكد على الأصوات بقوله: " وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ " فالأصوات كما جاء في البحث دليل على "الحياء" والتي جاءت في الأمثال العربية بقولهم لا حياة لمن تنادي توضيخ الصوت بالمناداة؛ إذ أن الصوت الذي تبينه هو من جهة علم الأصوات الحديث الذي درسه الباحثون العرب مع التنويه بما جاء عند الغربيين.

إن القراءات السبع ضمنت في طياتها علما متكاملا يحتوي على علم الأصوات، ويظهر ذلك في الأداء الذي جاء به القراء السبع، والذين أخذوا عنهم؛ إذ أن كل واحد منهم قد سار على نهجهم اتخذ طريقا مع تحقيقه لها مبينا إياها باجتهاد، واستماته في الدرس وإخلاص لله، حتى لا تكون تلك الدراسات بما تهوى الأنفس فتخرج عن جادة الصواب. وقد تبعنا تلك الدراسات من السلق الصالح مردفين دراسات المحدثين الجادة في كل من علم التشريح، والفيزياء وعلوم اللغة العربية، والذي كان لي بنراسا في جمع وتحليل هذه الدراسة على نهج المحدثين هو الدراسات في الأجهزة الآلية وخصوصا الإعلام الآلي، متوخيا الحذر في الإنزلاق، ولم أتوان عن التحري في تلك الدراسة فوضعت دراسة طيفية ومخبرية على تلك القراءات السبع، بوضع نماذج علها تكون انبعاثا للدراسة الصوتية الممحصة لعلم الأصوات في القراءات القرآنية.

وقد كان هذا البحث عصارة تنقيبي على الحقائق العلمية في هذا الجانب من علم الأصوات الذي دارت حوله عدة دراسات كل حسب اختصاصه ومجاله، إذ أن هذا العلم فيه شعب شتى، ولذا يلزم الدقة، وكان لزاما على أن لا أخرج عن مجاله إلا ما يخدم الموضوع، الذي تشعبت فيه فروعه، وكل فرع متصل بالآخر فتوهت

بما يوضح دون إطالة فيه، فالأصوات مجال واسع ولا يمكن الإحاطة به، إذ هو الدال على حياة الكون وما يتصل به، فهو الحركة التي تحركه.

والواضح أن الله جل وعلا قد جعل الصوت دالا على الحياة، وانتظامها في كل مناحيها، بتعابير مختلفة، فأول ما أنزل على سيدنا محمد ﷺ قوله تعالى: "إقرأ" ولا يتآتى ذلك إلا بالصوت حتى أن كلمة قرأ في المعجم معنى بلغت مثل قولهم أقرءهم السلام، في مادة "قرأ"[1] ولا يكون التبليغ في المعتاد بين الناس إلا بالكلام المسموع ألا وهو الصوت، وخلال الصوت يستوعب الإنسان عموما مما يبلغ.

والحق أن الدراسات الصوتية جديرة أن تدرس وتطبق على جميع العلوم اللغوية لما لها من أحكام ودقة وأرجو أن يكون هذا البحث لمسة عساها أن تحفز طلبة العلم والبحث لاستقصاء، وبينا ما يتصل بضبط هذا المجال العلمي من نواحيه المختلفة، وأرجو أن أوفق في هذه الأطروحة، مقدما امتناني واحترامي للجنة التي شهرت على قراءة وتقويم وتقييم هذا البحث، آخذين من وقتهم الثمين، فالواحد المنان أسأل أن يجازيهم لما قدموه، فالله اختارهم من صفوته إذ قال عز من قائل: "**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزِ الحَكِيمِ**"

---

[1]- أساس البلاغة.

قائمة المصادر والمراجع :

1. أثر القراءات في تطور الدرس النحوي تأليف عفيف دمسقيه سنة 1970 معهد الإنماء العربي بيروت، لبنان.

2. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي لعبد الصابور شاهين طبعة مصورة (دت) القاهرة، مصر.

3. إعجاز القراءات القرآنية دراسة في تاريخ القراء واتجاهات القراء لصبري الأشوخ، ط1998 مكتبة وهبة، القاهرة.

4. الأصول لتمام حسان، فقه لغة ونحو، بلاغة، ط المطبعة الأنجلو المصرية 1998.

5. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكرات، 911هـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الشهيد الحسيني، 1967، القاهرة.

6. الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنس مكتبة الأنجلو المصرية، ط1979 الطبعة الخامسة.

7. الأصوات اللغوية لمحمد الخولي طبعة الرياضي، 1987.

8. أصالة علم الأصوات عبد الخليل من خلال مقدمة كتاب العبر لأحمد محمد قدور، طبعة دار الفكر 1997 دمشق، سوريا.

9. الأصداء لمحمد بن القاسم الأنباري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، بيروت، ط1978.

10. أطلس الأصوات اللغوية تأليف وفاء محمد السيد الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994، القاهرة، مصر.

11. الإقناع في القراءات السبع للشيخ أبي جعفر أحمد ابن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري تعليق الشيخ أحمد فريد المزيدة الطبعة الأولى 1999، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

12. بحوث في الإستشراق واللغة، ط مؤسسة الرسالة، عمان، 1996.

13. البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم طبعة مصورة مصر، (دت).

14. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر المكتبة العلمية (دت)، بيروت، لبنان.

15. البرهان في تجويد القرآن ورسالة فضائل اللغة في أصول اللغة تأليف السيد محمد صديق حسن قنوجي تحقيق

16. القرآن لمحمد الصادق فمحاوي دار النجم، ط1984 للطيب بكوش، تونس مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، 1987.

17. تاريخ القراءات القرآنية تأليف عبد الهادي الفضلي، 2003، دار العلم، بيروت، لبنان.

18. الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية في القرن الرابع الهجري لعبد العزيز علي سفر 2001 الكويت.

19. أصول الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق، دت، 328، ط دار الكتاب الإسلامية، 1384هـ، ج2.

20. إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، دمشق للأصفهاني حمزة بن الحسن (ت. 351هـ).

21. إحسان الأخبار في محاسن السبعة الأخبار أئمة الخمسة الأمصار، الدين انتشار قراءاتهم في سائر الأقطار لعبد الوهاب بن وهبان الحنفي (ت 737هـ) تحقيق الدكتور أحمد بن فارس السلوم دار ابن حزم 2004، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

22. التشكيل الصوتي في اللغة العربية ترجمة ياسر الملاح ومحمد عالي لسليمان العالي 1983، التصريف العربي من خلال علم الأصوات.

23. تأثير القراءات في الأصوات والنحو العربي لأبي عمر، ابن العلاء تحقيق عبد الصبور شاهين مكتبة الخانجي مصر 1987.

24. التبيان في تفسير القراءات الصوتية، ط دار الغوثاني دمشق – سوريا (دت).

25. التسهيل في قراءات التنزيل تأليف محمد فهد خاروف الجامع للقراءات العشر شيخ القراء بدمشق، دار البيروتي، دمشق الخلبوني (دت).

26. تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي إعداد محمد حسن الجمعي، ط مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان.

27. التطوير النحوي للفيس ستراس طبعة (د.ت)، القاهرة – مصر.

28. التطور اللغوي لرمضان عبد التواب، القاهرة – مصر ط 1981، تعلم أصوات القرآن وتلاوته لغير الناطقين بالعربية للمعلم والطالب تأليف عبد الفتاح شاهين، 1994، مكة المكرمة رابطة العالم الإسلامي.

29. تعليم الأصوات العربية الساكنة الحلقية والمفخمة لغير النطاقين باللغة العربية إعداد جاسم علي جاسم إشراف عبد الرزاق محمد (دت) التمهيد في علم التجويد لابن الحرزي دار المعارف بيروت، لبنان، 1987.

30. الجامع الصحيح للخاري أبو عبد الله بن إسماعيل (ت 256هـ) مطبعة محمد صبيح القاهرة، (دت).

31. صحاح العربية وتاجها لإسماعيل بن حماد الجوهري بتحقيق أحمد عبد الغفور، بيروت، 1979.

32. الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق محمد علي النجار، طستة، 1952، لبنان، دار الكتب المصرية.

33. دراسات في لهجات شرقي الجزيرة ترجمة أحمد الطيب لجونستون، ط الرياض 1975.

34. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني لحسام النعيمي بغداد دار الرشيد، 1980.

35. ديوان عبد الله بن قيس الرقيات، دار بيروت للطاعة والنشر، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، الجامعة الأمريكية ربيروت، لبنان.

36. ديوان امرئ القيس، لجنة التراث العربي، دار بيروت للطباعة والنشر 1972.

37. ديوان عنترة لجنة التراث العربي دار بيروت للطباعة والنشر، 1978.

38. دروس في علم الأصوات العربية نقله إلى العربية صالح القرمادي تونس مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، ل: جان كانينو، ط 1966.

39. دراسات في علم الأصوات اللغوية تأليف مناف مهدي محمد الموسوي ط في علم الأصوات لصبري متولي أجازه شوقي ضيف، دار الثقافة 1988 القاهرة مصر.

40. رسالة أسباب حدوث الحروف لأبي علي بن سينا تحقيق محمد حسان الطيان، دمشق، سوريا، يحي مير علم مجمع اللغة العربية 1981.

41. دراسة الصوت اللغوي أحمد مختار عمر، مصر، عالم الكتب، ط 1476.
42. سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان ابن جني تحقيق مصطفى، ط7، القاهرة 1954.
43. سيرة أعلام النبلاء، لجنة التراث العربي، 1980، بيروت، لبنان.
44. سنن الترميذي باب فاتحة الكتاب تحقيق لجنة التراث العربي، بيروت، لبنان، (دت).
45. سيبويه والقراءات القرآنية لأحمد مكي الأنصاري، القاهرة، سنة 1972، مصر.
46. الشرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (دت).
47. شرح الأشموني على ألفية بن مالك، بن مالك تحقيق محمد محي الدين، (دت)، بيروت، لبنان.
48. الشرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (دت).
49. شواهد سيبويه الشعرية.
50. صحاح العربية وتاجها لإسماعيل بن حماد الجوهري بتحقيق أحمد عبد الغفور، بيروت، لبنان، 1979.
51. صحيح البخاري والجامع مطبعة محمد صبيح، القاهرة، (دت).
52. صحيح مسلم، القاهرة، مصر.
53. علم الأصوات عند ابن سينا، لمحمد صالح، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1989، مصر.
54. الصرف وعلم الأصوات تحقيق سقال للأب أنستانس الكرملي.
55. عبقرية اللغة العربية لمحمد مبارك، ط (دت)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

56. علم الأصوات العام "أصوات اللغة العربية" لبسام بركة 1988، مركز الأنماء لقومي، بيروت، لبنان.

57. علم الأصوات، تأليف بارتل مالبرج، تعريف ودراسة عبد الصبور شاهين، ط1990، دار الشباب، القاهرة، مصر.

58. علم الأصوات، تأليف حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، مصر.

59. علم اللغة لمحمد كمال، دار المعارف بمصر، 1973.

60. علم اللغة لمحمد السعران، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (دت).

61. فقه اللغة وخصائص العربية لمحمد المبارك دار الفكر، للطباعة والنشر، طبعة 1، 1982، بيروت، لبنان.

62. فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان، ترجمة رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، 1977.

63. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث لعبد الصبور شاهين، 1985، مكتبة الخاجي، القاهرة، مصر.

64. القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، لعبد الحليم سالم مكرم، ط3، 1996، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.

65. القراءات القرآنية في بلاد الشام، لحسين عطوان، 1982، دار الجيل، بيروت، لبنان.

66. القراءات واللهجات لعبد الوهاب حمودة، مطبعة السعادة، مصر، 1948.

67. قواعد التجويد الصوتي لجلال الحنفي، بغداد، 1399هـ.

68. كتاب التعريفات للشريف الجرجاني.

69. كتاب الحروف للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، (دت).

70. كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق هارون، 1968، بيروت، لبنان.

71. كتاب أمراض الأذن والحنجرة، لمحمد عثمان، ط: الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1999.

72. كتاب النحو والصرف لابن هشام، كتاب لسيبويه تحقيق وتصنيف أ.د. محمد كاظم البكاء، جامعة كوفة مؤسسة الرسالة، بغداد، دار الرشيد، 1981.

73. كتاب المستشرق كارل بروكلمان مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة عبد الحليم النجار، مطبعة السنة، القاهرة، 1955.

74. كتاب التجويد الواضح لأحمد فروجي، دار النشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

75. كتاب التاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط القاهرة، 1968.

76. كتاب القراءات واللهجات، د. عبد الوهاب حمودة، مطبعة السعادة، القاهرة، 1948.

77. كتاب المرشد الموجز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز.

78. كفاية الراغبين في تجويد القرآن المبين، لمحي الدين عبد القادر الخطيب، ط (1397) (1977)

79. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة اسطنبول، 1943.

80. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجيتها لأبي محمد ملكي بن أبي طالب القيس، تحقيق محي الدين رمضان 1974.

94. المزهر في علوم اللغة للسيوطي (جلال الدين)، تحقيق وفهرسة محمد عبد الرحيم، دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع، 1995.

95. جمهرة لغات العرب لابن دريد تحقيق خفي ناصف، القاهرة، ط2 (دت).

96. مناهج البحث في اللغة لتمام حسان، دار الثقافة المصرية، 1974.

97. منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري الطبعة الأولى، 1975.

98. مقدمة ابن خلدون، الدار التوسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط، 1984.

99. معجم الأصوات في اللغة العربية لمحمد السيد رمضان تحقيق عدنان، 1993.

100. موافق النحاة من القراءات حتى نهاية القرن الرابع الهجري، تأليف شعبان صلاح 2005، دار الغريب القاهرة، مصر، (دت).

101. المدخل إلى علم الأصوات العربية، تأليف غانم قدوري أحمد، المجمع العلمي، 2002، بغداد.

102. معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء، إعداد عبد العال سالم مكي.

103. ماضي اللغة وحاضرها لجعفر الشيخ، مطبعة النعمان، 1975.

104. مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح، ط10، 1979.

105. مختار الصحاح للرازي دار الكتاب العربي، 1986، بيروت، لبنان.

106. معارف الرجال في تراجم العلماء والأحياء لمحمد حرز الدين، 1975.

107. الموسوعة الكبرى الطبية لروجي دينكر، ط 1978، تحمل رقم 1750 في مكتبة مستشفى تلمسان.

108. من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، لكارتر تعريب محمد رشاد الحمزاوي.

109. بحوث في الاستشراق واللغة، ط مؤسسة الرسالة عمان، 1996.

110. المحيط في الأصوات العربية ونحوها وصرفها لمحمد الأنطاكي، 1973، مكتبة الشروق، بيروت.

111. الموسوعة الطبية العلمية.

112. المنجد في اللغة والأعلام دار الشروق، 1979، بيروت.

113. نظرات فعلم التجويد تأليف إدريس عبد الحميد الملاك، 1981، بيروت، لبنان.

114. نقباء النشر في القرن الرابع عشر لمحمد حسن، المطبعة العلمية، 1954، بيروت، لبنان.

115. النشر في القراءات العشر لابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد لجنة التراث العربي، بيروت، لبنان، دمشق.

116. لطائف الإشارات في فنون القراءات تحقيق عثمان وعبد الصبور شاهين، ط10، لبنان.

117. النكت في إعجاز القرآن للرماني تقديم لجنة التراث العربي بيروت، لبنان، (دت).

118. نهاية القول المفيد في علم التجويد للشيخ مكي نصر (دت) بيروت، لبنان.

119. نهج البلاغة للإمامي علي شرخ الشيخ محمد عبده، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، (دت).

120. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبه الدينوري، تحقيق السيد أحمد المكتبة العلمية (دت) بيروت، لبنان.

121. تاريخ القراءات القرآنية، تأليف عبد الهادي الفضلي، 2003، دار القلم، بيروت، لبنان.

122. هداية الرحمن لألفاظ القرآن إشراف وتنسيق محمد صالح مراجعة إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

123. هداية المستفيد في أحكام التجويد لمحمد أبو ريمة، 1340هـ، بيروت، لبنان.

124. الوافي في شرح الشاطبيه، ط بيروت، لبنان (دت).

125. علم الأصوات تأليف حسام، 2004، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

المراجع الأجنبية:

1- Cours de linguistique génèrale, dessaussure, éddition (Homa Année 2002, Alger)

2- Eve Spobe, human langage and humeur evolution, P. Loberman, www.norton and company 1988.

3- Introduction to thereticale lingustics, Lyons 1968.

4- Le Roux Robert. J. traitement de certaines causes pharyngés, 1987, n°7.

5- Noeur Shwsky, powers and prospect.

6- Pimbers Words and roules, basic Brobs 1999. S_{15}.

7- To langages basic sciences, part 1, sixth edition, wsp 1997.

الفهرس